العدد ٧٩٩ _ ١٣ أبريل ٢٠٠٥

أبيض وأسود

مصر فى 150 سنة



صفحة "مصر فى 051 عاما" على الفيس بوك
https://www.facebook.com/Masrfi150aam

مجموعة "مصر فى 051 عاما" على الفيس بوك
https://www.facebook.com/groups/225042992049175

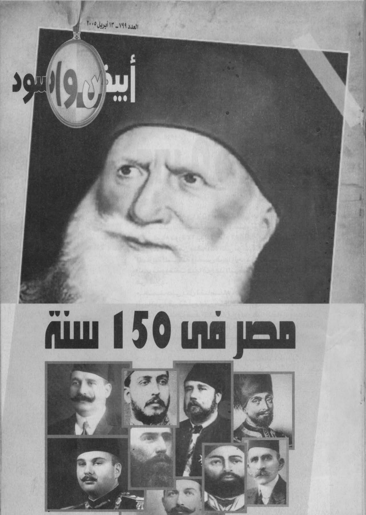
قناة "مصر فى 051 عاما" على اليوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCjwS506z5nog3jQ7TbIa4BQ/videos

الصفحة الشخصية للأستاذ سمير الغزولى
https://www.facebook.com/samir.elghazouly

للمزيد من الكتب
https://www.facebook.com/groups/histoc.ar

لقراءة مقالات فى التاريخ
https://www.facebook.com/histoc
https://histoc-ar.blogspot.com

هذه الصفحة والصفحة السابقة لم يكونا ضمن الملحق.. وقد تم تلوين الصفحة التالية ووضعها كغلاف ملون.. فضلا عن التعريف فى هذه الصفحة بصفحة الأستاذ سمير الغزولى صاحب الصور فى هذا الملحق


العدد ٧٩٩ ـ ١٣ أبريل ٢٠٠٥
أبيض وأسود
مصر فى 150 سنة

مصر في 150 سنة





محمد على
١٨٠٥ : ١٨٤٩



ابراهيم



عباس الأول



سعيد

اسماعيل



توفيق

عباس حلمى





حسين كامل





فؤاد الأول

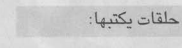


فاروق الأول

قبل ٢٠٠ عام من الآن وتحديدا فى مايو عام ١٨٠٥ تولى محمد على باشا حكم مصر .. واستمرت أسرته تحكم البلاد حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .. وبذلك طوى التاريخ صفحة مهمة من صفحاته التى توطدت فيها دعائم الدولة المصرية المستقلة وتأسس فيها الجيش والأسطول والثقافة المصرية ووضعت فيها قواعد النهضة العلمية والاقتصادية فى البلاد.

محمد على بكل تفاصيله ملف وثائقى يبدأ «الأهرام الرياضى» فى نشره على حلقات متواصلة ابتداء من هذا العدد حيث يرصد الملف تاريخ ودور هذا القائد وما الذى فعله لمصر بعيدا عن الانحياز وبعيدا عن الافتراء .. فهى محاولة موضوعية نقترب فيها من تاريخ حاكم حكم هو وأبناؤه مصر طوال ١٥٠ عاما .

ثم بعد ذلك تتوالى الحلقات عن أبناء محمد على حتى الحفيد فاروق الأول آخر من حكم مصر من سلالة هذه الأسرة .



حلقات يكتبها:

■ أ.د. عطية القوصى

■ صور : سمير الغزولى











خرج من مقدونيا فى التاريخ الحديث مثلما خرج الإسكندر الأكبر منها فى التاريخ القديم .. وكل منهما شرع فى فتح العالم وإقامة إمبراطورية كبرى .. فنجح الأول فيما أراد برغم أن الموت أدركه وهو صغير ، لكن الثانى ترصدت له الدول الكبرى وكانت له بالمرصاد فحسرت نجاحه وتعقبته دون أن تمهله ليكمل مشواره وقضت على الحلم الكبير الذى عاش فيه نصف قرن من حياته .

لم يكن الجندى المقدونى الفقير المدعو محمد على يحلم فى يوم من الأيام بأن يكون حاكما لدولة عريقة القدم ، تليدة الحضارة فى التاريخ هى مصر كنانة الله فى أرضه ، يوم أرسل ضمن القوة العسكرية التى رأت الحليفتان تركيا وانجلترا إرسالها إلى مصر سنة ١٨٠١ لإخراج بقايا الحملة الفرنسية التى ساقها نابليون بونابرت إلى مصر من البلاد ، وقد رقى فى المعارك التى شارك فيها إلى رتبة قائد ، وألحق بمعية خسرو باشا أول وال عثمانى على مصر بعد خروج الفرنسيين منها .

ولد محمد على سنة ١٧٦٩م فى مدينة (قولة) ببلاد مقدونيا اليونانية، من أبوين فقيرين، وتعلم أساليب التجارة من صغره، وتزوج من إحدى قريبات حاكم (قولة)، وكانت أرملة ذات ثروة، فأنجب منها أبناءه: إبراهيم وطوسون وإسماعيل، وتاجر فى الدخان إلى أن أرسل إلى مصر سنة ١٨٠١ ضمن القوة التى رأت الحليفتان تركيا وإنجلترا

▲▲ مسجد محمد على الشهير بالقلعة وتظهر فى الصورة الأهرام الثلاثة من بعيد حيث كانت الرؤية ممتدة دون حواجز

إرسالها إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها، وكان بسبب بلائه وحسن أدائه فى المعارك التى شارك فيها ضد الفرنسيين، أن صار قائدا على إحدى الفرق وألحق بمعية أول وال عثمانى على مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها هو "محمد خسرو باشا".

كان "خسرو باشا"، الوالى العثمانى رجلا لا يعرف شيئا عن فنون الحكم والسياسة والإدارة.. وحاول أن يستأثر بالسلطة فى البلاد، لكنه اصطدم بقوة العساكر الألبان، وأراد أن يوقع بزعماء الألبان، فتعذر عليه ذلك، وسرعان ما ثار العساكر الألبان عليه فى القاهرة، بسبب تأخر دفع رواتبهم، وأرغموه على الفرار إلى دمياط.

ونادى الجند بـ"طاهر باشا" قائممقام فى أوائل مايو ١٨٠٣ ، لكنه عجز - أيضا - عن دفع رواتب الجند، فثاروا ضده وقتلوه فى آخر الشهر.

وخلصت بذلك قيادة الجند الألبان لمحمد على.

وفى يوم ٩ يوليو وصل إلى مصر باشا جديد من الباب العالى إلى الإسكندرية هو "على باشا الجزائرلى"، لكن المماليك نجحوا فى أسر الجزائرلى وقتله مع مطلع عام ١٨٠٤ .

انقسمت جماعة المماليك فى مصر آنذاك إلى مجموعتين: مجموعة يقودها "عثمان بك البرديسى" التى تميل إلى فرنسا وتستند عليها، ومجموعة يقودها "محمد بك الألفى" وهى تميل إلى إنجلترا وتستند عليها.. وقد أدى الانقسام بين المماليك إلى مساعدة محمد على





محمد خورشيد باشا

فى ٩ يوليو عام ١٨٠٥ ميلادية صدر فرمان الباب العالى بولاية محمد على واليا على مصر وعزل خورشيد باشا وكان خورشيد باشا قد رفض اعتزال الحكم .. لكن الجنود الألبان حاصروه فى القلعة فظل سجينا بها حتى صدور فرمان الباب العالى . وفى أوائل شهر أغسطس نزل خورشيد من القلعة ثم غادر البلاد.

◂◂

المملوك الوحيد الذى نجا من مذبحة القلعة و كان يدعى مرادبك أثناء قفزه بالحصان من أسوار القلعة



▲▲ مذبحة القلعة التى دبرها محمد على فى منطقة باب الغرب بالقلعة للتخلص من المماليك وهى الحدث الأكثر إثارة فى حقبة محمد على

فى تحقيق أحلامه، وهو انقسام ساعد "محمد على" على المضى فى طريقه خطوة واسعة نحو الاستئثار بالسلطة فى البلاد.

وكان الألفى قد عاد من سفر له إلى لندن، وأظهر دعم الإنجليز له، الأمر الذى أقلق البرديسى وخاف من ازدياد سطوته، فأخذ فى مطاردته حتى اضطره إلى الفرار إلى الصعيد طلبا للنجاة.

لكن البرديسى لم يحسن تصريف الأمور، فساءت إدارته واشتط فى طلب المال حتى يدفع رواتب الجند الألبان المتأخرة.. وعندما لجأ فى ٧ مارس ١٨٠٤ إلى فرض ضرائب جديدة على الأهالى، قامت الثورة ضده.

ثار أهل القاهرة، واجتمعت الجماهير فى الجوامع، وخرج الفقراء والعامة والنساء طوائف يصرخون وبأيديهم دفوف يضربون عليها وهم يرددون عبارة:

"إيش تاخد من تفليسى يا برديسى".

انتهز محمد على هذه الفرصة الذهبية للإطاحة بحكومة المماليك، فبادر بالنزول وسط الجماهير، واجتمع بالمشايخ، وسار معهم فى الشوارع ومن حولهم الجماهير الصاخبة الهائجة تهتف ضد المماليك، ومحمد على يتودد إليهم، ويتعهد لهم بإبطال الضرائب الجديدة التى فرضها البرديسى عليهم.. وكسب بذلك محمد على الشعب والمشايخ إلى جانبه، وأسرع جند محمد على الألبان بمهاجمة بيوت بكوات المماليك يوم ١٣ مارس، مما اضطر البرديسى وإبراهيم بك إلى الفرار من القاهرة، وتشتت جموع أتباعهما.. وعلى هذا النحو أنهى انقلاب ٨ . ١٣ مارس عام ١٨٠٤ حكومة بكوات المماليك من مصر، وقضى على أمل هؤلاء البكوات فى استرداد سلطانهم المفقود بعد ذلك.. وصار الطريق ممهدا أمام محمد على ليحل مكانهم فى حكم البلاد.

تطورت الأحداث بعد ثورة مارس الشعبية، التى راح ضحيتها حوالى ٣٥٠ من البكوات المماليك وأتباعهم، إذ قام محمد على بإطلاق سراح "خسرو باشا"، الذى صارت له ولاية مصر.. لكن الجند الألبان لم يرتضوا به حاكما، فاضطر للرحيل إلى الأستانة وقدم بدلا من خسرو من الإسكندرية حاكمها "خورشيد باشا" ليتولى حكم مصر.

لكن "خورشيد باشا" بدأ حكمه والمصاعب تحيط به من كل جانب، فالبكوات المماليك مازالوا يتشبثون بأمل استعادة حكمهم، ولم يكفوا عن المقاومة. والجنود الألبان مازالوا باقين فى مصر لقتال المماليك ولم يتلقوا رواتبهم بعد لخلو الخزانة من المال، مع رغبة محمد على فى التخلص من حكومة خورشيد، معتمدا فى ذلك على جنوده الألبان وعلى توثيق صلاته بمشايخ وعلماء مصر وأعيانها وخصوصا بالسيد عمر مكرم.

نجح خورشيد باشا فى تدبير بعض





عمر مكرم

ساند عمر مكرم محمد على فى الوصول إلى الحكم بما كان يتمتع به من زعامة شعبية وقوة تأثير لدى الشعب المصرى، وكان محمد على يعرف قدر وقيمة زعماء الشعب وفى مقدمتهم السيد عمر مكرم، فكان يلجأ إليهم ويستشيرهم فيما يستجد من مهمات الأمور وصار عمر مكرم فى السنوات الأولى من حكم محمد على أحد أركان عرشه.

▲▲ أول وسيلة مواصلات ظهرت فى عصر محمد على كانت هى «التختروان»، وكانت بداية لعصر جديد من وسائل المواصلات

المال من المغارم والإتاوات، ودفع من هذا المال جزءا من رواتب الجنود الألبان المتأخرة.. وفى أكتوبر ١٨٠٤ خرج الألبان من القاهرة إلى الصعيد بقيادة محمد على، وانتهز خورشيد هذه الفرصة واستقدم. بموافقة الباب العالى. جنود (الدلاة)، وكانوا من العتاة المفسدين، فانتشروا فى القاهرة، وأشاعوا بفظائعهم الرعب بين سكانها، فأغلقت المحال، وساد الاضطراب البلاد.

ولما علم محمد على بما فعله أولئك الجند بأهالى البلاد، سارع بالحضور بقواته إلى القاهرة (أبريل عام ١٨٠٥). وقصد الناس من مختلف الطبقات بيت محمد على يطلبون منه تخليصهم من (الدلاة) الذين جلبهم خورشيد.





وفى هذه الأثناء كان خورشيد يدبر أمر نقل محمد على وجنده الألبان من مصر، ونجح فى ذلك حين صدر فرمان الباب العالى بإعطاء محمد على ولاية جدة.. لكن المشايخ والأعيان رفضوا هذا النقل، وطالبوا محمد على بعدم تنفيذه، وقر رأيهم فى ١٣ مايو عام ١٨٠٥ على طرد خورشيد من الولاية، وتولية محمد على مكانه.

قصد المشايخ والأعيان يوم ١٣ مايو عام ١٨٠٥ منزل محمد على، وعلى رأسهم السيد عمر مكرم لإبلاغه قرارهم اختياره واليا عليهم.. ويصف "الجبرتى" ما وقع بين محمد على وبين المشايخ الذين قالوا له:

"إنا لا نريد هذا الباشا حاكما علينا ولابد من عزله من الولاية".. (فلما سألهم): ومن تريدونه يكون واليا؟.. قالوا: "لا نرضى إلا بك وتكون واليا علينا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير".. فامتنع أولا، ثم رضى، وأحضروا له كركا وعليه قفطان، وقام إليه السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى،

▶▶

مراحل بناء التحفة المعمارية «مسجد محمد على» وتظهر فى الصورة مراحل تشييد المسجد الكبير



فألبساه إياه، وذلك وقت العصر، ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة.

وعندما رفض خورشيد اعتزال الحكم، والنزول على إرادة الشعب.. حاصره الجند الألبان فى القلعة، فظل سجينا بها حتى صدور فرمان الباب العالى بولاية "محمد على" على مصر وعزل خورشيد باشا.. وكان وصول فرمان الولاية يوم ٩ يوليو عام ١٨٠٥ .. وفى أوائل أغسطس نزل خورشيد من القلعة، ثم غادر البلاد، وخلص الأمر فى القاهرة نهائيا لمحمد على.. ولقد نص فرمان ولاية "محمد على" على مصر على عبارة: "حيث رضى بذلك العلماء والرعية" .. وبذلك توجت الثورة المصرية الأولى فى التاريخ الحديث بانتصار إرادة الأمة، واستقر الحكم لمن اختاره الشعب.

ولم ترسخ قدم محمد على فى الحكم بمجرد مبايعة الشعب له، وصدور الفرمان العثمانى الموافق على ذلك الاختيار الشعبى لحاكمه.. فإن الدسائس كانت تحيط به من كل جانب، فالسياسة الإنجليزية كانت تسعى . بمختلف الوسائل . لترد السلطة إلى صنائعهم المماليك بقيادة زعيمهم محمد بك الألفى.. وكان عمالها يسعون لدى (الباب العالى) فى إسناد حكم مصر إلى الألفى، وقناصلها فى مصر يزودون المماليك بالمعونة، ويحركون الطمع فى نفوسهم، ويوحون لهم بأن إنجلترا لم تتخل أبدا عن رجالها، والمماليك من جانبهم كانوا يحشدون جموعهم لمحاربة الوالى الجديد.

وكانت الدولة العثمانية ترقب ما يحدث فى مصر من أحداث، ولم تكن نيتها خالصة تجاه محمد على.. صحيح أن حكومة الأستانة قد استجابت لرغبة الشعب المصرى فى اختيار حاكمه، وأصدرت فرمانها بعزل (خورشيد باشا) وتولية محمد على، لكنها رأت أن ذلك حل مؤقت حتى تهدأ نفوس المصريين، ثم تسارع بخلع محمد على.

ولقد كان محمد على آنذاك فى حاجة ماسة إلى تأييد الزعامة الشعبية له وإقرارها إياه فى مركزه ليقوى بها على مقاومة المتربصين به من الأتراك والمماليك والإنجليز.

وكان السيد عمر مكرم على رأس تلك الزعامة وحامل لوائها فى تقليد محمد على سلطة الحكم وفى الحفاظ على تلك السلطة، وكان المماليك يعرفون هذا النفوذ لزعماء الشعب، خاصة للسيد عمر مكرم، فحاولوا معه ومع بقية القيادة الشعبية لمساعدتهم فى التخلص من محمد على، ولكن وجدوا من السيد عمر مكرم إباء وإعراضا وتثبيتا لحاكم مصر الذى اختاره الشعب بإرادته.

دبر المماليك الهجوم على القاهرة ليستولوا عنوة على زمام الحكم فى شهر أغسطس عام ١٨٠٥ ، ولم يمض شهران على ولاية محمد على، وكان قصدهم من تعجيل الهجوم أن يضربوا ضربتهم قبل رحيل أسطول عثمانى كانت قد أرسلته تركيا إلى ميناء الإسكندرية قوامه ٢٥٠٠ جندى بقيادة (قبطان باشا) لمراقبة الموقف

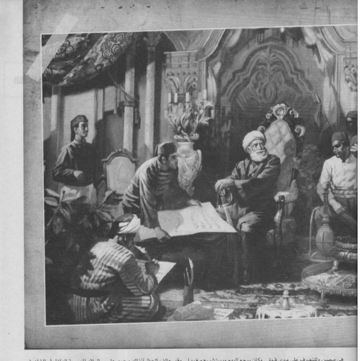


زينة قادق

هى الزوجة الأولى لمحمد على تزوجها قبل أن يذيع صيته ويصبح واليا على مصر .. كانت تربطها صلة قرابة بحاكم قوله وكانت عندما تزوجها أرملة تملك ثروة كبيرة وأنجب منها أبناءه إبراهيم وطوسون وإسماعيل .

▲▲

١٣ مايو عام ١٨٠٥ .. لحظة فاصلة فى التاريخ المصرى فهو اليوم الذى تولى فيه محمد على حكم مصر



فى مصر، وللتعرف على مدى قوة المماليك ليختاروا واحدا منهم بدلا من محمد على واليا على مصر.. ولكن هذا الهجوم فشل فشلا ذريعا بسبب تصدى الشعب لهم وهزيمتهم هزيمة منكرة.. وانتهز محمد على تلك الهزيمة التى وقعت بالمماليك واستولى فى الشهر التالى على الجيزة التى كانت لاتزال فى يد المماليك.. وقد وطدت هذه الأحداث مركز محمد على فى البلاد، خصوصا بعد رحيل الأسطول العثمانى إلى الأستانة فى أكتوبر عام ١٨٠٥ ومعه خورشيد باشا الوالى العثمانى المخلوع.

وقد عرف محمد على لزعماء الشعب من المكانة والنفوذ عند الجماهير، فقدرلهم هذه المنزلة، وكان يرجع إليهم ويستشيرهم فيما يستجد من مهمات الأمور، وقد عظم نفوذ السيد عمر مكرم فى تلك السنوات إلى ما لم يسبق له نظير من قبل، وصار فى السنوات الأولى من حكم محمد على أحد أركان عرشه.

وسعت إنجلترا لدى الباب العالى لعزل محمد على عن مصر، وتولية (موسى باشا) مكانه، على أن يتولى محمد على (سالونيك)، وأرسلت الحكومة التركية لتنفيذ ذلك، أسطولا بحريا إلى الإسكندرية فى أول يوليو عام ١٨٠٦ يقل الوالى الجديد.. لكن زعماء الشعب كتبوا عريضة إلى الباب العالى، وقعوا عليها بإمضائهم وأختامهم يطلبون بقاء محمد على فى حكم مصر.. وقد حالف الحظ أنذاك محمد على بوفاة البرديسى ثم الألفى.

وأرادت إنجلترا أن تستولى على مصر.. فأرسلت أسطولها إلى الإسكندرية بقيادة الجنرال (فريزر) فى شهر مارس ١٨٠٧ .. واستعد المصريون لملاقاة هذه الحملة، وتولى عمر مكرم القيادة الشعبية والمقاومة.. ووصلت الحملة إلى الإسكندرية، بعد موت الألفى، حليف الإنجليز، وتشتت أنصاره.. وتألفت حملة فريزر من ٦ آلاف مقاتل.. ونجح الإنجليز فى الاستيلاء على الإسكندرية دون قتال، وتسليم محافظها المدينة لهم.. ومن الإسكندرية تقدم فريزر إلى رشيد ليحتلها ويتخذها قاعدة حربية له ولأسطوله، يزحف منها إلى داخل البلاد المصرية الدلتا، ثم القاهرة.. وتحرك الجيش الإنجليزى قاصدا مدينة رشيد يوم ٢٩ مارس، فكان تحت أسوارها فى اليوم التالى، وأخذ يتأهب لدخولها صبيحة يوم ٣١ مارس (الموافق ٢١ من المحرم سنة ١٢٢٢هـ).

وكان محافظ رشيد وقتئذ يدعى (على بك السلانكلى)، وهو رجل شجاع ثاقب النظر وكان تحت إمرته سبعمائة جندى، فعزم على مقاومة الجيش الإنجليزى معتمدا على قوة حاميته وعلى مشاركة الأهالى فى الدفاع عن المدينة، وأمر على بك بأن تتراجع الحامية إلى داخل المدينة، وأن يعتصم الأهالى وإياهم بالمنازل مستعدين للضرب





خسرو باشا

هو أول وال عثمانى على مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها ، حاول بعد توليه السلطة أن يستأثر بها لكنه اصطدم بقوة العساكر الالبان . وثار الجنود الالبان عليه بسبب تأخر دفع رواتبهم وأشتدت المقاومة ضده وأرغموه على الفرار إلى دمياط.



إبراهيم باشا

تولى إبراهيم باشا الحكم فى ١٨٤٧ وهو أحد أبناء محمد على وكان قائد جيوش محمد على وذاع صيته نظرا لشجاعته وكفاءته كقائد عسكرى. حيث حقق انتصارات عسكرية كبيرة فى كثير من المعارك التى خاضها وقاد مصر من نصر إلى نصر فهو الذى حقق لمصر استقلالها واتم وحدتها



سوق قصر النيل أشهر الأسواق التى كانت موجودة فى مصر فى عصر محمد على

وقت أن يعطيهم الإشارة بذلك.

فتقدم الإنجليز داخل المدينة دون أن يجدوا مقاومة من أحد، فظنوا أن أهلها وحاميتها قد أخلوها خوفا منهم، فدخلوا شوارعها مطمئنين، وكان قد أعياهم السير فى الرمال من الإسكندرية إلى رشيد، فانتشروا فى الطرق والأسواق يرتادون أماكن يريحون فيها، ولكنهم ما كادوا يفعلون ذلك حتى أصدر على بك أمره بإطلاق النار، فاقتحمهم الرصاص من كل مكان، وأخذ الأهالى يطلقون عليهم النيران من النوافذ والأسطح فدب الرعب فى قلوبهم، وسقط الكثيرون منهم صرعى فى الشوارع، وقتل الجنرال ديكوب، قائد الهجوم برصاصة أردته قتيلا، وقتل الكثير من ضباطه، واستولى الذعر على الناجين منهم فلاذوا بالفرار.. وانتهت المعركة بهزيمة الجيش الإنجليزى، وتقهقر الأحياء منهم إلى الإسكندرية بطريق أبوقير. وبلغ عدد قتلى الإنجليز فى هذه المعركة نحو ١٧٠ قتيلا وعدد جرحاهم ٢٥٠، وعدد الأسرى منهم ١٢٠ أسيرا.

وكان لموقعة رشيد تأثير كبير فى تطور الأحوال فى مصر، لأن هذا النصر المبين على الإنجليز ملأ نفوس المصريين حماسة وفخرا، وضعضع الهيبة التى كانت للإنجليز فى نفوس الناس.. وبعث هذا النصر روح الثقة فى الشعب، وحفزه إلى الاستمرار فى مقاومة المعتدى على بلاده.

كما كان لهذه المعركة تأثير عكسى على نفوس المماليك، الذين خاب أملهم فى حلفائهم الإنجليز، فانكمشوا فى معاقلهم بالصعيد، وبالتالى جعلت الجيش الإنجليزى يفقد الأمل فى المعاونة التى كان ينتظرها منهم.

ولقد بادر (على بك السلانكلى) حاكم رشيد، بعد الموقعة فى إرسال أسرى الإنجليز إلى القاهرة، ومعهم رءوس قتلاهم ليكون ذلك إعلانا للنصر الذى حظيت به رشيد، ثم ليبعث هذا المنظر روح الثقة والأمل فى نفوس الجنود والشعب.. وكان يوم حضورهم إلى القاهرة يوما مشهودا.







نابليون بونابرت

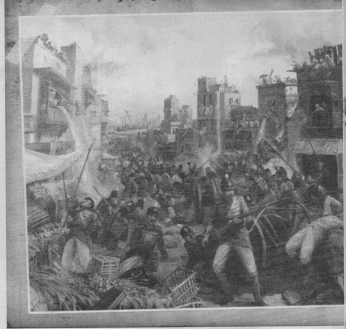
هو القائد العسكرى الشهير الذى قاد الحملة الفرنسية التى احتلت مصر عام ١٧٩٨ وارتبط اسم نابليون بكثير من الأحداث والمعارك التى خاضها فى مصر. حيث واجهت الحملة الفرنسية مقاومة شعبية من أفراد الشعب المصرى أجبرت نابليون على الرحيل بقواته.

ومنذ أن وردت أنباء معركة رشيد إلى القاهرة.. قام السيد عمر مكرم باستنفار أهلها إلى التطوع للقتال.. وخطب خطباء المساجد فى حث الناس على الجهاد.. فاستجابوا للدعوة بنفوس راضية، وأقبلوا على التطوع مختارين، وأخذ المتطوعون يذهبون فى صبيحة كل يوم إلى أطراف القاهرة يعملون فى حفر الخنادق، وإقامة الاستحكامات شمالها لصد الإنجليز إذا ما جاءوا بطريق شبرا.. وكان السيد عمر مكرم يذهب صبيحة كل يوم تتبعه الجماهير إلى حيث يشتغل العمال فى إقامة الاستحكامات، وكان يبقى هناك النهار كله فى خيمة أعدت له.

وقد حدثت كل هذه الاستعدادات ومحمد على لم يزل غائبا بالصعيد.. وقد دل ذلك على أن الشعب كان متطوعا من تلقاء نفسه للقتال عازما على المقاومة كما كان شأنه عند مجيء الحملة الفرنسية.

▲▲
أهالى رشيد أثناء مقاومة حملة فريزر والتى وقعت أحداثها عام ١٨٠٧ حيث نصب أهالى رشيد خدعة كبيرة للانجليز وكانت هى اختفاء السكان عن الأنظار وعندما تقدمت القوات الانجليزية إلى داخل الشوارع. انقض الأهالى على القوات فى معركة شهيرة كما شارك فيها النساء والأطفال بدور كبير

أراد الجنرال فريزر، بعد هزيمته فى رشيد، أن يمحو أثر هذه الهزيمة، فاعتزم معاودة الهجوم على المدينة بجيش جعل قيادته إلى الجنرال (ستيوارت).. حينئذ عاد محمد على من الصعيد إلى القاهرة ليلة ١٢ أبريل ١٨٠٧، واستعد مع الشعب لمجابهة هذه الغزوة الإنجليزية الجديدة.. ونزلت قوات ستيوارت واحتلت قواته قرية (الحماد) الواقعة جنوبى رشيد بين النيل وبحيرة إدكو، وكان الغرض من احتلال الحماد تطويق رشيد ومنع وصول المدد إليها من الجنوب.. وحاصر الإنجليز رشيد، وظلوا يضربونها بالمدافع مدة اثنى عشر يوما دون أن ينالوا منها.. إلى أن جاء المدد الذى أرسله محمد على، فتغير الموقف الحربى تغيرا جوهريا.. وقد تكون هذا المدد من فرقتين يقود الأولى منهما (كتخدا بك) بالبر



الشرقى للنيل، والأخرى بقيادة (حسن باشا) بالبر الغربى، وكانت الفرقتان تسير كلتاهما حذا الأخرى على الشاطئين، فلما وصلتا إلى قرب رشيد عسكرت فرقة حسن باشا تجاه الحماد، وعسكرت الأخرى فى (برنبال) بالشاطئ الشرقى.

وفى صبيحة يوم ٢٠ أبريل تقدمت طلائع فرسان فرقة حسن باشا نحو مواقع الإنجليز فى الحماد، والتقت بكتيبة من كتائبهم وسط المزارع، وأحاط بهم الفرسان فقتلوا عددا منهم وأسروا آخرين.. وقد تشجع كتخدا بك بالنصر الذى ناله فرسان حسن باشا بالبر الغربى، فعبر النيل ليلا بجنوده إلى العدوة اليسرى، وانضموا إلى فرقة حسن باشا ليهاجم الجميع الإنجليز فى صبيحة الغد.. ولما رأى الكولونيل (ماكلود). أحد قواد ستيوارت والذى كان يقود قوات الإنجليز عند الحماد. كثرة عدد القوات المصرية، آثر الانسحاب إلى موقع الجيش الإنجليزى حول رشيد، فبعث إليه القائد ستيوارت يقره على خطته.

وفى الصباح كان فرسان الجيش المصرى قد انسابوا فى السهل، وقطعوا المواصلات بين الحماد ورشيد، ولم يستطع ماكلود الانسحاب بقواته، فانقضت عليها القوات المصرية، وتعقب فرسانهم القوات الإنجليزية، وقتلوا منهم أعدادا كبيرة، كان من بينهم الكولونيل ماكلود نفسه، وقد بدأت المعركة فى السابعة صباحا واستمرت ثلاث ساعات، وانتهت بهزيمة الجيش الإنجليزى المرابط فى الحماد، ولم ينج منه أحد، فمن لم يقتل منهم لم يسلم من الأسر، وبلغ عدد قتلى الإنجليز فى هذه المعركة ٤١٦ قتيلا، وعدد أسراهم ٤٠٠ أسير.

ولما وصلت أنباء الهزيمة إلى القائد ستيوارت، وكان معه بقية الجيش الإنجليزى جنوب رشيد، رفع الحصار عن رشيد وانسحب بقواته إلى الإسكندرية.

أما فريزر.. فقد طلب الصلح من محمد على، على أن ينسحب الجيش الإنجليزى إلى بلاده.. وعقد الصلح فى مدينة دمنهور، التى وصل إليها محمد على، مع الجنرال (شربروك) الذى فوضه فريزر فى الاتفاق على الصلح، على انسحاب الإنجليز من الإسكندرية مقابل استرجاع أسراهم وجرحاهم.. وفى يوم ٢٩ سبتمبر تم جلاء الإنجليز عن المدينة، وارتحلوا إلى جزيرة صقلية، وتسلم كتخدا بك مدينة الإسكندرية نيابة عن محمد على الذى عاد إلى القاهرة فى شهر أكتوبر ١٨٠٧

وبعد أن أحرز محمد على نصره على الإنجليز، واطمأن إلى تثبيت نفوذه فى البلاد مستندا إلى تأييد الشعب له، وعلى الظروف السيئة التى يمر بها الباب العالى.. طمحت نفسه إلى الاستبداد، وبدأ يشعر بالغضاضة من تدخل العلماء وأهل الرأى فى شئون الحكم، وسعيهم فى رفع المظالم عن الناس.. وقد مال محمد على إلى التخلص من هذه الرقابة بإقصاء الزعامة الشعبية عن الميدان.

ولقد ساعد التنافس والتحاسد والمطامع الشخصية لرجال الزعامة الشعبية محمد على فى تحقيق ميوله الاستبدادية.. فلقد حسد هؤلاء الزعماء السيد عمر مكرم لما بلغه من مكانة عن جدارة واستحقاق، لما اتسم به من أنفة وحمية وتعفف وعلو نفس.. فأخذوا يكيدون له لإضعاف مركزه والنيل من مكانته، ولم يجدوا سبيلا لتحقيق غرضهم سوى الوقيعة بينه وبين الباشا، فانتهزها الباشا









بعد فرار خسرو باشا إلى دمياط نادى الجند بتولى طاهر باشا فى أوائل عام ١٨٠٣ .. وكان الاعتقاد هو أنه سيتمكن من تدبير الأموال الكافية لدفع رواتبهم التى عجز عنها خسرو باشا لكن طاهر باشا عجز أيضا فى مهمة تدبير الرواتب فثاروا عليه وقتلوه فى أواخر نفس الشهر.

فرصة للتخلص من الزعيم الشعبى الكبير، الذى كان رقيبا عتيدا على أعماله، ثم للتخلص من الزعامة الشعبية جميعها دفعة واحدة سنة ١٨٠٩ ولقد انتهت هذه الوقيعة بنفى السيد عمر مكرم إلى دمياط.. وبهذا النفى والإبعاد انهارت الزعامة الشعبية، واستبد محمد على بالحكم، ولم يعد هناك من يتصدى لاستبداده ولحكمه المطلق للبلاد.

وكما تخلص محمد على من الزعامة الشعبية.. تخلص من سيطرة قواد جنده الألبان عليه ومطالبتهم المستمرة برواتبهم المتأخرة.. فنقل محل إقامته من منطقة (الأزبكية) معقل وجودهم إلى قلعة المقطم، واتخذها مقرا له، وقد ألمح لهم بذلك أن امتناعه بالقلعة سيدفع عنه أى خطر يلحقه من ناحيتهم، وأنه يستطيع من معقله الجديد أن يضرب أى محاولة ضده قد يقومون بها.

كذلك تخوف محمد على من بقاء المماليك فى القاهرة، خاصة لما اعتزم تجريد حملة على الحجاز لمحاربة (الوهابيين) تلبية لأوامر الباب العالى، وخشى إذا غادر جيشه مصر أن تضعف قوته الحربية ويعود المماليك لمناوأته وانتزاع السلطة من يده.. فرأى أنه لا وسيلة للاحتفاظ بسلطانه وانفراده بالحكم سوى التخلص من البقية الباقية من المماليك.. ومن هنا نبتت فى رأسه فكرة اغتيالهم فى المؤامرة المعروفة بمذبحة القلعة، التى وقعت فى أول مارس سنة ١٨١١، واغتيل فيها فى القلعة ٤٧٠ من المماليك وأتباعهم، قتلوا جميعهم، ولم ينج منهم إلا واحد اسمه (أمين بك).. وتعد هذه المذبحة، التى أخذ فيها المماليك على خيانة، نقطة سوداء فى تاريخ محمد على..! ■■

▲▲
محمد على باشا الكبير يجلس على عرش مصر

العدد ٨٠٠ ـ ٢٠ أبريل ٢٠٠٥

أبيض وأسود

مصر فى ١٥٠ سنة

الإسكندر الأصغر

امبراطورية سلاح



مصر فى 150 سنة
1805 : 1952



الإسكندر الأصغر

1805 : 1949

"خرج من مقدونيا فى التاريخ الحديث مثلما خرج الإسكندر الأكبر منها .. فى التاريخ القديم
وكل منهما شرع فى فتح العالم وإقامة إمبراطورية كبرى .. فنجح الأول فيما أراد برغم أن الموت أدركه وهو صغير، لكن الثانى ترصدت له الدول الكبرى وكانت له بالمرصاد فحسرت نجاحه وتعقبته دون أن تمهله ليكمل مشواره وقضت على الحلم الكبير الذى عاش فيه نصف قرن من حياته."

الحلقة الثانية

حلقات يكتبها :

أ.د. عطية القوصى



محمد على
١٨٠٥ : ١٨٤٩




ابراهيم



عباس الأول



سعيد



اسماعيل



توفيق



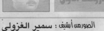
عباس حلمى



حسين كامل



فؤاد الأول



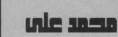
فاروق الأول

الصور من أرشيف : سمير الغزولى


الإسكندر الأصغر محمد علي باشا الكبير والي مصر

امبراطورية سلاح







تمكنت مصر من تحقيق استقلالها القومى فى عهد «محمد على» نتيجة للحروب التى خاضتها وانتصرت فيها وتخلصت بذلك من تبعيتها للدولة العثمانية ومن استمرارها ولاية من ولاياتها يتعاقب عليها الولاة كل سنة أو سنتين.. وقامت دعائم الاستقلال على الجيش والأسطول، والتعليم والنهضة العلمية والبعثات التعليمية إلى الخارج، وأعمال العمران والنهضة الاقتصادية والاجتماعية، وهى دعائم تأسست عليها الدولة المصرية الحديثة، وأقامت عليها نهضتها وحضارتها فى التاريخ الحديث.

الحملة الانجليزية على مصر عام ١٨٠٧ هى اول حرب اشتبكت فيها مصر دفاعا عن كيانها وكانت فاتحة سعيدة لحروب مصر فى ذلك العصر.

وتلت هذه الحرب، الحروب الوهابية (١٨١١ - ١٨١٩)، التى خاض غمارها وتولى قيادتها ابنا «محمد على» : طوسون باشا وابراهيم باشا، ثم فتح السودان الذى تم على يد اسماعيل باشا، الابن الثالث لـ «محمد على» ومحمد بك الدفتردار، صهر «محمد على»، ثم حرب اليونان (١٨٢١ - ١٨٢٨) وحروب الشام والأناضول (١٨٣١ - ١٨٤٠).

ولقد كانت موقعة نصيبين (٢٤ يونيو ١٨٣٩) قمة الانتصارات التى حققها الجيش المصرى فى عهد حكم «محمد على» على الدولة العثمانية.

وكان قائد هذه الموقعة من الجانب المصرى البطل ابراهيم باشا، ابن «محمد على» وكانت تلك الموقعة نصرا مبينا للجيش المصرى، وبلغت خسائر الترك فى هذه المعركة نحو اربعة آلاف قتيل وجريح من بينهم بعض القواد والضباط، واسر منهم بين اثنى عشر الفاوخمسة آلاف اسير واستولى المصريون على نحو ٢٠ ألف بندقية و٧٤ مدفعا، وقضت هذه المعركة على قوة تركيا



▲▲ صورة للعاصمة المصرية القاهرة ترجع إلى عصر محمد على

الحربية، وأنقذت مصر من الخطر الذى كان يهددها من ناحية تركيا لانها حفظت استقلال مصر.

ولقد أعقب هزيمة تركيا فى موقعة نصيبين تسليم اسطولها الى مصر، الامر الذى جعل كفتها هى الكفة الراجحة على تركيا فى البر والبحر، وبلغت مصر فى ذلك الحين اوج قوتها واتساعها على عهد «محمد على».

والجيش هو الدعامة الاولى التى شيد عليها «محمد على» كيان مصر المستقلة، ولولاه لما تكونت الدولة المصرية ولا تحقق استقلالها، وهو الذى كفل لها هذا الاستقلال وصانه لاكثر من ستين سنة، وليس فى منشآت «محمد على» ما نال عنايته مثل الجيش المصرى، ويكفى دليلا على مبلغ تلك العناية ان منشآت «محمد على» الاخرى جاءت فى تأسيسها او استحداثها استكمالا لحاجة الجيش، فتقريره إنشاء مدرسة الطب يرجع اصله الى تخريج اطباء يحتاج إليهم الجيش، وكذلك دور الصناعة ومصانع الغزل والنسيج كان غرضه الاول منها توفير حاجات الجيش من السلاح والذخيرة والملبوسات.

واقتضى إعداد الاماكن اللازمة لاقامة الجند بناء الثكنات والمعسكرات والمستشفيات واستلزم تخريج الضباط انشاء المدارس العسكرية على اختلاف انواعها وكذلك المدارس المدنية لتثقيف الطلاب لان يكونوا على الاخص ضباطا ومهندسين.

وارسال البعثات إلى اوروبا كان الغرض الاول منه توفير العدد الكافى من الضباط والعلماء والمهندسين الذين يخدمون العمل الحربى. صحيح ان هذه المنشآت كان





حسن الإسكندرانى

أحد الضباط البارزين فى عهد محمد على وشغل منصب قائد بحرية محمد على حيث كان قد أرسله ضمن مجموعة من الضباط إلى فرنسا ضمن البعثة الأولى وبعد عودته تم تعيينه فى هذا المنصب.

لها اغراض عمرانية اخرى لكن خدمة الجيش كانت اول ما فكر فيه «محمد على».

واخذ «محمد على» فى تأسيس الجيش المصرى النظامى منذ سنة ١٨٢٠ بعد ان تخلص من الجنود غير النظاميين الذين كان يتألف منهم الجيش القديم الذى كان رجاله يكرهون النظام واعتادوا على الفوضى والتمرد، وذلك بإخراجهم من العاصمة حتى لا يكون احتشادهم فيها مدعاة للمؤامرات والفتن، وتوزيعهم على الثغور الواقعة على البحر المتوسط كرشيد ودمياط وبعض البلاد الواقعة على فرعى نهر النيل.

▲▲

النهضة الزراعية فى مصر بدأت مع تولى محمد على.. حيث تم شق المصارف والترع

ولقد اعتزم «محمد على» سنة ١٨٢٠ فتح مدرسة حربية فى مدينة اسوان لتخريج ضباط الجيش من ابناء الفلاحين المصريين، ووجد «محمد على» عضدا كبيرا فى تحقيق ذلك فى ضابط فرنسى عظيم من ضباط الامبراطورية النابليونية وهب نفسه لخدمة مصر وتقدمها، وهو الكولونيل سيف الذى عرف بعد ذلك باسم سليمان باشا الفرنساوى، فإليه يرجع الفضل



الاكبر فى معاونة «محمد على» ومؤازرته فى تأسيس الجيش المصرى على النظام الجديد بحيث صار يضارع ارقى الجيوش الاوروبية، وقد برهن على ذلك فى ميادين القتال واثبت انه لا يقل عن اى منها تدريبا وكفاءة.

ولقد ولد سليمان باشا الفرنساوى (١٧٨٧ - ١٨٦٠) فى مدينة ليون بفرنسا وقاتل فى حروب نابليون، وارتقى فى المراتب العسكرية حتى وصل الى رتبة اميرالاى (كولونيل) ولما انتهى عهد نابليون خرج من الجندية وعمل بالتجارة والزراعة.جاء إلى مصر سنة ١٨١٩ والتقى بـ «محمد على» الذى اعجب به وعهد إليه تنظيم الجيش المصرى على الاساليب الحديثة. فكان له الفضل الكبير فى الاضطلاع بتلك المهمة.

اعتنق الاسلام فى مصر واختار لنفسه اسم سليمان فصار يعرف باسم سليمان باشا الفرنساوى اشترك فى حرب المورة وحرب الشام والاناضول، وانعم عليه «محمد على» سنة ١٨٣٤ بالباشوية عقب الحرب السورية الاولى واشترك فى الحرب السورية الثانية وعين رئيسا عاما للجيش المصرى واحتفظ بهذا المنصب فى عهد ابراهيم وعباس حتى عهد سعيد باشا، وتوفى سنة ١٨٦٠، وقد أقيم له تمثال فى الميدان الذى تسمى باسمه فى وسط القاهرة، ونقل أمام المتحف الحربى بالقلعة.

وبدأ العمل فى مدرسة اسوان الحربية بتدريب خمسمائة خاصة من المماليك على يد سليمان الفرنساوى ليتخرجوا ضباطا على النظام الحديث، فكانت اول مدرسة حربية انشأها «محمد على» لتكوين الجيش النظامى المصرى.

وبعد ذلك فكر فى تجنيد السودانيين من سكان كردفان وسنار، وقد قام اسماعيل باشا ابن «محمد على» وصهره الدفتردار بجلب عشرين الفا منهم وأنقذهم الى قرية بنى عدى بالقرب من منفلوط حيث بدئ فى تدريبهم هناك على النظام الحديث على يد الضباط المماليك الذين تخرجوا فى مدرسة اسوان.

على أن تجربة تجنيد السودانيين لم تصادف النجاح





مصطفى مطوش

الأميرال مصطفى مطوش تولى قيادة الأسطول بدلا من الامير العثمانى نور الدين باشا وشغل هذا المنصب حتى عام ١٨٤٣ وحصل على لقب أمير البحار لأنه كان من خيرة قواد البحرية المصرية آنذاك وتولى من بعده الأمير محمد سعيد باشا ابن محمد على.



أدهم باشا

واحد من الضباط الأكفاء الذين نهضوا بسلاح المدفعية فى عهد محمد على فضلا عن كونه شخصية بارزة فى إدارة ديوان المدارس لأكثر من ١٠سنوات وقد توفى فى عهد الخديو إسماعيل عام ١٨٦٩

صورة نادرة لتمثال أبو الهول حيث تكسو الرمال الكثيفة جانب كبير من التمثال قبل أن يتم إزالتها



المياه كانت تصل حتى
هضبة الأهرام في كل مرة
يحدث فيها الفيضان





إسماعيل أبو جبل

قاد إسماعيل أبو جبل الأسطول المصرى فى عهد محمد على وخلال الحرب اليونانية وأطلقت عليه المراجع الفرنسية اسم إسماعيل جبل طارق.. نسبة إلى طارق بن زياد.

صورة لميناء الإسكندرية البحرى فى عصر محمد على



▲▲
ميناء الإسكندرية أحد أهم المنافذ التى ربطت مصر بالعالم الخارجى وراجت بسببه حركة التجارة وكان نقطة التقاء مهمة.

المطلوب لعدم موافقة جو مصر لمزاجهم وصحتهم، ولأنهم لم يطيقوا أعباء الخدمة العسكرية فأخذ «محمد على» يفكر فى الالتجاء إلى تجنيد المصريين، وأنشأ ثكنات لتمرين المجندين منهم فى بلدة فرشوط بالصعيد.

وأنشأ «محمد على» معسكرا عاما للجيش فى الخانكة كان يحتوى دوما من ٢٠ إلى ٢٥ ألفا من الجند النظاميين، وصارت الخانكة وابوزعبل مكان التعليم العسكرى حيث أنشأ هناك المستشفى العسكرى الاول ثم مدرسة الطب والمدرسة الحربية للمشاة ومدرسة أركان الحرب.

واعتزم «محمد على» تجربة جنوده النظاميين فى ميادين القتال، فأنقذ الاورطة الاولى منهم إلى الحجاز لمحاربة الوهابيين والثانية أرسلها لفتح السودان والاربع الاخر الى بلاد المورة لمحاربة اليونانيين تحت قيادة ابنه ابراهيم.

ولقد نجحت تجربة تجنيد «محمد على» للمصريين، وبرهن الجيش المصرى على كفاءته وشجاعته الفائقة، ومن المدارس الحربية التى أنشأها «محمد على» فضلا عن مدرسة اسوان، مدرسة قصر العينى التى انشئت





في عصر محمد على نالت المرأة مكانة كبيرة وحظيت كثير من سيدات المجتمع بمكانة خاصة وكان اللقب الذى يطلق عليهن هو «الهوانم»





محمد راتب باشا

أرسله محمد على إلى إنجلترا لدارسة فن الهندسة البحرية وبعد عودته إلى مصر تم تعيينه رئيسا لقسم الهندسة وإنشاء السفن بترسانة الاسكندرية مع زميله حسن بك السعران والذى كان قد تم إرساله للدراسة فى فرنسا

سنة ١٨٢٥ للتعليم الحربى فكانت تعرف بالمدرسة التجهيزية الحربية وقد نقلت الى ابى زعبل بعد ان خصص قصر العينى لمدرسة الطب، ومدرسة المشاة بالخانكة، ثم بدمياط، ثم بأبى زعبل، ومدرسة الفرسان بالجيزة، ومدرسة المدفعية (الطوبجية) بطرة ومدرسة اركان الحرب بالخانكة، ومدرسة الموسيقى العسكرية بالخانكة والمدرسة البحرية بالاسكندرية هذا فضلا عن مصانع الاسلحة والمدافع بالقلعة، ومخازن البارود والقنابل عند سفح جبل المقطم.

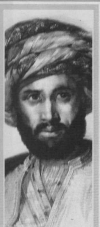
وكان أدهم باشا فى مقدمة الضباط الاكفاء الذين نهضوا بالمدفعية المصرية، واسس ترسانة القلعة لصنع الاسلحة والمدافع وكان ادهم باشا من خيرة رجال «محمد على» ومن اصدق من بذلوا جهدهم فى تأسيس الجيش النظامى، وهو ايضا ممن حملوا لواء نهضة التعليم فى مصر، فقد تولى ادارة ديوان المدارس (وزارة المعارف العمومية) لاكثر من عشر سنوات (١٨٣٩ . ١٨٤٩) وقد توفى فى عهد الخديو اسماعيل سنة ١٨٦٩.

هذا وقد تزايدت أعداد الجيش المصرى عاما بعد عام، فبعد ان كان عدد الجيش فى اوائل حكم «محمد على» عشرين ألفا من المقاتلين جميعهم من الجنود غير النظاميين، صار عددهم (حسب احصاء عام ١٨٣٩) ٢٣٥،٨٨٠ مقاتلا.

والاسطول هو الدعامة الثانية التى شيد عليها «محمد على» كيان مصر المستقلة، وكان ابتداء ظهور البحرية المصرية وتكوينها فى تاريخ مصر الحديث فى عهد «محمد على» فى اوائل عام ١٨١٠، منذ شرع «محمد على» فى خوض غمار الحرب الوهابية، وظهرت حاجته للسفن الحربية لنقلها إلى الحجاز عبر البحر الاحمر، فبادر إلى انشاء ترسانة بحرية (دار صناعة) ببولاق، وامر بتجهيز القطع اللازمة من الخشب فى تلك الترسانة، ثم بنقلها على ظهور الابل إلى ميناء السويس لتركب هناك وتنزل الى البحر، فكانت هذه السفن هى النواة الاولى للاسطول



منظر عام لقصر رأس التين بالإسكندرية وتظهر فنارة الإسكندرية والتى أنشأها محمد على لإرشاد السفن





أبو الفكر المصرى الحديث وكان من كبار المترجمين فى عصر محمد على وهو مؤسس نهضة مصر الثقافية ورائد التنوير وهو من مدينة طهطا بمحافظة سوهاج بصعيد مصر .



▲▲

سوق الخليفة الشهير والذى يعقد أسفل قلعة محمد على.. السوق خصص لتجارة الغلال والطيور والسيوف

المصرى فى عهد «محمد على»، وبفضل هذه السفن تمكنت مصر من السيطرة على البحر الاحمر وموانيه، وكان عددها ثمانى عشرة سفينة كبيرة.

وبعد انشاء هذا الاسطول اعتزم «محمد على» انشاء اسطول قوى للبحر المتوسط مثل اسطول البحر الاحمر، وقام بشراء بعض السفن الحربية وأمر بإنشاء اخرى فى الموانى الاوروبية كمرسيليا وتريستا وقام بتسليح هذه السفن بالمدافع وعهد بقيادتها الى قباطين سكندريين وأتراك، وجعل ملاحيها ونواتيها من المتطوعين، وجعل بها بعض الضباط من فرنسيين وايطاليين لتعليم البحارة وتدريبهم.

كذلك قام «محمد على» بتحديث الترسانة القديمة التى كانت بالاسكندرية، وعهد برئاسة الهندسة فيها الى رجل يدعى شاكر افندى السكندرى، يعاونه مهندس بارع من الاسكندرية اسمه الحاج عمر، وهو من مشاهير المعلمين فى فن بناء السفن.

وأنشأ «محمد على» ادارة خاصة للاساطيل المصرية جعل رئاستها لصهره (محرم بك) مع بقائه محافظا للاسكندرية، وقد اشترك هذا الاسطول الذى بناه «محمد على» للبحر المتوسط فى حرب المورة، وعاون الجيش المصرى على محاربة اليونانيين.

ولما تحطم هذا الاسطول فى معركة (نفارين) البحرية سنة ١٨٢٩ عزم «محمد على» على انشاء اسطول جديد يعوض مصر اسطولها القديم، وشرع فى تكوينه من السفن الحربية التى كان قد امر بصنعها فى الثغور الاوروبية، ثم اعتزم ان ينشئ اسطولا جديدا تبنيه اياد مصرية، حتى لا تكون



مصر عالة على البلاد الاوروبية فى انشاء السفن الحربية. فوجه همه الى تأسيس ترسانة بحرية كبرى بالاسكندرية، وقد استعان لتحقيق هذا المشروع بمهندس فرنسى ماهر يدعى المسيو (سيريزى) خلفه فى عمله مهندسون مصريون بعد استقالته وكانت موافقة «محمد على» على مشروع سيريزى يوم ٩ يونيو ١٨٢٩ وفى يوم ٢٥ يوليو من نفس العام يحتفل بوضع الاساس لبناء ترسانة السفن بالاسكندرية ليكون واحدا من مشاريع مصر الحديثة الضخمة.

وكانت تقام للسفن الحربية التى يتم إنشاؤها حفلات فخمة ابتهاجا بنزولها البحر كالحفلات التى تقيمها الحكومات الاوروبية فى ثغورها البحرية لمناسبة انشاء البوارج الجديدة، وكان «محمد على» يحضر بنفسه معظم هذه الحفلات تقديرا لها وإعلاء لشأن الاسطول المصرى.

وأنشأ «محمد على» معسكرا بحريا لتعليم البحارة من الجنود الاعمال البحرية ليكونوا بحارة الاسطول وجنوده انتقاهم من كل المديريات وأعد لاقامتهم وتدريبهم الجهة الشمالية من رأس التين بالاسكندرية بحيث تتسع لعشرة آلاف نفس.. ولما تم تدريب البحارة وزعوا على السفن الحربية فانتظمت طوائف الجند البحرية وصار نظامهم يضارع الانظمة البحرية بالأساطيل الاوروبية.

وأنشأ «محمد على» مستشفى للبحرية فى رأس التين ومستشفى آخر فى ترسانة الاسكندرية.

كذلك أنشأ مدرسة بحرية لتخرج الضباط البحريين على ظهر احدى السفن الحربية. وقد تخرج فى المدرسة كثير من الضباط البحريين الذين اشتهروا فى الاعمال والحروب البحرية ورفعوا علم مصر عاليا فى أعالى البحار او تولوا الادارة البحرية فى مصر.

ولم يكتف «محمد على» بانشاء المدرسة البحرية بل كان يختار بعض الضباط البحريين ويرسلهم الى فرنسا وانجلترا لاتمام علومهم بها وممارسة الفنون البحرية على ظهر السفن الحربية الاوروبية، ومن هؤلاء الذين ارسلوا الى فرنسا ضمن البعثة الاولى : عثمان نورالدين باشا، وحسن باشا الاسكندرانى، وشنان افندى، ومحمود افندى نامى، ولما أتم هؤلاء علومهم وتجاربهم عادوا إلى مصر ووزعوا على السفن الحربية المصرية.

ومن الذين أرسلهم «محمد على» إلى اوروبا: حسن بك السعران الذى اوفد الى فرنسا، ومحمد راتب باشا الذى اوفد الى انجلترا وبعد ان اتقن هذان الطالبان فن الهندسة البحرية عادا الى مصر وعينا رئيسين لقسم الهندسة وانشاء السفن بترسانة الاسكندرية، وتوليا العمل الذى كان يقوم به سيريزى بك بعد استقالته من منصبه بدار الصناعة

ومن أجل اعمال العمران التى تمت فى عصر «محمد على» انشاء (فنار) الاسكندرية، الذى أنشأه المهندس المصرى جعفر مظهر باشا، احد خريجى البعثات، بشبه جزيرة رأس التين لارشاد السفن القادمة إلى الميناء والخارجة منه.

وبذل «محمد على» جهدا كبيرا فى توسيع ميناء الاسكندرية وتعميقه.





سليمان باشا

ولد سليمان باشا عام ١٧٨٧ وتوفى عام ١٨٦٠ وهو ضابط فرنسى جاء مع الحملة الفرنسية إلى مصر وبعد انتهاء الحملة ترك العسكرية وعمل بالتجارة والزراعة والتقى بمحمد على الذى عهد إليه تنظيم الجيش المصري على الأساليب الحديثة، واعتنق الإسلام ومنحه محمد على لقب «باشا».

كما أنشأ الميناء حوضا لترميم السفن على يد (موجيل بك) المهندس الفرنسى عام ١٨٤٤ وأنشأ بعد ذلك رصيفا للشحن فى الميناء من سكك حديدية تصل مستودعات البضائع والغلال بالرصيف لتسهيل نقلها إلى السفن.

ولقد قاد الاسطول المصرى فى عهد «محمد على» الفريق اسماعيل ابوجبل، وهو الذى قاده فى اوائل الحرب اليونانية، وأطلقت عليه المراجع الفرنسية اسم اسماعيل جبل طارق، وأبوجبل، وقد توفى اثناء تلك الحرب.

كما تولى قيادته فى الدور الثانى من حرب اليونان الاميرال محرم بك، صهر«محمد على»، وحضر معركة نفارين، وتوفى يوم ٢٠ ديسمبر ١٨٤٧.

▲▲

ميدان سليمان باشا الفرنساوى وهو الميدان الذى خلد اسم القائد الكبير سليمان باشا والذى عهد إليه محمد على تنظيم الجيش المصرى

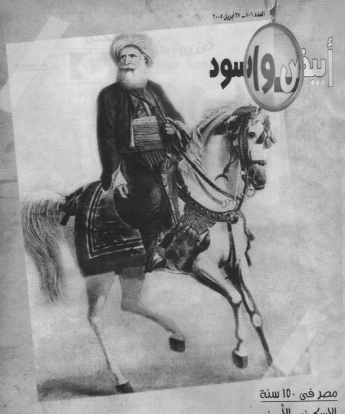
كذلك تولى قيادته الاميرال عثمان نورالدين باشا سنة ١٨٢٧، بدلا من محرم بك فى الحرب السورية الاولى وحصار عكا، وقد توفى عام ١٨٣٣.

وتولى الاميرال مصطفى مطوش باشا قيادة الاسطول بدلا من الأميرال عثمان نورالدين باشا، وبقى فى منصبه حتى وفاته عام ١٨٤٣، وكان من خيرة قواد البحر الذين ازدان بهم تاريخ البحرية المصرية.

وتولى الأمير محمد سعيد باشا، ابن «محمد على» وهو الذى ارتقى عرش مصر خلفا لعباس باشا الاول، قيادة الاسطول بعد مطوش باشا حتى توليه الحكم. وقد قاد سعيد باشا الاسطول المصرى فى حرب القرم من عام ١٨٣٥ إلى عام ١٨٥٥ وحقق الجيش المصرى نصرا كبيرا على الجيش الروسى ■■

في الحلقة القادمة **محمد على يستكمل النهضة التى بدأها بمصر فى مجالات الزراعة والصناعة والطباعة**

العدد ٨٠١ – ٢٧ أبريل ٢٠٠٥



مصر فى ١٥٠ سنة

الإسكندر الأصغر

ثورة العمران فى عهد محمد على

مصر فى 150 سنة

1805 : 1952

الإسكندر الأصغر

1805 : 1849


محمد على
١٨٠٥ : ١٨٤٩

ابراهيم

عباس الأول

سعيد

اسماعيل

توفيق

عباس حلمى

حسين كامل

فؤاد الأول

فاروق الأول

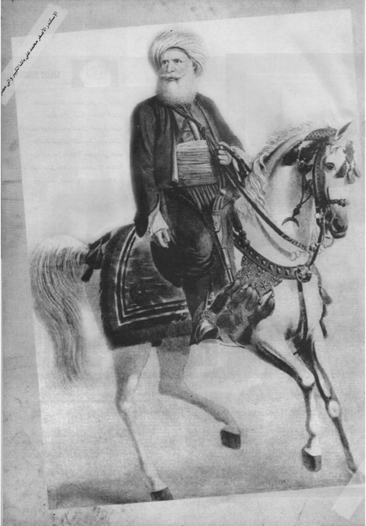
"خرج من مقدونيا فى التاريخ الحديث مثلما خرج الإسكندر الأكبر منها.. فى التاريخ القديم وكل منهما شرع فى فتح العالم وإقامة إمبراطورية كبرى .. فنجح الأول فيما أراد برغم أن الموت أدركه وهو صغير ، لكن الثانى ترصدت له الدول الكبرى وكانت له بالمرصاد فحسرت نجاحه وتعقبته دون أن تمهله ليكمل مشواره وقضت على الحلم الكبير الذى عاش فيه نصف قرن من حياته ."

الحلقة الثالثة

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :

أ.د. عطية القوصى

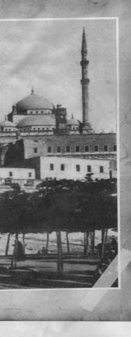


الإسكندر الأصغر محمد على باشا الكبير والى مصـ



محمد على

اتجهت أنظار محمد على من أوائل حكمه إلى إصلاح حالة البلاد الاقتصادية وإنشاء أعمال العمران فيها لإنماء ثروتها القومية .. ولم تفتر عزيمته عن متابعة جهوده من هذه الناحية حتى خلَّف وراءه أعمالا جليلة ومنشآت رائعة ازدان بها تاريخه ..



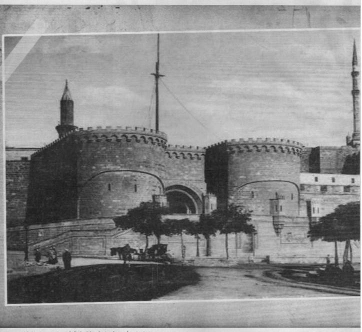


لم يفت محمد على وهو فى سبيل إصلاح حال البلاد توجيه عنايته للطباعة والنشر والصحافة لاتصالها بالنهضة العلمية التى شملت كل نواحى الحياة فى عهده فأرسل إلى روما وميلانو (نيقولا مسابكى أفندى) عام ١٨١٦ للتخصص فى فن الطباعة وقد اعتزم من ذلك الحين إنشاء مطبعة بولاق وتم تأسيسها فى نوفمبر عام ١٨٢٠.. وجعل نيقولا مديرا لها وأمدها محمد على بكل مايلزمها من الحروف والمكابس والآلات حتى استوفت حظا كبيرا من الاتقان.. وأعدها لطبع لوائح الحكومة ومنشوراتها ولطبع الكتب العلمية فى الفنون المختلفة وأشرفت على المطبعة نظارة الأشغال.

واختار محمد على لتصحيح مطبوعاتها طائفة من كبار علماء الأزهر وفى هذه المطبعة ظهرت باكورة الكتب المؤلفة والمترجمة فى بدء النهضة العلمية الحديثة فكانت من دعائم هذه النهضة.

وفى مطبعة بولاق كانت تطبع الوقائع المصرية وهى الجريدة الرسمية للحكومة أسست عام ١٨٢٨ وصدر أول عدد منها يوم ٣ ديسمبر ١٨٢٨ الموافق ٢٥ جمادى الأولى عام ١٢٤٢هـ وكانت تصدر بالعربية والتركية ثم اقتصرت على اللغة العربية وهى أول جريدة عربية أسست فى مصر ..

وتعد منشآت الرى والزراعة من



▲▲ دار المحفوظات أو «الدفترخانة».. ذاكرة الأمة التى تحتوى على الوثائق والمحفوظات.. محمد على باشا أنشأها لتبقى شاهدا على إنجازاته

أعمال محمد على الجليلة ويأتى فى مقدمتها شق ترعة المحمودية وكانت الاتربة والرمال قد طمرتها فشرع فى حفرها وكان غرضه من شق تلك الترعة إحياء الأراضى الزراعية فى محافظة البحيرة وجعل الترعة طريق المواصلات النيلية بين الاسكندرية وداخل البلاد.. وقد عهد بتصميم حفرها إلى المهندس الفرنسى (مسيو كوست Coste) ولما تم حفرها افتتحها فى ٢٤ يناير عام ١٨٢٠.. وكان قد اشتغل فى حفر هذه الترعة ٣١٣ ألفا من الفلاحين جىء بهم من محافظات البحيرة والغربية والشرقية والمنوفية والقليوبية والجيزة.

وشقت فى عهد محمد على ترع أخرى هى ترعة الخطاطبة فى البحيرة إلى جانب ترعة المحمودية وامتداد ترعة الجعفرية فى الغربية وترعة الخضراوية وفى الدقهلية ترع: البوهية والمنصورية والشرقاوية وأم سلمة ودويرة وفى المنوفية ترعة النعناعية والسرساوية والباجورية وفى الشرقية ترعة الوادى والمسلمية وبحر مشتول والصاوى وبحر الرمل وترعة بردين ومصرف بلبيس..

وفى القليوبية ترعة الزعفرانية والباسوسية والشرقاوية والقرطامية والبولاقية القبلية وترعة قنبه ومصرف العموم وفى بنى سويف ترعة البرانقة وفى المنيا ترعة الفشن وفى جرجا ترعة السبخة والمرعشلى وفى قنا وإسنا ترعة الشنهورية والرمادى والعقيلى والشال.

ومن أعمال محمد على المتصلة بالزراعة إنشاء الجسور على شاطئ النيل من جبل السلسلة الى البحر المتوسط وأنشأ جسورا أخرى فرعية منها جسر الرقة فى بنى سويف وجسر الطهنشاوى والقيسى والبرانقة



▲▲
قصر السلاملك التاريخى تحفة معمارية شاهدة على نهضة محمد على المعمارية



الكُتاب .. سر النهضة العلمية التى بدأت مع محمد على حيث تخرج فى الكتاب عمالقة فى كل مجالات العلم .

فى المنيا وجسر دنهيا وجسر فاو وجسر بنى كلب والمحرق وكودية بأسيوط وجسر قسطا والشباسات والوادية والمنشأة فى جرجا وجسر فرشوط وجسر أبى دياب فى قنا.

ومن أعماله أيضا إنشاء قناطر عديدة على الترع لضبط مياهها تيسيرا للانتفاع بالرى منها وأهمها : القنطرة الكبرى ذات العيون التسع على بحر مويس بالزقازيق وقناطر المسلمية وبحر مشتول والصفراء والعلاقمة وفاقوس بالشرقية، وقناطر البريجات والمحمودية فى البحيرة، وقناطر البوهية والمنصورية فى الدقهلية وقناطر السنطة والراهبين ودميرة وتيره وبيلة ونشرت فى الغربية. وقناطر النعناعية والقرينين والسرساوية والباجورية وميت عفيف فى المنوفية. وقناطر الشرقاوية والزعفرانية وأبى المنجا فى القليوبية.. وخزان طامية وسنورس فى الفيوم، وقناطر جسر شوشة فى بنى سويف، وقنطرة الرقة فى الجيزة، وقناطر منبال والجرنوس

▲▲
قصر الحرملك أحد القصور التاريخية التى بناها والى مصر وكان مخصصا للحريم



وستشتاد والطحاوية والطهنشاوى فى المنيا. وقناطر العتامية بمنفلوط. وقنطرة أبى عفريته بملوى، وقنطرة على بك بالقرب من أبنوب. وقناطر يسرة وأسيوط وبنى سميع وقلاى فى محافظة أسيوط. وقنطرة السوهاجية بسوهاج. وقنطرة الشباسات وسمهود والمصالحة فى جرجا. وقنطرة المراشدة بفرشوط بمحافظة قنا.

وكانت أراضى الوجه البحرى تروى بطريق رى الحياض كرى الوجه القبلى، فلا زرع فيها إلا المحاصيل الشتوية، ولا يزرع الصيفى الا على شواطئ النيل او شواطئ الترع القليلة المشتقة منه. وقد اخذ محمد على فى تغيير هذا النظام بالتدريج اذ أخذ فى شق الترع وتطهيرها واقامة الجسور على شاطئ النيل ليضمن توفير المياه للرى طول السنة.

وصارت الترع تروى الاراضى فى غير اوقات الفيضان جهد المستطاع ولا سيما بعد اقامة القناطر عليها

وقد توج محمد على اعمال الرى التى اقامها بإنشاء (القناطر الخيرية)، وهى وان كانت آخر اعماله فى الرى فإنها اعظمها نفعا واجلها شأنا وأبقاها على الدهر اثرا.

وعهد محمد على بدراسة هذا المشروع الى جماعة من كبار المهندسين منهم (لينان باشا) ناظر الاشغال فى عهد محمد على و . فوضع له تصميما وشرع فى العمل وفق هذا التصميم يوم ٣ فبراير عام ١٨٣٤. لكن العمل توقف لبعض الوقت لاسباب عارضة.

وفى يوم ٩ ابريل عام ١٨٤٧ احتفل محمد على بوضع حجر اساس القناطر الخيرية بناء على المشروع الذى وضعه المهندس الفرنسى (موجيل بك) وعاونه فى تنفيذه المهندسان المصريان مصطفى بهجت ومحمد مظهر عام ١٨٤٨.

وفى ٢١ مايو عام ١٨٤٨ يبدأ العمل






من أكثر ما تميز به عصر محمد على إنشاء العديد من القناطر والتى أحدثت ثورة وطفرة كبيرة على الزراعة فى مصر ولعل أكثرها نفعا القناطر الخيرية التى احتفل محمد على بوضع حجر أساسها فى ٩ أبريل عام ١٨٤٧ ولم يتم الانتهاء من العمل فيها إلا فى عام ١٨٦١ .

القناطر الخيرية..أعظم عمل نافع أنشئ فى مصر لضبط مياه النيل بإقامة سد عظيم له عيون عند فرعى الدلتا وأول من اقترح المشروع علماء الحملة الفرنسية

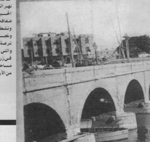






الصناعة اليدوية بدأت مع عهد محمد على حيث راجت بعض الصناعات فى ذلك الوقت .

ترعة المحمودية والتى حفرها محمد على لاحياء الأراضى الزراعية فى محافظة البحيرة وجعل الترعة طريق المواصلات النيلية بين الإسكندرية وداخل البلاد



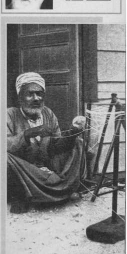
▲▲ نهر النيل مصدر الحياة.. على ضفافه نمت حياة ونشطت زراعة وتجارة وتم شق ترعة المنصورية والتى أسهمت فى زراعة مساحات كبيرة من الأراضى

فى حفر الرياحات الثلاثة على جوانب القناطر. واستمر العمل لاتمام المشروع. ثم اعتراه البطء والتراخى لما أصاب همة الحكومة من الفتور فى اخريات ايام محمد على. ثم توقف العمل بعد وفاته اثناء ولاية عباس الاول بحجة ان حالة الخزانة لاتسمح ببذل النفقات الطائلة التى يتكلفها انفاذ المشروع. وقد تم بناء القناطر تماما وانشئ رياح المنوفية فى عهد ولاية سعيد باشا.

وقد ظهر خلل فى بعض عيون القناطر فى عهد الخديو اسماعيل عام ١٨٦٧، فأصلح الخلل طبقا لآراء موجيل بك، الذى كان قد غادر مصر الى فرنسا، وبهجت باشا ومظهر باشا. ثم تم إصلاح بناء القناطر ثانية فى العصر الحديث لتقويتها، وتمت اعمال الاصلاح والتقوية عام ١٨٩١، وافتتحت فى ذلك العام، واستمرت إلى ما هى عليه الآن.

ولقد رجعت الحكومة فى هذا الاصلاح الى رأى موجيل بك، الذى جاء إلى مصر وقد بلغ الخامسة والسبعين من العمر، فعينته الحكومة مستشارا للقناطر، فتم الاصلاح وفق رأيه، وبذلك اتيح لهذا المهندس الكبير أن يكون على يده انشاء القناطر من ابتداء العمل فيها حتى نهايته.

وللنهوض بالزراعة توسع محمد على فى نطاقها بابتكار انواع



كانت مصر فى عهد محمد على تصدر القمح إلى إنجلترا فى فترة الحروب النابليونية، بين عامى ١٨٠٨ و ١٨١٢ وكانت صناعة غزل القطن والكتان من أهم صناعات مصر التى بدأت مع تولى حكومة محمد على.

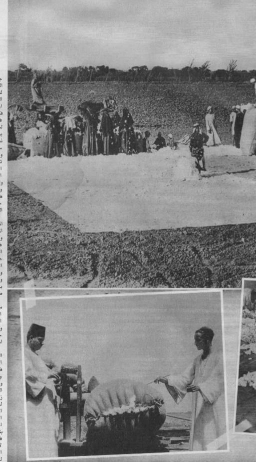
فرضت حكومة محمد على ضريبة «الميرى» على الفلاحين وكانت قيمة الميرى تتراوح بين ١١ قرشا، و٧٠ قرشا على الفدان الواحد، وقد بلغت ضريبة الميرى فى بعض الأراضى الجيدة فى الدلتا وحول القاهرة ٧٨ قرشا على الفدان.

جديدة منها زادت من ثروة مصر الزراعية. فعنى بغرس اشجار التوت لتربية دود القز لاستخراج الحرير الطبيعى. واختار لهذا المشروع اراضى وادى الطميلات بالشرقية، فخصص ثلاثة آلاف فدان ليغرس فيها اشجار التوت وخصص لخدمتها ألفين من الفلاحين جهزهم بستة آلاف رأس من المواشى وأعد نحو ألف ساقية لريها. وجلب من سوريا ولبنان خمسمائة مزارع وصانع من الاخصائيين للقيام على تربية دود القز. ثم عمم غرس اشجار التوت فى محافظات الدقهلية والمنوفية والغربية والقليوبية. ودمياط ورشيد والجيزة. وقد خصص سبعة آلاف فدان فى هذه المحافظات لغرس اشجار التوت حتى بلغ عدد اشجار التوت فى القطر المصرى ثلاثة ملايين شجرة.

ولقد توسع محمد على فى زراعة انواع جيدة من القطن، واخذ القطن المصرى ينافس قطن الهند وامريكا واقبلت على طلبه مصانع النسيج فى فرنسا وانجلترا. وتقدمت زراعة القطن المصرى واخذ محصوله يزداد عاما بعد آخر حتى اصبح، مع توالى السنين اساس ثروة مصر الزراعية ودعامة اقتصادها ودخلها القومى وقد احتكرت الحكومة بيع القطن باكمله طبقا لنظام الاحتكار الذى طبقه محمد على.

ومن المحاصيل التى استحدث محمد على زراعتها فى مصر شجر الزيتون، الذى عمل على غرس اشجاره فى الوجهين البحرى والقبلى. كذلك حذا ابراهيم باشا حذو ابيه فغرس عدة آلاف من اشجار الزيتون فى أرضه الواسعة.

وجلب محمد على بذور (النيلة الهندية) واستحضر بعض الهنود الاخصائيين لزراعتها فى مصر فأخذت زراعتها فى التقدم والنمو وقد احتكرت الحكومة تجارتها وبيعها لطالبيها، وأنشئت الفابريقات الخاصة بها، وتوسع محمد على فى زراعة الحبوب من قمح وذرة وشعير لسد الاستهلاك المحلى وتصدير الفائض منها. كما توسع فى زراعة القنب (التيل) لصنع الحبال كذلك استحضر محمد على من أزمير بتركيا بعض الأرمن الذين تخصصوا فى زراعة الخشخاش (الأفيون) لاستخدامه فى العلاج، وخصصهم لزراعته فى مصر











مصطفى بهجت

مهندس مصرى شارك فى وضع حجر أساس مشروع القناطر الخيرية عام ١٨٤٨ مع المهندس الفرنسى موجيل بك.

واحتكرت الحكومة التصرف فى محصوله.

واهتم محمد على بتقدم الصناعة فى البلاد اهتمامه بتقدم الزراعة، وبخاصة الصناعات الكبرى التى استحدثها بانشاء المصانع الكبيرة (الفابريقات) التى تدار بالآلات وخاصة المصانع الحربية والبحرية كذلك اهتم محمد على بإنشاء مصانع الغزل والنسيج ومصانع الحديد والنحاس، ومن أول هذه المصانع التى أنشأها محمد عام فابريقة الغزل والنسيج بالخرنفش عام ١٨١٦، وقد استدعى لها عمالا فنيين من مدينة فلورنسا بإيطاليا وكانت الأقمشة التى تنسج فى هذه الفابريقة ترسل إلى المبيضة لتبييضها هناك ثم تعاد إلى مخازن الخرنفش لتباع لمن يطلبها ويوجد بهذه الفابريقة (ورش) للحدادة والسباكة والنجارة لإصلاح الآلات التى يصيبها العطب.

▲▲

فى عام ١٨١٤ ألغى محمد على نظام الالتزام الذى كان مفروضا على البلاد تحت الحكمين التركى والمملوكى، واستولت الحكومة على جميع اراضى البلاد وتحولت كل مصر فى عهد محمد على، إلى مزرعة حكومية كبيرة.. وفى الصورة الساقية التى تعد من أهم الوسائل التى استخدمها الفلاح المصرى فى رى الأرض منذ عهد محمد على وربما لاتزال تستخدم حتى الآن

◄◄



الطنبور.. تطور آخر فى وسائل الرى بدأ مع عهد محمد على



كذلك أنشأ محمد على فى بولاق (فابريقة) أخرى لغزل النسيج عرفت باسم (فابريقة مالطة) لغلبة عدد العمال المالطيين بها كما أنشئ إلى جوار تلك الفابريقة مصنعان آخران لغزل القطن عرف أحدهما بفابريقة (إبراهيم أغا) وعرف الثانى بفابريقة (السبتية).

وأنشئ فى حى السيدة زينب معمل لصنع امشاط الغزل، ومصنع للجوخ فى بولاق ومصنع لصنع الحرير فى الخرنفش ومصنع للحبال فى القاهرة، ومصنع للصوف فى القاهرة، ومصنع للطرابيش فى فوه.

كذلك انشئت مصانع للغزل فى المحافظات فى مدن قليوب، وشبين الكوم، والمحلة الكبرى، وزفتى، وميت غمر، والمنصورة، ودمياط، ودمنهور، ورشيد، وبنى سويف، وأسيوط، والمنيا، وفرشوط، وطهطا، وجرجا، وقنا وأنشأ محمد على مصانع للأقمشة الكتانية وتوزعت مصانعها فى مختلف المحافظات.

كذلك أنشأ محمد على معملا لسبك الحديد فى بولاق ومصانع لعمل ألواح النحاس التى كانت السفن تبطن بها ومعامل السكر فى الوجة القبلى بداية من عام ١٨١٨، كذلك أنشأ مصانع أخرى مختلفة لصنع الصابون ودبغ الجلود، ولصنع الزجاج والخزف، ولصنع الشمع وصنع الورق، ومعاصر للزيت.

واهتم محمد على بتجارة مصر الخارجية، التى ازدهرت فى عهده واتسع نطاقها، لازدياد منتجات وحاصلات مصر الزراعية والصناعية، وكان لازدهار زراعة القطن وتصنيعه اثر كبير فى ازدهار تجارة مصر الخارجية مع الدول الأوروبية وقد ربحت الحكومة من ذلك ارباحا طائلة وكانت الحكومة تحتكر هذه التجارة جميعها احتكارا







محمد مظهر باشا

المهندس المصرى الثانى الذى شارك فى تنفيذ مشروع القناطر الخيرية أهم المشروعات التى ارتبطت بنهر النيل.

كاملا.

وقد ساعد انشاء الأسطول فى البحرين المتوسط والأحمر على توسيع نطاق النقل البحرى بين مصر والعالم الخارجى.

وكان لإصلاح ميناء الاسكندرية وتوسعته فضل كبير فى هذا الصدد، فنشطت التجارة الخارجية نشاطا كبيرا.

وقد عنى محمد على ببناء القصور فى القاهرة وفى المحافظات فمن ذلك انه أنشأ بالقلعة قصره الشهير المعروف (بقصر الجوهرة) الذى كان مقرا للحكم فى عهده.

كذلك أنشأ قصر (الزعفران) بشبرا، وقصر (رأس التين)

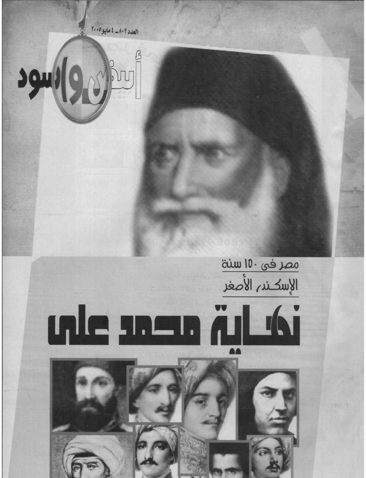
▲▲ مقر سراى الزعفران والذى أقامه محمد على ضمن عدد من القصور مثل قصر رأس التين بالإسكندرية

بالاسكندرية، وهى أعظم قصوره وأفخمها، كما أنشأ قصر (السلاملك).

وإلى جانب القصور أنشأ محمد على (الدفترخانة) بجوار القلعة لتحفظ بها وثائق الحكومة ودفاترها وسجلاتها، وهى من أهم منشآته.

وقد أنشأ محمد على بركة الأزبكية وحفر حولها قناة تتصرف إليها مياه البركة، فظهرت أرضها وتحولت إلى بستان كبير، وهو البستان الذى أنشئت فى وسطه حديقة الأزبكية الحالية فى عهد الخديو إسماعيل كذلك بنى محمد على جامعه الكبير بالقلعة وقد أوصى بأن يكون فيه مدفنه. ■■

فى الحلقة القادمة معارك محمد على وتوتر علاقته مع الدولة العثمانية والحروب التى خاضها حتى نهاية حكمه.



العدد ٨٠٢ - ٤ مايو ٢٠٠٥
أبيض وأسود
مصر فى ١٥٠ سنة
الإسكندر الأصغر
نهاية محمد على

مصر فى 150 سنة
1952 : 1805

الإسكندر الأصغر



1849 : 1805

" خرج من مقدونيا فى التاريخ الحديث مثلما خرج الإسكندر الأكبر منها.. فى التاريخ القديم وكل منهما شرع فى فتح العالم وإقامة إمبراطورية كبرى .. فنجح الأول فيما أراد برغم أن الموت أدركه وهو صغير ، لكن الثانى ترصدت له الدول الكبرى وكانت له بالمرصاد فحسرت نجاحه وتعقبته دون أن تمهله ليكمل مشواره وقضت على الحلم الكبير الذى عاش فيه نصف قرن من حياته . "

الحلقة الرابعة



محمد على
١٨٠٥ : ١٨٤٩

ابراهيم
عباس الأول
سعيد
اسماعيل
توفيق
عباس حلمى
حسين كامل
فؤاد الأول
فاروق الأول

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :
أ.د. عطية القوصى



الإسكندر الأصغر محمد علي باشا الكبير والي مصر



محمد على

طبق محمد على فى مصر نظام حكم الفرد المطلق، وذلك بعد تخلصه من الزعامة الشعبية، وعلى رأسها السيد عمر مكرم، وقد حاول محمد على أن يصبغ حكمه بمظهر ديمقراطى بتشكيل بعض المجالس والدواوين لتساعده فى حكم البلاد، ولم يكن رأى هذه المجالس ملزما له بل كان استشاريا ولقد أصبح محمد على، باختيار الشعب المصرى له حاكما، جزءا من كيان الشعب المصرى، فأصبح مصريا حكما وسياسة وعملا.

نهاية محمد على

انقسم المجتمع فى عهد محمد على إلى ثلاث طبقات، كانت الطبقة الحاكمة تشكل الطبقة العليا، وعامة الشعب من فلاحين وعمال تشكل الطبقة الدنيا، بينما شكل العلماء وطلاب البعثات العائدون من الخارج الطبقة الوسطى.

وفى السياسة الخارجية حاول محمد على فرض إمبراطوريته التى أقامها على يد الجيش والأسطول المصريين على العالم الخارجى. لكن الدول الأوروبية لم ترتح إلى ذلك الأمر وعملت جاهدة على إعادة (باشا مصر) إلى وضعه الأول واليا تابعا للدولة العثمانية مستخدمة القوة العسكرية فى تحجيم محمد على.

ولقد حكم محمد على مصر حكما مطلقا، تسود فيه قاعدة حكم الفرد المطلق، وكانت هذه نقطة الضعف فى تاريخه، إلا أن ميزته أنه كانت لديه فكرة النظام والإصلاح. كما أنه كان يميل إلى مشاورة مستشاريه فى الأمور قبل الشروع فى تنفيذها. ومن هنا قام محمد على بتأسيس بعض المجالس أو (الدواوين) التى كان يرجع إليها فى مختلف الشئون.

فألف مجلسا للحكومة سماه (الديوان العالى)، ومقره القلعة وكان يتداول مع أعضائه فى الشئون المتعلقة بالحكومة قبل الشروع فى تنفيذها. ويلقب رئيس هذا الديوان بلقب (كتخدا باشا) أى وكيل الباشا أو نائب الباشا، وهو لقب تركى، وكان صاحبه بمثابة رئيس الوزراء، وصار هذا الديوان يعرف على مدى السنين بالديوان الخديوى، وديوان المعارضة.



▲▲ قلعة صلاح الدين التى اتخذها محمد على باشا مقراً لحكمه وقد أحاطت بها البنايات ولكنها ظلت أحد أهم الأماكن الأثرية الخالدة فى مصر

ولقد ألف لكل فرع من فروع الحكومة ديواناً يختص به، فكان هناك ديوان للحربية (الجهادية) وديوان البحرية، وديوان للتجارة والشئون الخارجية، وديوان المدارس (المعارف العمومية) وديوان الأشغال.

كذلك ألف محمد على عام ١٨٢٩ (مجلس المشورة)، وجعل رئاسته لابنه (إبراهيم باشا)، وهو يتألف من كبار موظفى الحكومة وكبار العلماء وأعيان البلاد. وكانت سلطة هذا المجلس استشارية، ويتبين من الاطلاع على ما نشرته (الوقائع المصرية) من قرارات هذا المجلس نوع الأعمال التى تم تداولها فيه فظهر أن أغلبها كان خاصا بالإدارة والتعليم والأشغال والقضاء، وأن معظم قراراته كانت بناء على اقتراح الأعضاء الموظفين فيه.

وفى عام ١٨٣٧ وضع محمد على قانونا أساسيا عرف بقانون (سياسة نامة) أحاط فيه بنظام الحكومة واختصاص كل مصلحة من مصالحها العامة، وقد حصر السلطة فى سبعة دواوين هى: الديوان الخديوى، وديوان الايرادات، وديوان الجهادية، وديوان البحر، وديوان التجارة، وديوان الفابريقات، وديوان المدارس. وكان مفروضا على رئيس كل ديوان من هذه الدواوين أن يقدم للباشا محمد على تقريرا أسبوعيا عن أحوال ديوانه، وكشفا شهريا بحساباته إلى تفتيش الحسابات وميزانية سنوية عن الايراد والمنصرف.

وفى شهر يناير عام ١٨٤٧ ألف محمد على ثلاثة مجالس جديدة أولها وأهمها (المجلس الخصوصى)، واختصاصاته النظر فى شئون الحكومة الكبرى وسن اللوائح والقوانين وإصدار التعليمات لجميع مصالح الحكومة، وكان يرأس هذا المجلس ابنه إبراهيم باشا، ويتكون أعضاؤه من: كتخدا باشا (عباس باشا)، حفيد محمد على، وأحمد باشا يكن، وحسن بك رئيس جمعية





باغوث باشا

تولى مناصب مهمة فى عهد محمد على منها محافظ الإسكندرية ووزير التجارة.



على باشا شريف

أرسله محمد على إلى فرنسا ضمن بعثة تعليمية عام ١٨٤٤ وعاد مؤهلا وأسند إليه رئاسة مجلس الشورى.



الحقانية، وبرهان بك.

والمجلس الثانى هو (المجلس العمومى) أو الجمعية العمومية بديوان المالية، وهى هيئة مؤلفة من مدير المالية، ووكيل الديوان الخديوى، ومدير الحسابات، ومدير المدارس، ومفتش الفابريقات، وينعقد هذا المجلس مرتين فى الأسبوع على الأقل، وينظر فى شئون الحكومة العمومية التى تحال عليه ويرسل قراره إلى المجلس الخصوصى. فإذا وافق عليه أحاله على الباشا ليأمر بتنفيذه.

والمجلس الثالث، هو (مجلس عمومى) آخر بمدينة الإسكندرية يختص بالنظر فى شئون المدينة ويرأسه ناظر ديوان الإسكندرية وأعضاؤه هم: ناظر ديوان البحرية وناظر ديوان التجارة، وناظر الترسانة، وأمين الجمرك.

ولقد أصبح محمد على بولايته الحكم بإرادة الشعب المصرى، جزءا من الهيئة الاجتماعية المصرية، فأصبح مصريا حكما وسياسة وعملا. وزاد هذا الاندماج فى المجتمع المصرى أنه رهن مصيره ومصير أسرته بمركز مصر ومستقبلها، واتخذ مصر موطنا له ورضيت هى به عاهلا وقائدا لها وكان ذلك أول عمل سياسى واجتماعى لمحمد على ولأعوانه فى

▲▲

محمد على حرص على دمج طائفة العربان وهم البدو المنتشرون فى أطراف البلاد فى جسم الأمة ومنحهم الأراضى لزراعتها دون دفع أية ضرائب

الحكم ممن كانوا فى الأصل من عنصر غير مصرى.

وقد شكل محمد على وأسرته ومعاونوه الطبقة الحاكمة العليا فى البلاد، واستعان محمد على بالطبقة المتعلمة المصرية، التى تخرجت فى المدارس التى افتتحها ومن شباب البعثات العلمية الذين أرسلهم إلى الخارج لتلقى العلم، وقد شكلوا أساس الطبقة الوسطى فى البلاد، وهؤلاء لما عادوا إلى مصر تسلموا مناصب مهمة فى الدولة وتولوا بعض القيادات فيها، وكان لهم فضل كبير فى تقدم المجتمع المصرى والإدارة المصرية والنهضة الاجتماعية المصرية الكبرى.

ولقد تضاءل فى عهد محمد على دور علماء الأزهر، الذى كان لهم أيام الحملة الفرنسية على مصر بعد أن تخلص من زعمائهم الشعبيين وفى مقدمتهم السيد عمر مكرم فلم يعد لهؤلاء العلماء الأزهريين دور قيادة الشعب ضد تجاوزات محمد على وتجاوزات أعوانه واستبداده بالحكم.

أما الفلاح المصرى فقد ظلت حالته كما هى مثلما كانت أيام حكم المماليك، وزاد على ذلك حرمان الفلاح المصرى من حق ملكية الأرض واستئثار محمد على وأسرته وأعوانه بملكية الأرض الزراعية جميعا وتسخير الفلاحين فى العمل سخرة فى معظم الأحيان. الأمر الذى جعل الفلاحين يهربون من زراعة الأرض ويتجهون للعمل فى المصانع مما أثر على إنتاجية المحاصيل الزراعية فى مصر آنذاك. هذا فضلا عن انتظام عدد كبير من الفلاحين فى الجندية وموت أعداد كبيرة منهم فى الحروب الكثيرة التى خاضها محمد على.

أما الصناع، فقد ساءت أيضا أحوال أصحاب الصنائع اليدوية الصغيرة بعد أن أدخل محمد على نظام الاحتكار والصناعات الكبيرة، الأمر الذى أثر على أصحاب هذه الحرف واضطر أصحابها إلى البحث عن وسيلة أخرى للعيش، أو العمل كأجراء فى مصانع الدولة الكبيرة وبخاصة المصانع الحربية.

وكذلك اضمحلت فى عهد محمد على طبقة التجار لاحتكار الحكومة التجارة الداخلية والخارجية وصار

محمد على





لينان دى بلفون باشا

ناظر الأشغال فى عهد محمد على باشا .



مصطفى مختار بك

أول ناظر للمعارف من تلاميذ بعثة ١٨٢٩ بفرنسا .

محمد على هو التاجر والصانع والزارع الأوحد.

ولقد بقيت طبقة الأعيان، التى كانت ماثلة فى عهد الحكم المملوكى لمصر، على وصفها السابق، وظل أصحاب البيوتات والعصبيات القديمة حافظين لمكانتهم، غير أنهم فى عصر محمد على صاروا أكثر خضوعا للحكومة مما كانوا عليه فى السابق.

ومن أهم أعمال العمران التى قام بها محمد على هو إدخال طائفة العربان، وهم البدو المنتشرون فى أطراف البلاد، ودمجهم فى جسم كيان الدولة الاجتماعى وذلك بإقطاعهم أراضى شاسعة على أطراف المدن يستقرون فيها ويزرعونها دون أن يدفعوا ضرائب عنها.

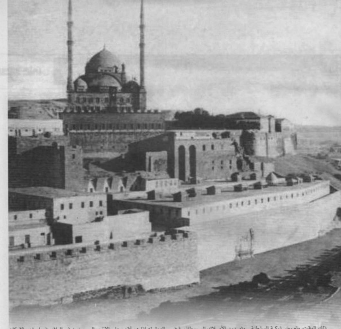
فنجح محمد على فى جعل هؤلاء العربان يدخلون فى حظيرة العمران ويستقرون فى مناطق إقطاعهم ويتحضرون بعد أن كانوا يعيشون عيشة البداوة ويغيرون على المدن الأهلة ويتمرد بعضهم بالثورة فى بلاد الصعيد.

▲▲

حى الخليفة فى عهد محمد على ومسجد محمد على بقلعة صلاح الدين

وبالنسبة للسياسة الخارجية لمحمد على، فقد عمل على الاستئثار بالسلطة فى البلاد، والتحرر من السيطرة العثمانية عليها، وحمايتها من أطماع الدول المتربصة بها خصوصا إنجلترا وفرنسا. وكانت علاقته بالباب العالى علاقة حذرة وغير مطمئنة على استمرار ولايته على مصر. فلقد كانت سياسة الباب العالى وعلاقته مع مصر علاقة السلطان بإحدى ولاياته يولى عليها من يشاء ويعزل منها من يشاء وقتما يشاء، دون أن يراعى فى ذلك مصلحة البلاد. فكان محمد على فى قلق دائم مع السلطان، الأمر الذى من شأنه أن يعطل دائما أى رغبة عنده فى الإصلاح.

كذلك كان الضعف الذى أصاب الدولة العثمانية التى صارت تعرف بسببه (برجل أوروبا المريض) فى



ذلك الوقت، وتعرض تركة السلطنة إلى خطر التقسيم عاجلا أو آجلا مصدر فزع مستمر لمحمد على، الذى رأى إلى جانب تهديده بالعزل وعدم استقراره فى ولايته، احتمال اقتطاع ولاية مصر من جثمان الدولة العثمانية وضياعها نهائيا من قبضة يده باستيلاء إحدى الدول الأوروبية عليها.

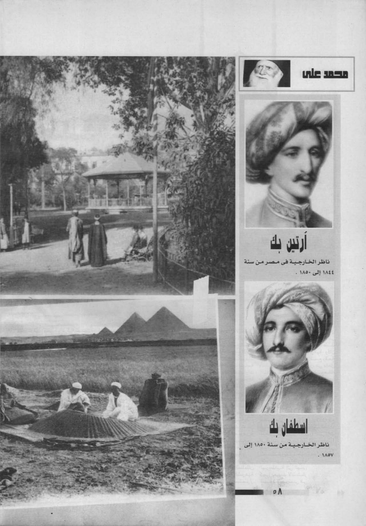
أما الدولة التى كانت ترغب خاصة فى اقتسام الأملاك العثمانية، وهى روسيا القيصرية، فإنها مافتئت تعمل منذ نهضتها إبان حكومة (بطرس الأكبر) على زوال الدولة العثمانية بجميع الطرق والوسائل، وقد دعا ذلك إلى تنبه الدول الأوروبية الغربية، وخصوصا انجلترا وفرنسا إلى الخطر الذى يحدث للتوازن الدولى فى أوروبا بسبب امتداد النفوذ الروسى فى البلقان وسقوط مضيقى البسفور والدردنيل فى قبضة روسيا وتهديد المصالح الأوروبية فى الشرق الأدنى وآسيا، وتهديد الأملاك البريطانية فى الهند.

لهذا كله اتجه محمد على إلى تدعيم قوته فى مصر، والاحتفاظ بها لشخصه ولذويه من بعده، وذلك بالنهوض بالبلاد وتنمية مواردها وبناء جيش حديث تدعمه قوة المال والعلم الحديث، يفتح به إمبراطورية كبرى فى آسيا وأفريقيا، فيصبح بفضل فتوحه الجديدة قوة لا تتمكن الدول الغربية من افتراسها، ويدرأ عن نفسه خطر التقسيم وضياع مصر من قبضته، هذا من جهة ومن جهة أخرى يسبق الدول الأوروبية ذاتها بفضل قوته الجديدة إلى طرح المسألة الشرقية على بساط البحث من جديد بهدف التوصل إلى حل يكفل له الاعتراف بإمبراطوريته الحديثة وراثية فى ذريته سواء تم ذلك فى نطاق الدولة العثمانية أو خارجا عنها.

ولقد أدرك محمد على فى السنوات الأولى من حكمه، معارضة الدول له إذا هو أقدم على الانفصال عن تركيا، مما كان له أثره فى علاقته المستقبلية مع الدولة العثمانية من جانب، ومع الدول الأوروبية من جانب آخر خصوصا انجلترا وفرنسا. ولذا تأثرت سياسة محمد على الخارجية باعتبارات عديدة جعلت من السهل تمييزها إجمالا فى دورين: الدور الأول: من تاريخ وصوله إلى الولاية حتى عام ١٨٣٠ عندما استقلت بلاد اليونان وانفصلت نهائيا عن السلطة العثمانية، والدور الثانى هو الذى ينتهى بأزمة حكمه العصيبة عام ١٨٤٠، وهى الأزمة التى أسفرت عن تحقيق مآرب الوالى الجوهرية بضمان الولاية الوراثية لذريته من بعده، ولكنها أخضعت مصر، من جهة أخرى، لنفوذ الوصاية الأوروبية.

وانصرفت همة محمد على فى الدور الأول إلى استمالة السلطان العثمانى صاحب السيادة الشرعية عليه، وحتى يطمئن إلى استمرار وضعه فى البلاد، فعمل بقدر الامكان على إرضائه، وسير الحملات التى تصدت للثورات التى قامت ضد السلطنة فى أطرافها المترامية، وكان يرجو فى ذات الوقت أن تتسع رقعة ممتلكاته وأن يقوى مركزه فى داخل البلاد وخارجها بفضل فتوحاته وانتصاراته، ولم يبد السلطان ارتياحا تاما فى هذا الدور لزيادة قوة محمد على ونجاح فتوحاته، فتحرجت العلاقات بين الطرفين حتى ساءت تماما خلال الدور الثانى.

وفى الدور الثانى ازدادت متاعب محمد على، بسبب سوء علاقته مع الباب العالى أولا، ثم بسبب العداء الدفين بينه وبين انجلترا التى رأت فى ازدياد قوته من أول الأمر خطرا يهدد أطماعها فى بلاد العرب وفى الحبشة ويهدد طريق مواصلات الإمبراطورية البريطانية إلى الهند، كما يمهد لانتشار النفوذ الفرنسى فى



أرتين بك

ناظر الخارجية فى مصر من سنة ١٨٤٤ إلى ١٨٥٠ .

اسطفان بك

ناظر الخارجية من سنة ١٨٥٠ إلى ١٨٥٧ .

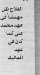
حديقة الأزبكية التى أنشأها محمد على فى وسط القاهرة وتحيط بها بركة الأزبكية

مصر وفى ممتلكاتها الجديدة وللنفوذ الروسى فى آسيا وأوروبا.

وفى خلال الدور الثانى لم يتصور محمد على مستقبل مصر السياسى كوحدة قائمة بنفسها، ولكنه رسم ذلك المستقبل على أساس تكوين ملك عربى واسع منفصل، عن جسد الدولة العثمانية يتألف من مصر والسودان وبلاد العرب والشام والعراق، بحيث تكمل هذه الوحدات الإقليمية بعضها بعضا ويشد بعضها أزر بعض فى مجالات التعاون العسكرى والاقتصادى والثقافى.

وكان محمد على يؤمن بأن خلق هذه الكتلة المصرية العربية فى ذلك الجزء من الشرق الأوسط، قلب العالم العثمانى، هو أقوى ضمان للحفاظ على سلامة هذه المنطقة من الأطماع الأوروبية التى بدأت تتجه إليها وتسعى إلى غزوها.

وأيا ما كان الأمر، فقد كان محمد على طوال هذا الدور، كما كان الحال خلال الدور السابق، يعتمد على صداقة فرنسا وتعاطفها معه فى نزاعه السياسى مع الدولة العثمانية وبريطانيا، بعد أن فشل فى استمالة الانجليز إلى جانبه لكن فرنسا خذلت محمد على بعد أن وقعت مع انجلترا اتفاقية (هنكارا سكلسى) **Unikiar - Skelessi** عام ١٨٣٣ وتركت محمد على فى كفاحه منفردا أمام تركيا وانجلترا، حتى كانت حرب الشام الثانية وتقهقر الجيش المصرى بقيادة إبراهيم باشا وانسحابه من سوريا وتعرض مصر نفسها للخطر، فأسرعت فرنسا عندئذ لملاقاة ما أهملت وتدخلت، وتمكن محمد على بفضل هذا التدخل من الحصول على فرمانات عام ١٨٤١ التى حفظت له ولذريته الولاية الوراثية فى مصر.



الفلاح ظل مهمشاً فى عهد محمد على كما كان فى عهد المماليك

فى الدور الأول من سياسة محمد على الخارجية حارب محمد على الوهابيين فى الجزيرة العربية لاستمالة السلطان إلى جانبه ولضمان استقرار وضعه فى البلاد، حين عجزت جيوش الدولة العثمانية عن كسر شوكة الوهابيين وإخضاعهم، وقد لجأ السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ ـ ١٨٠٧) إلى محمد على متناسيا ما بينهما من خلافات لاسترداد قوته المشرفة على الزوال فى جزيرة العرب، وآملا فى الوقت نفسه فى أن تضعف حرب الوهابيين قوة محمد على. وقد نجحت قوات محمد على بقيادة ابنيه طوسون وإبراهيم وبقيادته هو شخصيا فى القضاء على الوهابيين والسيطرة على جزيرة العرب وفتح اليمن. لكن الحكومة البريطانية لم تتحمل الوجود المصرى فى اليمن خوفا على طريق مستعمراتها فى الهند.

واستطاعت إنجلترا أن تقنع الدول الكبرى بأن تقف مع السلطان فى حربه ضد محمد على ونجحت فى ذلك مما اضطر محمد على إلى سحب جنوده من الجزيرة العربية واليمن ليتمكن من الدفاع عن مصر ذاتها.

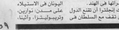
أما فتح السودان، فقد كان تخطيط محمد على له يرمى إلى اخضاع شطرى وادى النيل تحت حكم واحد، وذلك لوحدة التاريخ والأخوة بين القطرين منذ أقدم العصور، وقد اعتبر محمد على السودان هو الحد الطبيعى لحماية مصر من ناحية الجنوب، وداخل قارة إفريقيا، كذلك عزا بعض المؤرخين جملة أسباب لفتح السودان، منها حاجة محمد على إلى تكوين جيش نظامى من أبناء السودان الذين اشتهروا منذ أيام الفراعنة، بصلاحيتهم للجندية وشدة بأسهم فى القتال.

ويرى آخرون أن التنقيب عن الذهب فى السودان كان الدافع الأكبر للفتح، كذلك توسيع نطاق التجارة المصرية والانتفاع بموارد السودان واستعادة طرق القوافل بين مصر والسودان، ومد حدود مصر الطبيعية إلى أعالى النيل.

ولقد قام بفتح السودان إسماعيل باشا الابن الأصغر لمحمد على، ومحمد بك الدفتردار صهر محمد على، وبعد اغتيال إسماعيل عين الدفتردار حاكما عاما على السودان وحكمدارا له فى فبراير ١٨٢٣.

وجرى التنظيم الإدارى فى السودان على نفس القواعد التى جرى عليها فى مصر، فكانت هناك الحكومة المركزية التى اتخذت مقرها فى الخرطوم منذ تأسيسها عام ١٨٣٠ ثم كان هناك المديرون ووكلاؤهم ونظار الأقسام وشيوخ النواحى، واعتبر محمد على مصر والسودان جسما واحدا فلم يفصل بين ميزانية القطرين، وتحملت الخزانة المصرية نفقات طائلة فى سبيل تنمية موارد السودان الاقتصادية.

أما حرب المورة ببلاد الشام، فقد نزع اليونانيون إلى الانفصال عن الدولة العثمانية بعد أن أحسوا بضعفها، فاندلعت الثورة فيها عام ١٨٢١ وأوقع الثوار بالأتراك مذبحة كبيرة، ثم امتدت الثورة عبر مضيق كورنثا إلى الشمال فامتدت إلى مقدونيا وتساليا، وكانت أغراض الثورة هى تحرير اليونانيين من سيطرة الأتراك العثمانيين، ولقد قرر السلطان (محمود الثانى) أن يستعين بمحمد على لإخضاع اليونانيين كما أخضع الوهابيين، ونجح إبراهيم باشا فى حملة على اليونان فى الاستيلاء على مدن: نوارين، وتريبوليتزا، وأثينا،





محمد على





ناظر الضربخانة المصرية «السجون».



سليمان البحيرى

مهندس حربى من تلاميذ بعثة ١٨٢٦ بفرنسا.

وكاد إبراهيم يستولى على كل بلاد اليونان الثائرة لولا تدخل الدول الأوروبية لانقاذ اليونان من جهة وانقاذ الموقف الأوروبى الحافل بالمخاطر من جهة أخرى.

ومن أسباب التدخل الأوروبى فى (المسألة الشرقية) تحول السياسة الروسية تجاه الدولة العثمانية بتولى القيصر (نيقولا الأول) العرش عام ١٨٢٥ بعد وفاة أخيه (القيصر إسكندر)، وكان نيقولا معاديا للدولة العثمانية وأراد مؤازرة اليونانيين فى محنتهم، متخذا من معاهدة بوخارست مع تركيا وسيلة للتدخل لمصلحة اليونانيين لتمزيق أوصال الدولة العثمانية وتحقيق أطماع روسيا القديمة فى الوصول إلى مياه البحر المتوسط الدافئة.

لهذا واجهت بريطانيا خطرين عظيمين أحدهما ازدياد خطر القوة المصرية الحديثة فى حوض البحر المتوسط، وبالتالى ازدياد نفوذ فرنسا الموالية لمحمد على، فى هذا البحر، وثانيهما خطر انفراد روسيا فى التعامل مع تركيا.

وتطورت المحادثات بين الدول الأوروبية الثلاث: انجلترا وفرنسا وروسيا، وانتهى الأمر بعقد معاهدة لندن (٦ يوليو ١٨٢٧) التى أقروا فيها إعطاء اليونان استقلالها الذاتى مع الاحتفاظ للباب العالى بالسيادة الشرعية عليها، واستمرار اليونان فى دفع الجزية السنوية.

وقد وضعت هذه المعاهدة محمد على فى موقف صعب، لأن امتناعه عن إرسال الامدادات إلى المورة كان معناه الرضوخ لإرادة الدول الكبرى ومخالفة الباب العالى، الذى أبى أن يستمع إلى رغبات الدول الثلاث فى التفاوض ورفض معاهدة لندن رفضا تاما.

ولما كانت فرنسا وانجلترا تتوقعان رفض الباب العالى معاهدة لندن، قررتا إرسال أسطوليهما إلى مياه (خليج نوارين) لمراقبة الأسطولين المصرى والعثمانى، ثم تبعتها روسيا فأرسلت أسطولها، وفى يوم ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ وقعت معركة (نوارين البحرية) التى انتهت بانتصار الحلفاء وتحطيم الأسطولين المصرى والعثمانى، ونتيجة لهذه المعركة قرر محمد على إخلاء المورة وتسليم أسرى اليونانيين، وقد تم الجلاء المصرى عن المورة فى ديسمبر عام ١٨٢٨ من غير موافقة السلطان العثمانى.

أما حروب الشام، فسببها أن محمد على بعد فقدانه أسطوله فى معركة (نوارين البحرية) أراد تعويضا كافيا من السلطان العثمانى بالحصول على حكومة الشام، الأمر الذى رفضه السلطان بشدة.

ولقد رأى محمد على أن ينتهز فرصة الضعف الذى أصاب العثمانيين فيقتطع لنفسه جزءا من أملاكهم ليكون دعامة للإمبراطورية التى كان يحلم بتكوينها.

لكن الدول الأوروبية، عارضت أمانى محمد على، وكانت تلك المعارضة باعثا للسلطان محمود الثانى على المضى فى عدائه نحو محمد على. فسير محمد على حملة قوية إلى عكا بقيادة ابنه إبراهيم فى شهر أكتوبر ١٨٣١، واستولى عليها عنوة، ثم احتلت الحملة دمشق وحمص وحلب وبيلان، وفر القائد العثمانى (حسين باشا) إلى أطنة وترك سوريا بأكملها فى قبضة

▲▲
قصر الجوهرة بالقلعة وهو القصر الذى بناه محمد على وكان مقراً لحكمه.. القصر تعرض للحريق عام ١٩٧٠



إبراهيم.

وكانت خطة إبراهيم هى متابعة الزحف إلى القسطنطينية ذاتها لعزل السلطان محمود عن العرش وتولية ولى عهده وابنه (عبدالمجيد) مكانه. وقد اتيح لمحمد على ذلك بعد انتصاره على الأسطول العثمانى فى (قونية) يوم ٢١ ديسمبر عام ١٨٣٢، وانفتاح الطريق أمامه إلى القسطنطينية دون وجود أى عائق.

وتقدم الجيش المصرى نحو (بروسة)، واحتل (كوتاهية) يوم ٢ فبراير عام ١٨٣٣، فسارع السلطان بطلب النجدة فورا من روسيا.. وسارع الأسطول الروسى بنجدة السلطان، فدخل مياه البسفور، ونزلت النجدات الروسية قبالة القسطنطينية، وسرعان ما تدخلت إنجلترا وفرنسا وضغطتا على الباب العالى بقبول الصلح مع محمد على، فأثمر ضغطهما إبرام (اتفاقية كوتاهية) يوم ٨ أبريل ١٨٣٣، التى بمقتضاها تثبت حكم محمد على فى مصر والشام وجزيرة كريت، كما تثبت إبراهيم باشا فى باشوية جدة وولاية سواكن ومصوع.

ولم تستقر الأمور لمحمد على فى الشام، فسرعان ما انفجر بركان الثورة هناك ضده فى عام ١٨٣٤، بسبب مكائد الباب العالى وتحريضات عملائه هناك.. كذلك قام السلطان بمحاربة محمد على بعد أن التقط أنفاسه، فأرسل فى عام ١٨٣٩ قواته إلى الشام لإجلاء قوات محمد على منها، لكن هذه القوات لقيت هزيمة ساحقة فى (نصيبين) على يد إبراهيم باشا، وقد توفى السلطان محمود الثانى (يوم ٣٠ يونيو) قبل أن تصله أنباء كارثة نصيبين.

وخلف السلطان محمود ابنه عبدالمجيد، وكان شابا لم يتجاوز السادسة عشرة من العمر، وتحرج مركز السلطنة عندما قام قائد الأسطول العثمانى بتسليم أسطوله لمحمد على فى مياه الإسكندرية فى بداية شهر يوليو، وباتت الدولة العثمانية بلا جيش أو أسطول للدفاع عن نفسها.

ولذلك قررت حكومة السلطان عبدالمجيد أن تتناسى الماضى مع محمد على، وأن تحقن دماء المسلمين، وتمنع التدخل الأجنبى فى الأمر، بشرط أن يؤدى محمد على الطاعة للسلطان، وأن تئول الباشوية الوراثية إليه فى مصر فقط.. فرفض محمد على هذا العرض، وطالب بالوراثة فى كل الجهات التى يحتلها بمقتضى اتفاق كوتاهية.

وأبدى (خسرو باشا) الصدر الأعظم، استعداده لإجابة مطالب محمد على، إلا أن الدول الأوروبية عارضت ذلك، وتدخلت، بحجة ضمان التوصل إلى تسوية حاسمة بين تركيا ومصر تضمن بها الدول عدم تهديد السلام ثانية فى أوروبا وفى الشرق.

ولذا أصدرت الدول الخمس الكبرى (بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا) فى ٢٨ يوليو ١٨٣٩ مذكرة مشتركة بعثت بها إلى السلطان حتى لا يبرم صلحا منفردا مع محمد على من غير موافقة الدول، فعطل خسرو باشا المفاوضات الجارية مع محمد على.

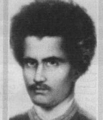
ولقد أبرمت الدول الكبرى معاهدة لندن (١٥ يوليو ١٨٤٠)، وكانت شروطها تقوم على أساس أن يحتفظ محمد على بباشوية





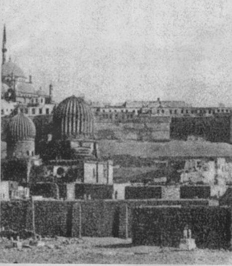
خليل أفندى محمود

تخرج فى مدرسة روفل الزراعية ومن تلاميذ بعثة ١٨٢٩ بفرنسا .



حسن أفندى الوردانى

معلم الرسم والنقش بالمدارس المصرية .



▲▲ مقابر المماليك فى عهد محمد على وكانت قريبة من القلعة وبها ضريح الإمام الشافعى

◄◄ مدافع إبراهيم باشا فى مدينة نفارين باليونان

مصر فقط وراثية فى أسرته، شريطة أن تظل مصر ولاية عثمانية مرتبطة بقيود دفع الجزية وتحديد الجيش والأسطول، وأن يحتفظ محمد على مدة حياته فقط، بحكومة الشام الجنوبية بما فيها عكا. فإذا لم يقبل هذه الشروط خلال الأيام العشرة الأولى من تاريخ المعاهدة تنتزع منه حكومة الشام الجنوبية وتعطى له باشوية مصر فقط. فإذا أصر على عصيانه خلال عشرة أيام أخرى يصير الحق للسلطان فى العدول عما عرضه عليه، وأصبح من حقه التصرف وفقا لمصلحته ولما تنصحه به الدول. وقد تعاهدت الدول بموجب (الاتفاق) المبرم بينهم على إرغام محمد على على قبول هذه الشروط.

وقد حاول السلطان أن يحرم محمد على من الوراثة فى مصر، لكن الدول الأوروبية تدخلت للمرة الثانية واجتمع مسئولوها فى لندن فى ٣٠ يناير عام ١٨٤١ وقرروا حق الوراثة لأسرة

محمد على فى مصر على أن تبقى مصر جزءا لا يتجزأ من ممتلكات الدولة العثمانية. فاضطر الباب العالى إلى الرضوخ وأصدر بذلك (فرمانين) بتاريخ ١٣ فبراير ١٨٤١ أولهما بخصوص مصر والثانى بخصوص السودان أما الفرمان الأول فقد كفل حق الوراثة لمحمد على ولأسرته من بعده فى مصر فقط. على أن يختار الباب العالى بنفسه من يتقلد منصب الولاية من أبناء محمد على الذكور. وأما الفرمان الثانى الخاص بالسودان، فقد نص على تقليد محمد على ولاية مقاطعات النوبة ودارفور وكردفان، وسنار وجميع توابعها وملحقاتها.

ولما كان فرمان ١٣ فبراير الخاص بمصر يتضمن قيودا بشأن ترتيب الوراثة وتقدير الجزية، فقد تدخلت الدول ثانية وأرغمت الباب العالى على تعديله فى مصلحة محمد على، فأصدر بموافقة الدول فرمانا نهائيا فى أول يونيو ١٨٤١ يجعل الولاية من حق الأكبر من أولاد وأحفاد محمد على الذكور، شريطة أن يصدر التقليد بالولاية دائما من الباب العالى، وقد حدد هذا الفرمان الجزية السنوية (٨٠ ألف كيس) وعدد الجيش (١٨ ألف جندى)، وصار للوالى الحق فى منح الرتب العسكرية حتى رتبة (قائممقام)، مع منع بناء السفن الحربية من غير موافقة السلطان.

ولقد اعتلت صحة محمد على فى أواخر أيامه، وأصيب بضعف فى قواه العقلية، ولم يعد فى استطاعته القيام بأعباء الحكم، وقد ظهرت عليه أعراض هذا الضعف غير مرة، ولم ينفع معه الدواء.

فعقد إبراهيم باشا مجلسا خاصا برئاسته، واستقر رأى هذا المجلس على أن يتولى إبراهيم شئون الحكم بدلا من أبيه، فتولى إبراهيم الحكم فى شهر أبريل ١٨٤٧ وأبلغ الأمر إلى الباب العالى





الريف فى عهد محمد على



السلطان محمود

ولاه إبراهيم باشا باشوية مدينة جده.



السلطان عبد المجيد

ابن السلطان محمود الثانى والذى تولى السلطة خلفا لأبيه.

للموافقة على ذلك، وفقا لنصوص فرمان يونيو ١٨٤١.

وأرسل الباب العالى الموافقة بتولى إبراهيم الحكم وبعث إليه بفرمان التقليد. لكن المنية عاجلت إبراهيم فى حياة أبيه، ولم تزد مدة حكمه على سبعة أشهر وثلاثة عشر يوما فتوفى إبراهيم باشا، الفاتح الكبير والبطل العظيم يوم العاشر من نوفمبر عام ١٨٤٨ وله من العمر تسع وخمسون سنة.. وبعد وفاة إبراهيم، ولى الحكم أكبر أحفاد محمد على وهو ابن شقيق إبراهيم طوسون باشا، وهو عباس (باشا) حلمى (الأول).

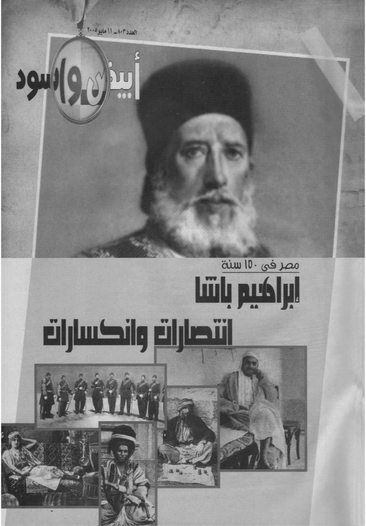
ومازال محمد على مصابا بمرضه العضال إلى أن توفى يوم الثانى من شهر أغسطس عام ١٨٤٩، الموافق الثالث عشر من شهر رمضان عام ١٢٦٥ هجرية، بسراى رأس التين بمدينة الإسكندرية، وقد نقل جثمانه إلى القاهرة ودفن بمسجده بالقلعة حسب وصيته، وكان محمد على قد بلغ من العمر ثمانين عاما، وكانت مدة ولايته على مصر أربعة وأربعين عاما.

وهكذا انتهت حياة ذلك القائد العظيم والمصلح الكبير الذى أسس الدولة المصرية الحديثة، والذى حقق لمصر استقلالها وأتم وحدتها، وشيد دعائم نهضتها، وتمت على يديه الأعمال الجليلة التى نهضت بها مصر، والتى خلدت فى التاريخ ذكراه. ■■

▲▲

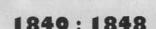
القلعة مقر إقامة والى مصر وكانت تحيط بها الصحراء

فى الحلقة القادمة إبراهيم باشا الذى قاد مصر من نصر إلى نصر.


العدد ٨٠٣ ـ ١١ مايو ٢٠٠٥
أبيض وأسود
مصر فى ١٥٠ سنة
إبراهيم باشا
انتصارات وانكسارات

قائد القرن





"عرف التاريخ الإسلامى قادة عظاما غيروا بفتوحاتهم أحداث التاريخ، أمثال عمرو بن العاص، وسعد بن أبى وقاص، وطارق بن زياد، وموسى بن نصير، وخالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبى.. وبعد أن غابت وغربت شمس أولئك القادة الأبطال الذين سجلوا آيات بينات من النصر ورفعوا راية الإسلام خفاقة فى الآفاق.. أشرقت تلك الشمس من جديد فى سماء مصر فى القرن التاسع عشر بظهور قائد مصر العظيم وصاحب أمجاد انتصاراتها وأكبر المساهمين فى تشييد إمبراطوريتها إبراهيم باشا بن محمد على باشا.. القائد العظيم الذى قاد مصر من نصر إلى نصر، وأقلقت انتصاراته أكبر دول الغرب فتصدوا لحربه، لكنهم لم يستطيعوا النيل منه فرادى فاجتمعوا عليه، فغلبت الكثرة الشجاعة.. وراح البطل الذى اعتلت صحته، لطول بقائه فى ميادين القتال ينظر بعين الألم لانهيار الإمبراطورية التى شيدها بسيفه ومن فوق فرسه، وليلقى ربه، وهو راض عما قدمه لبلاده.. عسى الله أن يجعله فى ميزان حسناته."

الحلقة الخامسة

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :
أ.د. عطية القوصى



إبراهيم باشا الذى تولى الحكم بعد الباشا محمد على وحقق خلال فترة حكمه القصيرة انتصارات كبيرة





١٨٤٨ : ١٨٤٩

أنجب محمد على ابنه إبراهيم باشا فى بلدة قولة من بلاد مقدونيا اليونانية عام ١٧٨٩، وكانت أمه إحدى قريبات حاكم قولة، وهى أرملة ذات ثروة تزوج منها محمد على، فأنجب منها أبناءه الثلاثة على التوالى: إبراهيم وطوسون وإسماعيل.

إبراهيم باشا
انتصارات وانكسارات

وقد جاء إبراهيم مع أبيه إلى مصر وهو فتى صغير لم يتجاوز العاشرة من العمر، تربى وترعرع فيها وعاصر أحداثها منذ وطئت قدماه ترابها، وعشقها وأخلص لها وأعلن انتماءه إليها، وإلى عروبته متبرئا من الدماء التركية التى جرت فى عروقه.

وكان إبراهيم لا يحجم فى أحايين كثيرة عن الجهر بعدم مبالاته بالأتراك والحط من شأنهم، ولما سأله أحد الجند قائلا له: «ياصاحب السمو، كيف لا تبالون بالترك وأنتم من الاتراك؟»

اجابه، معترضا على سؤاله بقوله فى عنف: «كلا، لست تركيا، لقد جئت الى مصر صغيرا وعشت تحت شمس مصر كل هذه السنين الطويلة حتى صهرت حرارتها، ما يجرى فى عروقى من دماء، فانسابت دماءً عربية نقية».

ومما يذكر عن تحمس ابراهيم لإحياء القومية العربية ومباهاته بكونه عربى الموطن، أنه قد أعلن عقب سقوط عكا فى يده، أنه سوف يذهب فى فتوحاته حتى تنتهى الى البلاد التى يتكلم اهلها بالعربية. وقد أورد ذلك (البارون دى بوالكمت) فى تقريره عن مصر وسوريا (عام ١٨٣٣) «بأن ابراهيم اعلن له فى صراحة ووضوح أنه ينبغى إحياء القومية العربية وأن يجعل من العرب شعبا ناهضا له كيانه الخاص، فيفسح لأبناء العرب مجال الوصول الى أعلى المناصب فى الادارة والجيش حتى يصبح



صورة فوتوغرافية لقادة جيوش إبراهيم باشا الذين حققوا انتصارات عريضة

لأبناء العرب من الحق فى التمتع بالسلطة وممارسة شئون الحكم ما يتفق وما كانت تفرضه الدولة عليهم من واجبات».

ولم تأت عظمة إبراهيم باشا عن طريق ولايته للحكم، بل توافرت له هذه العظمة وانقادت له من قبل ذلك، فلقد أسبغت عليه بطولته فى ميادين القتال فى حروب الوهابيين والسودان وبلاد اليونان وشبه جزيرة المورة وبلاد الشام وبلاد الأناضول صفات العظمة والمجد، وجعلته انتصاراته فى تلك الحروب من أعظم قواد مصر العسكريين فى التاريخ الحديث.

وكانت الحرب الوهابية أولى تلك الحروب التى برزت فيها شجاعة ابراهيم وتجلى فيها تفوقه وحسن قيادته.

وتتلخص تلك الحروب فى قيام حركة تمرد فى بلاد الحجاز ضد سيادة العثمانيين على تلك البلاد قادها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونسبت اليه، ولقيت التأييد من حاكم نجد محمد بن سعود، الذى تزوج من ابنة الشيخ عبدالوهاب، وقد نجح الوهابيون فى السيطرة على كل الحجاز، ثم اتجهت أنظارهم الى الشمال فوصلوا الى حدود الشام وفلسطين، وأوقعوا الهزيمة بجند الدولة العثمانية الذين خرج بهم والى الشام للحج عام ١٨٠٥.

ولما تقلص نفوذ العثمانيين فى شبه جزيرة العرب، وعجزت جيوش الدولة عن اخضاع الوهابيين، لجأ السلطان العثمانى سليم الثالث (١٧٨٩ ـ ١٨٠٧) إلى باشا مصر متناسيا ما بينهما من خلافات لاسترداد سلطته المشرفة على الزوال فى بلاد العرب، وآملا فى ذات الوقت إضعاف محمد على.

وانتهز محمد على فرصة حربه ضد الوهابيين، فقضى على بكوات المماليك فى مذبحة القلعة (مارس ١٨١١)، وجهز محمد على قواته للذهاب الى الحجاز لقتال الوهابيين





السلطان محمود الثانى سلطان الدولة العثمانية .. كانت بينه وبين محمد على باشا وإبراهيم باشا مشكلات كبيرة ولجأ إلى قيصر روسيا ليحميه من إبراهيم القائد المظفر.

◂◂

وجوه معبرة من مصر عن فترة الوالى إبراهيم باشا .. وبائع العرقسوس الشهير بلباسه التقليدى المستمر حتى الآن



▲▲ **مجموعة من القواد فى جيش إبراهيم باشا بالزى العسكرى فى صورة تعكس اهتمامه الكبير بمسألة إعداد الجيش**



(سبتمبر ١٨١١) بقيادة ابنه الأوسط طوسون.

وقد نجح طوسون فى احراز النصر على الوهابيين، حتى وفاته عام ١٨١٦، فتولى قيادة الجيش وزمام الحرب هناك ابنه إبراهيم الذى كان أقدر أبنائه وأشدهم بأسا فى الحرب وقيادة الجيوش.

وهنا تظهر مهارة ابراهيم الذى استطاع القضاء على الوهابيين فى معركة الدرعية (٦ أبريل ١٨١٨) والسيطرة على نجد والاحساء والقطيف، والهيمنة على سواحل الخليج العربى.

ولم يلبث إبراهيم أن عاد الى مصر، ودخل القاهرة يوم ١١ ديسمبر ١٨١٩ فى موكب عظيم دخول الظافر المنتصر، وفى يوليو عام ١٨٢٠ عينه السلطان العثمانى (محمود الثانى) على باشوية جدة مكافأة له على الخدمات التى أداها للدولة.

وتجلت مهارة إبراهيم باشا فى فتوح السودان، وكان فتح محمد على للسودان قد بدأ يوم ٢٠ يوليو عام ١٨٢٠، حين أرسل اسماعيل اصغر أبنائه إلى السودان على رأس حملة تتألف من خمسة آلاف جندى، ثم تبعت هذه الحملة حملة اخرى بقيادة محمد على الدفتردار صهر محمد على إلى غرب السودان، ثم وفد إبراهيم باشا إلى السودان على رأس قوات جديدة فى اكتوبر عام ١٨٢١ لمعاونة أخيه اسماعيل فى فتح (سنار) وقد تم لاسماعيل فتحها بمساعدة أخيه إبراهيم باشا الذى لم تطل إقامته بالسودان بسبب اصابته بمرض (الباسور)، وحاجته للعلاج فى مصر، فعاد اليها فى آخر العام.

ولقد تجلت مهارة إبراهيم باشا الحربية فى حرب (المورة) وكانت شبه جزيرة المورة اليونانية إحدى الولايات العثمانية، التى نزعت الى الثورة ضد الدولة العثمانية، نتيجة ما أصاب تلك الدولة من ضعف خلال القرن التاسع عشر.

ولما اندلعت الثورة فى المورة امتدت تلك الثورة عبر مضيق (كورنثا) الى الشمال فشملت مقدونيا وتساليا. وكان غرض تلك الثورات تحرير اليونانيين من السيطرة العثمانية.

وقد فشل السلطان العثمانى (محمود الثانى) فى إخماد ثورات اليونانيين، فعهد إلى محمد على بالقضاء عليها، مثلما قضى على ثورات الوهابيين، فعهد السلطان العثمانى لمحمد على بحكومة كريت وكلفه بإخماد الثورة الناشبة فيها.. واستجاب محمد على لطلب السلطان فأرسل فى عام ١٨٢٢ حملة الى كريت بقيادة (حسن باشا) كانت تتكون من حوالى ٤٤٠٠ جندى من المشاة، و٤٠٠ من الفرسان، واحرزت هذه الحملة النصر على الثوار فى كريت، ولما توفى حسن باشا (يونيو ١٨٢٣) عين محمد على قائدا جديدا للقوات المصرية فى كريت هو (حسين بك) ونجحت قوات القائد الجديد فى إطفاء نار الثورة تماما فى الجزيرة.

وفى ٦ مارس ١٨٢٤ اصدر السلطان العثمانى فرمانا بتعيين إبراهيم باشا واليا على كريت والمورة معا.

ولم تمض بضعة أشهر حتى خرج إبراهيم باشا على رأس حملة قوامها ١٨ ألف جندى و٥٠ مركبا حربيا و١٤٦ نقالة، وبعد ان اشتبك مع اليونانيين فى مياه جزيرة رودس اتجه الى كريت ومكث بها مدة، ثم غادرها الى المورة وحاصر (نوارين)





السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود الثانى سلطان الدولة العثمانية.

واستولى عليها (١٨ مارس ١٨٢٥) واتخذ منها قاعدة بحرية لأسطوله.

ومن نوارين زحف عبر المورة فأخضع (تريبوليتزا)، ثم (أثينا)، ولم يبق فى يد اليونانيين غير (نوبليا) مقر حكومتهم وبعض جزر الأرخبيل.

وكاد إبراهيم يتم القضاء نهائيا على ثورة اليونانيين لولا تدخل الدول الأوروبية لإنقاذ اليونانيين من جهة وإنقاذ الوضع الاوروبى الحافل بالمخاطر من جهة اخرى.

ولقد انتهى أمر الحرب فى بلاد اليونان بتحطم الاسطول المصرى والاسطول العثمانى على يد أساطيل الحلفاء : انجلترا وفرنسا وروسيا فى مياه نوارين فى معركة نوارين البحرية الشهيرة (٢٠ أكتوبر ١٨٢٧) التى لم تستمر لأكثر من اربع ساعات، وقد قبل محمد على الصلح الذى عرضته عليه دول الحلفاء (٦ أغسطس ١٨٢٨) بسحب قواته من المورة وتنظيم تبادل الأسرى، وقد تم ذلك فى شهر ديسمبر.

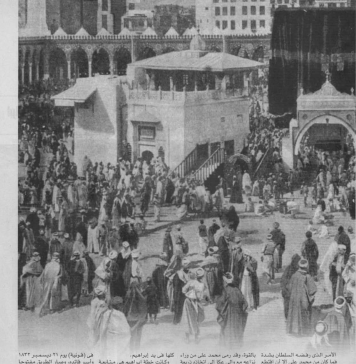
▲▲

جيش إبراهيم باشا عندما ذهب إلى مكة فى معركة ضد الثورة الوهابية

وقد نالت مصر، بفضل اشتراكها فى حرب المورة، مركزا ممتازا لدى الدول الاوروبية، فقد تفاوض الانجليز مع محمد على مباشرة لحمله على الجلاء من المورة برغم تبعيته للباب العالى صاحب السيادة الشرعية عليه.

وانسحب المصريون من المورة من غير موافقة السلطان، فأقام محمد على البرهان على استقلاله الفعلى وعلى ظهوره كقوة دولية لا يمكن تجاهلها فى (المسألة الشرقية).

ولقد ساء محمد على ضياع أسطوله فى هذه الحرب، لذا أراد تعويضا كافيا من السلطان بالحصول على بلاد الشام التى تتوافر فيها الأخشاب لبناء اسطوله من جديد



الأمر الذى رفضه السلطان بشدة فما كان من محمد على إلا أن اقتطع تلك البلاد بنفسه على يد قائده العظيم إبراهيم باشا بعد أن نقض السلطان وعده لمحمد على بإعطائه حكومة الشام فى نظير مساعدته له فى حرب المورة.

ولم يكتف السلطان برفضه طلب محمد على بل راح يشجع والى عكا (عبدالله باشا الجزار) الذى كانت بينه وبين محمد على عداوة قديمة فى الكيد لمحمد على، وامتنع الجزار عن تصدير الاخشاب اللازمة لبناء أسطول مصر الجديد، فضلا عن إيوائه المصريين الفارين من مصر هروبا من اداء الخدمة العسكرية والسماح لهم بالاقامة فى الشام ورفض اعادتهم إلى وطنهم مصر.

ولقد صمم «محمد على» على إرغام والى عكا على اجابة طلباته بالقوة، وقد رمى محمد على من وراء نزاعه مع والى عكا إلى اتخاذه ذريعة لتنفيذ سياسته الامبراطورية فى ضم بلاد الشام الى مصر.

ولم يجد محمد على أمامه لتنفيذ مشروعه سوى ابنه البطل إبراهيم باشا فأرسله للاستيلاء على عكا فى ٤٠ ألف مقاتل من الضباط والجنود المدربين أحسن تدريب فى شهر اكتوبر عام ١٨٣١.

وقد تقدم ابراهيم بقواته وأخذ مدن غزة والرملة ويافا وحيفا والقدس دون مقاومة، ثم تقدم الى عكا وحاصرها برا وبحرا حتى استولى عليها عنوة يوم ٢٧ مايو ١٨٣٢، ثم زحف ابراهيم إلى دمشق واستولى عليها، ثم استولى على حمص وحلب وبيلان، ففر من أمامه القائد العثمانى (حسين باشا) إلى (أطنة) وتركت سوريا كلها فى يد إبراهيم.

وكانت خطة ابراهيم هى متابعة الزحف الى (الاستانة) ذاتها لإنزال السلطان محمود الثانى من عرش السلطة وتولية ابنه وولى عهده (عبدالمجيد) مكانه. إذ كان يعتقد انه مادام محمود الثانى فى السلطة فانه لا سلام أبدا بين الدولة العثمانية ومصر، غير ان محمد على طلب من ابراهيم التريث حتى يتضح له الموقف الاوروبى حيال تطورات الامر، ومن ثم اضطر إبراهيم الى التوقف عن التقدم مدة اربعة أشهر قام خلالها بنشر السلام وتوطيد الأمن فى جميع مدن بلاد الشام.

وتطورت الامور خلال تلك الأشهر واستطاع السلطان أن يعد جيشا جديدا جعل قيادته الى الصدر الاعظم (رشيد محمد باشا) لكن هذا الجيش هزم على يد إبراهيم فى (قونية) يوم ٢١ ديسمبر ١٨٣٢ وأسر قائده، وصار الطريق مفتوحا الى الاستانة، عاصمة السلطان العثمانى.

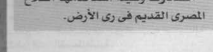
ولم يجد السلطان العثمانى بعد هزيمة قونية إلا أن يلجأ الى روسيا عدوته القديمة لنجدته، فانتهز قيصر روسيا الفرصة وسارع بإرسال أسطوله الى مياه البسفور، ونزلت النجدات الروسية قبالة القسطنطينية.

وسرعان ما تدخلت انجلترا وفرنسا فى الأمر، وضغطتا على الباب العالى بقبول الصلح مع محمد على، وعقد اتفاقية (كوتاهية) فى ٨ ابريل ١٨٣٣، التى تثبت بمقتضاها محمد على فى حكم مصر، وكل الشام وجزيرة كريت، كما تثبت إبراهيم باشا فى









الشادوف وسيلة استخدمها الفلاح المصرى القديم فى رى الأرض.





خاض إبراهيم باشا حروبا عديدة خلال حكمه انتصر فى الكثير منها.. أشهرها معركة نصيبين الفاصلة التى وقعت غربى نهر الفرات وانتهت بهزيمة ساحقة للعثمانيين على يد إبراهيم باشا



باشوية جدة وسواكن ومصوع وأطنة.

وفى عام ١٨٣٤ انفجر بركان الثورة فى بلاد الشام بسبب مكائد الباب العالى هناك وتحريضات عملائه، الذين وجدوا أرضا خصبة بسبب السياسة التى اتبعها ابراهيم فى الشام، خاصة سياسة نظام الاحتكار الذى لم يألفه اهل الشام وعلى محصول الحرير أعز محصولاتهم بوجه خاص، وكذلك بسبب نظام التجنيد الذى لم يألفوه من قبل، خاصة المسيحيين الذين لم يكونوا يجندون فى العهد السالف غير ان المسيحيين سرعان ما انقسموا الى قسمين، قسم يؤيد سياسة ابراهيم وهم الكاثوليك المارونيون، وقسم يعارض سياسته وهم الدروز، والذين ساءهم تجريدهم من أسلحتهم.

وتطور الامر بين الدولة العثمانية ومحمد على وحسم فى معركة نصيبين الفاصلة التى وقعت غربى نهر الفرات يوم ٢٤ يونيو ١٨٣٩ وانتهت بهزيمة ساحقة للعثمانيين على يد إبراهيم باشا، ولم تستمر هذه المعركة لأكثر من ساعتين وسقطت نصيبين فى يد إبراهيم وقبل ان تصل اخبار هذه الكارثة إلى عاصمة الدولة العثمانية، كان السلطان محمود الثانى قد وافته المنية يوم (٣٠ يونيو ١٨٣٩)، وخلفه ابنه الشاب عبدالمجيد فى الحكم وتحرج موقف السلطة العثمانية حين سلم الاسطول العثمانى الى محمد على فى مياه الاسكندرية فى بداية شهر يوليو، وباتت الدولة بلا جيش أو أسطول يدافع عنها.

وهنا تدخلت الدول الاوروبية حتى لا يرث رجل اوروبا المريض رجل قوى هو محمد على يقف حجر عثرة أمام تحقيق مطامعها فى الشرق فأبرمت الدول الاربع الكبرى: بريطانيا والنمسا وبروسيا وروسيا وفاقا فى لندن فى ١٥ يوليو ١٨٤٠ لتسوية النزاع القائم بين السلطان والباشا لتحديد العلاقات بينهما وكانت شروط هذا الوفاق تقوم على اساس احتفاظ محمد على بباشوية مصر فقط وراثية فى أسرته، على أن تظل مصر ولاية عثمانية تدفع لها الجزية وتحدد لها قوة جيشها وأسطولها، وأن يحتفظ محمد على لمدة حياته فقط بحكومة جنوب الشام بما فيها عكا.

وإذا لم يقبل هذه الشروط فى غضون الأيام العشرة الاولى من تاريخ المعاهدة، تنتزع منه حكومة جنوب الشام وتعطى له باشوية مصر فقط، وإذا واصل العصيان خلال الأيام العشرة التالية صار للسلطان الحق فى التصرف مع محمد على وفقا لمصلحته، ولما تنصحه به الدول وقد تعاهدت الدول بموجب هذا الاتفاق على ارغام «محمد على» على قبوله.

ولما رفض محمد على شروط معاهدة لندن تحركت الدول المتعاهدة لإجبار «محمد على» على قبولها، فأرسلت بريطانيا قطعا من أسطولها الى الاسكندرية لقطع الاتصال البحرى بين مصر والشام كما ارسلت جزءا آخر منه الى بيروت ليجبر المصريين على الانسحاب الى الداخل، كما ارسل بعض العملاء والمأجورين الى الشام للتحريض على الثورة ضد الحكم المصرى.

وبرغم إصلاحات الحكم المصرى فى الشام، وجهود إبراهيم باشا فى انجاح وتحقيق تلك الاصلاحات، فإن انجلترا نجحت فى تحريك الثورة فيها، فاستفحل أمر الثورة، وضرب الاسطول البريطانى بيروت بالقنابل من البحر فى ١١ سبتمبر، واستولى عليها فى ٣ اكتوبر، ووقع إبراهيم باشا بين نارين: نار الدروز المغيرين على جيشه فى الداخل، ونار اللبنانيين المسيحيين الذين سدوا عليه المنافذ من جهة البحر بمساعدة الاسطول المشترك للحلفاء، الامر الذى اضطره الى الانسحاب جنوبا وإخلاء المواقع التى كان يحتلها فى صيدا وعكا.

وانتهز السلطان فرصة الهزائم التى وقعت لإبراهيم فأصدر فى ١٤ سبتمبر قرارا بعزل محمد على عن باشوية مصر، وتدخلت الدول الاوروبية للحفاظ على اتفاقها فى لندن بصدد بقاء مصر وراثية فى ذرية محمد على.

وفى ٣٠ يناير ١٨٤١ أرسلت الدول الأربع الكبرى (انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا) مذكرة الى الباب العالى لاعطاء محمد على وأسرته الحكم الوراثى فى مصر على أن تبقى مصر جزءا لا يتجزأ من ممتلكات الدولة العثمانية.

فاضطر الباب العالى الى الرضوخ لمشيئة الدول وأصدر بتاريخ ١٣ فبراير ١٨٤١ فرمانين، أولهما يقضى بحق الوراثة لمحمد على ولأسرته من بعده فى مصر، وثانيهما تقليد محمد على ولاية مقاطعات النوبة ودارفور وكردفان وسنار من بلاد السودان.

وبعد ذلك أصدر الباب العالى بموافقة الدول، فرمانا نهائيا فى اول يونيو ١٨٤١ يجعل الولاية فى مصر من حق الاكبر من أولاد وأحفاد محمد على الذكور، شريطة أن يصدر التقليد بالولاية دائما من الباب العالى، ويحدد قيمة الجزية السنوية على مصر بثمانين ألف كيس ويحدد عدد الجيش بالا يزيد على ١٨



تجارة العملة فى عصر محمد على وإبراهيم باشا كانت قائمة ونشطة ومشروعة ورائجة.

ألفا، مع منع بناء السفن الحربية من غير موافقة السلطان، وحق الوالى فى منح الرتب العسكرية حتى رتبة (قائممقام).

وهكذا، وعلى هذا النحو شارك إبراهيم أباه فى كل الأحداث التى وقعت للدولة فى عهده، وأسهم فيها بجهده، وقاد الجيوش وأحرز الانتصارات الكبرى فى معظم معاركه، ولكنه فى أواخر أيام حكم أبيه يعايش التدخل الأوروبى لنسف تلك الانتصارات، التى حققها ذلك البطل الشجاع والقائد العظيم المحنك، ويرقب جدران الإمبراطورية الكبرى التى شيدها بسيفه وفوق فرسه تنهار حجرا حجرا، حتى يستقر الامر لما أرادته الدول الكبرى من أن تعود مصر من حيث بدأت ولاية صغرى تابعة لحكم سلاطين العثمانيين.

وكان عليه أن يضمد جراحه التى أثخنت جسده، طوال أربعين عاما لم يرتح خلالها ليوم واحد. وكان ينتهى فيها من معركة ليبدأ فى أخرى، ويحرز نصرا ليلحقه بنصر آخر طوال تلك السنين.

ولقد ظل محمد على قابضا على ناصية الأمور الداخلية فى مصر فى السنوات التالية لتسوية المسألة المصرية وصدور فرمانات الوراثة حتى أنهكت الشيخوخة قواه وساءت حالته الصحية عام ١٨٤٨، وظهرت عليه آثار المرض وأصيب بضعف فى قواه العقلية بعد أن بلغ سن الثمانين ولم يعد الباشا يستطيع تحمل أعباء الحكم ومسئوليته ولم يعد قادرا على اتخاذ القرار، وقد ثبت عليه ذلك الامر اكثر من مرة، وطلب له الدواء والأطباء ولم ينفع معه العلاج.

وفى شهر فبراير من عام ١٨٤٨ كلف محمد على حفيده عباس باشا الأول بتولى أمر حكومة القاهرة وابنه سعيد باشا بتولى أمر حكومة الاسكندرية، وذلك بشكل مؤقت حتى عودة ابنه الأكبر إبراهيم باشا من رحلة علاج فى فرنسا لخلافته فى الحكم بعد أن اشتد المرض عليه.

وفى يوم ٩ أبريل من نفس العام تم تشكيل لجنة مكونة من اثنى عشر عضوا تتولى الحكم باسم محمد على من ابنيه إبراهيم وسعيد وحفيده عباس، ابن طوسون باشا ومعهم الباشوات: على شريف وسامى، وأحمد يكن، والبكوات: صبحى، وحسين، وأرتين، وراتب وزكى أفندى، وقد تولت اللجنة الحكم حتى وفاة محمد على وترأسها إبراهيم باشا.

ومن ذلك الحين تولى إبراهيم الحكم، وأبلغ الأمر الى الباب العالى فأرسل اليه فرمان التقليد فى شهر يوليو من نفس العام، وبعد مضى بضعة أسابيع على تسلم إبراهيم زمام الحكم، كتب القنصل الانجليزى تشارلز مورى إلى حكومته يقول : أن لابراهيم دراية وخبرة عملية بشئون التجارة والمال تفوق دراية أبيه وخبرته، مما يحمل على الاعتقاد



▲▲
إبراهيم باشا يمتطى جواده وهو يركض بأقصى سرعة



بأن حكومته سوف تكون أكثر تدبرا فى إنفاق المال من الحكومة السابقة.

وقد عنى ابراهيم مدة حكمه القصيرة بتقوية ثغور البلاد وتحصينها وتجديد قوتها البحرية وفى العهد الجديد اهتمت حكومة ابراهيم بانجاز العمل فى مشروع القناطر الخيرية، الذى كان قد توقف فى أواخر عهد محمد على، كذلك اهتمت الحكومة بتنشيط التجارة الخارجية فبنت عددا كبيرا من السفن وأصلحت عددا آخر من السفن القديمة لنقل المحاصيل والمتاجر عبر البحرين الاحمر والمتوسط، كما وجهت الحكومة عنايتها إلى شئون الصحة العامة فبادرت باتخاذ التدابير الصحية اللازمة لوقاية البلاد من انتشار وباء (الطاعون) ووباء (الريح الاصفر) الذى كان يجتاح البلاد خلال شهرى أغسطس وسبتمبر من كل عام.

وفضلا عن ذلك، فقد اعتنت الحكومة بأمر التعليم وطباعة الكتب النافعة، وحرصت على محو الامية داخل الجيش، وضرورة تعلم العسكر القراءة والكتابة، وضرورة أن يتقن الضباط اللغتين العربية والتركية اضافة الى ضرورة إحاطتهم وإلمامهم بالقوانين العسكرية.

واشترطت ألا يرقى أحد منهم إلى رتبة أعلى الا بعد امتحانه فى اللغات والقانون واجتيازه الامتحان بنجاح.

واهتمت الحكومة ايضا بتنظيم حركة النقل والمواصلات داخل البلاد فخصصت لذلك مصلحة خاصة تتولى الاشراف على الطريق البرى بين القاهرة والاسكندرية، والطريق البرى بين القاهرة والسويس، وفى بادئ الامر كان يشرف على هذه الطرق عدد من الفنيين المالطيين وغيرهم من الاجانب، فأقصت حكومة ابراهيم كثيرين منهم واستبدلت بهم طائفة من المصريين المشهود لهم بالقدرة والكفاءة.

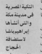
أما بخصوص الشئون الخارجية فإن حكومة إبراهيم باشا، كما اهتمت بادارة شئون البلاد الداخلية اهتمت بعلاقاتها الخارجية مع الدول الاوروبية الكبرى من جانب، ومع الدولة العثمانية من جانب آخر.

وكان أهم ما يشغل بال إبراهيم باشا هو ابقاء الوضع السياسى الذى جاء فى فرمانات ١٨٤٠ و١٨٤١ على ما هو عليه، والحفاظ على الامتيازات التى حصلت عليها مصر بعد نضالها مع حكومة الباب العالى وعلى رأسها حصول مصر على استقلالها الذاتى فى ظل التبعية الاسمية للدولة العثمانية، وبقائها باشوية وراثية لها استقلالها الداخلى فى الادارة وفرض الضرائب الداخلية والرسوم الجمركية والقيام بالاصلاحات اللازمة دون استئذان دولة الخلافة.

وكان السلطان العثمانى قد تقبل هذه التسوية برغم أنفه لذلك كان يتحين الفرص لإلغاء بعض فرمانات الوراثة أو إلغاء جميع الامتيازات التى حصلت عليها مصر بمقتضى هذه الفرمانات، والرجوع بمصر كما كانت من قبل، مجرد ولاية عادية من ولايات الدولة العثمانية، يتصرف فى أمرها السلطان كيفما شاء.

وقد تنبه محمد على نفسه إلى هذا الواقع، ولذلك شغل نفسه فى آخر ايام حكمه بتحصين شواطئ مصر وتقوية حصونها وحشد القوات بها، وقد خشى محمد على اعتراض الدول الاوروبية على تصرفاته وتدخلها بالعمل على وقف نشاطه الدفاعى العسكرى.

ولما تولى إبراهيم الحكم، بعد أن اعتزله محمد على لظروف مرضه وانشغلت الدول الاوروبية بالثورات العديدة التى وقعت بها عام ١٨٤٨ خشى ابراهيم أن ينتهز السلطان العثمانى وقوع تلك الثورات فى أوروبا





على الغزالى مدير التكية المصرية فى مكة فى عهد إبراهيم باشا.

والانشغال حكوماتها فى إخمادها ما يساعده على تحقيق مآربه فى سلب مصر الامتيازات التى حصلت عليها فى تسويات ١٨٤٠ و١٨٤١.

وتبعا لهذه التغيرات التى وقعت فى أوروبا، كان على إبراهيم ان يسلك فى علاقته مع الباب العالى الحيطة والحذر، فيقوم بعمل التحصينات اللازمة لحدود بلاده خشية مهاجمة السلطان له فى أى وقت، وفى نفس الوقت مهادنة الباب العالى واستمالته إلى جانبه والعمل على عدم تكدير صفو العلاقات معه حتى يصرف الباب العالى عن ذهنه التفكير فى أمر يسوء حاكم مصر الجديد.

وكان إبراهيم يسعى مع الباب العالى إلى تعديل فرمانات الوراثة بصورة تضمن انتقال الوراثة الى ابنه (الأمير أحمد رفعت) بدلا من أن تئول الى أكبر احفاد محمد على، ابن اخيه طوسون، عباس الاول، وقد اعتمد

▲▲ التكية المصرية فى مدينة مكة والتى أنشأها إبراهيم باشا لاستضافة الحجاج المصريين فى المدينة المقدسة ◄◄

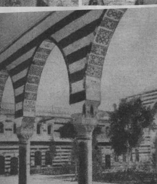


ابراهيم فى محاولة التغيير هذه على مساندة الدول الأوروبية له فى ذلك وقد بذل إبراهيم جهدا كبيرا فى إقناع الدول الأوروبية بمشروعه الخاص بوراثة ابنه له، بدعوى ضمان استقرار الهدوء فى مصر.

ولقد كتب اللورد بالمرستون إلى تشارلز مورى فى ١٧ يونيو عام ١٨٤٨ يقول: «مع ان حكومته ترى من الافضل ان يترك للسلطان العثمانى أمر الفصل فى موضوع الوراثة، فمن الواضح أن لابراهيم أفضلية ظاهرة على غيره فى وراثة الولاية، وذلك اذا ما أخذنا بآراء ونيات الدول التى وقع مندوبوها على معاهدة لندن، لأنه من المقطوع به، عند إبرام هذه المعاهدة أن تنتقل الوراثة عند وفاة من يشغل كرسى الوراثة إلى وريثه المباشر وليس إلى الأرشد فالأرشد اطلاقا من صاحب الولاية وقتئذ، وهو محمد على نفسه».

غير ان جميع هذه الجهود التى بذلها إبراهيم لجعل الوراثة من حق ابنه الاكبر (الأمير احمد رفعت) قد باءت بالفشل ولم تحقق ما أراده ابراهيم، والسبب فى ذلك مرض ابراهيم نفسه، ثم وفاته يوم العاشر من نوفمبر عام ١٨٤٨، فى حياة ابيه وهو فى التاسعة والخمسين من العمر.

وكان إبراهيم شديد القسوة على نفسه فلم يعرف الراحة والهدوء طوال حياته، واعتمد فى تحمل مشاق الحياة وصرامة العيش فى ميدان القتال، فقد قضى متنقلا من ميدان لآخر ما يزيد على ربع قرن من الزمان، على متانة تركيبه الجسمانى، ولكن ما إن انتهى عهد الحروب حتى تسللت الامراض الى جسمه، ثم اشتدت به العلة فى السنوات الأخيرة وخصوصا اثناء حروبه فى الشام فاضطر إلى ترك







الهوانم فى منتصف القرن التاسع عشر



صورة لرجل من عصر محمد على فى هيئة مختلفة ترمز إلى أشياء كثيرة .



▲▲

أشجار التوت التى ازدهرت معها صناعة الحرير وكانت ثمار الأشجار تترك للفلاحين

الشام والعودة الى مصر، ثم القيام بجولة فى دول حوض البحر المتوسط وزيارة عواصمها طلبا للاستشفاء، وكان ذلك قبل ان يتولى الحكم، فلما تولى الحكم تمكن منه المرض وأنهك قواه فى أشهر يوليو وأغسطس وسبتمبر من عام ١٨٤٨ حتى لقى ربه يوم العاشر من نوفمبر، وتم دفنه بمسجد القلعة وقد توفى أبوه بعده بتسعة أشهر يوم الثانى من اغسطس ١٨٤٩، بقصر رأس التين بالاسكندرية، ونقل جثمانه ليدفن إلى جوار ابنه بمسجد محمد على بالقلعة.

ولقد خسرت مصر بوفاة إبراهيم قائد جيشها المظفر، الذى كان لبطولته وشجاعته اليد الطولى فى تحقيق استقلالها ورفعة شأنها.

وقد خلف إبراهيم باشا على عرش البلاد الأمير عباس باشا الاول، ابن شقيقه الأمير طوسون باشا، الذى تولى حكم مصر يوم الرابع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٨٤٨، تنفيذا لفرمانات ١٨٤٠ و١٨٤١ التى تقضى بتولى أكبر الذكور الحكم من ذرية محمد على من أولاده وأحفاده.. وكان عباس هو الأكبر والمستحق للولاية، فتولى الحكم، وكان الثانى من ذرية محمد على ممن تولوا حكم مصر. ■■

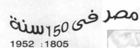
فى الحلقة القادمة **الأمير عباس باشا بن الأمير طوسون الذى تولى حكم مصر بعد إبراهيم باشا.**

العدد ٨٠٤ ـ ١٨ مايو ٢٠٠٥

مصر فى ١٥٠ سنة

6 سنوات عجاف فى عهد عباس





1805 : 1952





الحفيد البليد

1848 : 1854

" يصح لنا اعتبار عصر عباس باشا حلمى (الأول) والسنوات الست التى تولى فيها الحكم عهد رجعية، ففيه وقفت حركة التقدم والنهضة واليقظة التى عاشتها البلاد فى عهد جده محمد على.. وقد ولى عباس (الأول) الحكم بعد وفاة عمه إبراهيم، بحكم أنه أكبر أحفاد محمد على وأكبر من عمه محمد سعيد، وفقا لفرمان عام ١٨٤١، الذى يقضى بتولى أكبر أبناء أسرة محمد على الحكم بعده من الذكور.

ولم يرث عباس بن طوسون بن محمد على عن جده مواهبه وعبقريته، ولم يشبه عمه إبراهيم فى عظمته وبطولته وشجاعته وحسن قيادته، بل كان. قبل ولايته الحكم، وبعد أن تولاه. خاليا من المواهب والمزايا والصفات التى تجعل منه حاكما عظيما يضطلع بأعباء الحكم ويواصل المسيرة بالبلاد فى طريق النهضة والتقدم. "

الحلقة السادسة


محمد على



ابراهيم



عباس الأول
١٨٤٨ : ١٨٥٤


سعيد

اسماعيل


توفيق


عباس حلمى


حسين كامل




فؤاد الأول


فاروق الأول

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :

أ.د. عطية القوصى



عباس حلمي والي مصر



عباس الأول



١٨٤٨ : ١٨٥٤

كان محمد على قد بذل شيئا من العناية فى إعداد عباس حفيده للحكم، على أمل أنه سيتولى حكم مصر بعد عمه إبراهيم، فعهد إليه بالمناصب الإدارية والعسكرية فتقلد من المناصب الإدارية فى حياة جده منصب مدير الغربية، ثم منصب رئيس النظار.

٦ سنوات عجاف فى عهد عباس

لم يكن عباس فى إدارته مثالا للمدير العادل، بل كان قاسيا فى تصرفاته، شديدا فى أحكامه.. وكان جده كثير النصح له بحسن معاملة الرعية، وكان كثير التحذير له من عواقب شدته وقسوته.. لكن طبيعته كانت دائما تتغلب على نصائح جده وأوامره له.

وأما من الناحية العسكرية.. فقد شارك عباس عمه إبراهيم فى الحرب السورية، وقاد فيها أحد فيالق الجيش ولكنه لم يتميز فى مشاركته العسكرية بما يدل على البطولة أو الكفاءة الممتازة.

وبالجملة.. فلم تكن لهذا الوالى ميزة لافتة للنظر، سوى أنه حفيد رجل عظيم أسس ملكا كبيرا، فصار إليه هذا الملك، على طبق من ذهب، دون أن تتوافر فيه مواهب مؤسسه، ودون أن يبذل أى مشقة فى الوصول إليه.

وكان إبراهيم باشا لا يرضى عن سلوك عباس وميله إلى القسوة، وكثيرا ما نقم عليه نزعته إلى سوء معاملة الناس حتى اضطره أثناء ولايته إلى الارتحال إلى الحجاز وبقائه هناك حتى داهم الموت عمه إبراهيم.. فلما مات إبراهيم، استدعى عباس من الحجاز إلى مصر ليرث العرش فتولى الحكم يوم ٢٤ نوفمبر عام ١٨٤٨ (٢٧ ذو الحجة ١٢٦٤هـ).

وبقى عباس فى الحكم ست سنوات، كان يبدو خلالها غريب الأطوار، شاذ التصرف، كثير التشاؤم والتطير، سيئ الظن بالناس، ولهذا كثيرا ما كان يعتزل الناس، ويخلد إلى الوحدة والانفراد بنفسه والاحتجاب



▲▲ محطة قطار مصر فى بداية إنشائها ويظهر كوبرى من أمامها حيث كان يجرى فرع من فروع النيل أسفل الكوبرى

بين جدران قصوره.

وكان يتخير لبناء قصوره الجهات الموغلة فى قلب الصحراء، والبعيدة عن العمران.. ففيما عدا (سراى الخرنفش) و(سراى الحلمية) بالقاهرة، فقد بنى له قصرا فخما فى الصحراء، فى المنطقة المعروفة الآن بـ(العباسية) نسبة إلى اسمه، وقت أن كانت صحراء قاحلة، وبنى - أيضا - قصرا فى طريق السويس، وقت أن كان قفرا، وكذلك بنى قصرا بـ(العطف)، وقصرا فى بنها على ضفاف النيل، بعيدا عن المدينة.

وقد أساء عباس الظن بأفراد أسرته، وبكثير من رجالات جده محمد على وعمه إبراهيم، وخيل له الوهم أنهم يتآمرون ضده، فأساء معاملتهم وابتعد عنهم، وخاف الكثيرون منهم على حياتهم منه، فارتحل بعضهم إلى استانبول، وارتحل البعض الآخر إلى أوروبا، خوفا من بطشه، واشتد العداء بين الفريقين طوال مدة حكمه، وبلغ به سوء ظنه أنه حاول قتل عمته الأميرة (نازلى هانم)، وبالغ فى عداوتها، الأمر الذى اضطرها للهجرة إلى (الأستانة) حفاظا على حياتها.

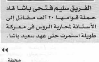
وسعى عباس إلى تغيير نظام وراثة العرش ليجعل ابنه (إبراهيم إلهامى باشا) خليفته فى الحكم، بدلا من عمه محمد سعيد باشا ولى العهد، ولكنه لم ينجح فى مسعاه، كما لم يفلح عمه إبراهيم فى ذلك من قبل، لتمسك الدول الأوروبية بنظام الوراثة فى عائلة محمد على وفقا لفرمانى سنتى ١٨٤٠ و١٨٤١

ولقد نقم عباس على عمه سعيد باشا، لكونه وليا للعهد، واتهمه بالتآمر عليه، واشتدت العداوة بينهما حتى اضطره أن يلزم مدينة الإسكندرية ويقيم بسراياه فى (القبارى).

وانتشرت الجاسوسية فى عهد عباس انتشارا مخيفا، فصار الرجل لا يأمن على نفسه من صاحبه وصديقه وكان يقوم بنفى من يغضب عليه إلى السودان ومصادرة أملاكه، وقد كان النفى إلى أقاصى السودان من الأمور المألوفة فى ذلك العصر.

مستر روبرت ستيفن الذى عهد إليه الخديو عباس بإنشاء خط السكة الحديد

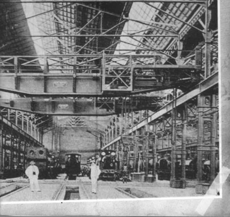


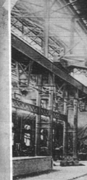


الفريق سليم فتحى باشا قاد حملة قوامها ٢٠ ألف مقاتل إلى الأستانة لمحاربة الروس فى معركة طويلة استمرت حتى عهد سعيد باشا.



محطة قطار القاهرة





وكان عباس مولعا بركوب الخيل والهجن، يقطع بها المسافات البعيدة فى الصحراء، وكان له ولع شديد باقتناء الجياد الكريمة ذات الأصول العربية الأصيلة، فكان يجلبها من مواطن وجودها ويعتنى بتربيتها عناية كبرى، ويبنى لها الاسطبلات الفخمة، وينفق عليها بسخاء شأن هواة الخيل.

ويختلف عصر عباس عن عصر جده محمد على، فقد تراجعت فى عصر عباس حركة النهضة والتقدم والنشاط الذى امتاز به عصر محمد على.. وهنالك ظاهرة أخرى للفرق بين العهدين، ذلك أن محمد على كان يستعين بذوى العلم والخبرة من الفرنسيين فى معظم مشاريع إصلاحه.. لكن عباس لكونه لم يفكر فى الإصلاح أساسا، أقصى معظم هؤلاء الخبراء، واستغنى عن خدماتهم، فتضاءل النفوذ الفرنسى فى عهده، ولم يعد إلى الظهور ثانية إلا فى عهد خلفه محمد سعيد باشا حين تولى عرش مصر.

ومن هنا نتعرف على سبب تحامل كثير من الكتاب والمؤرخين الفرنسيين على عباس وعهده.

وقد ظهر نفور عباس من هذه السيطرة الفرنسية على البلاد حتى من قبل أن يتولى الحكم.. وبعد أن تولى الحكم ازداد هذا النفور لديه بسبب اعتقاده الجازم بحاجة البلاد فى عهده إلى الاستجمام والخلود إلى السكينة التامة بعد الحروب الطويلة

▲▲

فى عام ١٨٥٢ شرع عباس فى مد السكة الحديد من الإسكندرية إلى القاهرة وعهد بتخطيط العمل إلى المهندس الانجليزى روبرت ستيفن

والمقيتة التى خاضت البلاد غمارها فى عهد جده وتحت قيادة عمه إبراهيم، وضرورة خلودها الآن للتخلص من مضار المظاهر التى اقترنت بإدخال الحضارة الأوروبية إلى مصر.

ولقد انعدمت ثقة عباس تماما فى الأجانب، عندما بدأ قناصل الدول بعدئذ يعملون على نشر نفوذهم فى البلاد توطئة للسيطرة على شئونها وخدمة مصالح رعاياهم، مستندين إلى ذلك على "الحقوق الواسعة" التى كفلتها لهم الامتيازات الأجنبية السائدة فى ممتلكات الدولة العثمانية، ومتخذين من الضعف الذى أصاب مصر بعد تسويات ١٨٤٠ . ١٨٤١ وسيلة للحفاظ على هذه المصالح.

ومع أن عباس حاول التخلص من مخالب هذا النفوذ الأجنبى.. فإن مساعيه باءت بالفشل بسبب التأييد الذى ناله قناصل الدول من حكوماتهم، مما أوغر صدره ضد الأجانب عموما وحمله على إقصائهم من حاشيته ومن الخدمة فى مرافق الدولة.

والواقع أن الأجانب قد فقدوا بتولية عباس الحكم . التشجيع الذى كانوا يلقونه فى عهد محمد على.. وكان توافد الأجانب إلى مصر قد ازداد نتيجة لحركة "الانقلاب الصناعى" التى حدثت فى أوروبا، واتجاه الدول الأوروبية إلى البحث عن أسواق خارج أوروبا لتصريف مصنوعاتهم، ثم الاعتقاد بأن مصر هى البلد الذى يستطيع المرء أن يحقق الثراء فيه سريعا.

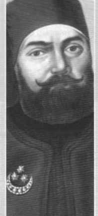
ولما كان عباس يخشى توطد النفوذ الفرنسى فى مصر.. فقد قام بإخراج عدد كبير من الفرنسيين المشتغلين فى المعامل والمصانع وأعادهم إلى بلادهم.. وقد قدر القنصل الأمريكى (ماكولى) عدد الموظفين الفرنسيين الذين استغنى عباس عن خدماتهم فى أوائل حكمه (مارس ١٨٤٩) بحوالى ستمائة.. وطرد من اليونانيين (عام ١٨٥٤) ثلاثة آلاف يونانى، أمر بأن يغادروا البلاد فى خلال أسبوعين.

وفى الوقت الذى عمل فيه عباس على التخلص من النفوذ الفرنسى واليونانى من مصر.. فإن النفوذ الإنجليزى أخذ فى الظهور فى عهده على يد المستر (مورى) القنصل البريطانى فى مصر آنذاك، فقد كان له عليه تأثير كبير، وله عنده كلمة مسموعة، ولا يعرف السبب الحقيقى لهذه المنزلة، سوى أنها نتيجة المصادفة، فإنه ليس للحكام المستبدين قاعدة

عباس الأول

١٨٤٨ : ١٨٥٤





الأمير أحمد باشا يكن كان مقربا من عباس باشا خلال سنوات حكمه .

مستقرة، ولا تصدر أعمالهم عن برنامج محدد أو تفكير معقول، فإنهم يتبعون الهوى فى كثير من أعمالهم.

وقد يكون لكفاءة المستر (مورى) دخل فيما ناله عند عباس من النفوذ والمكانة.. وقيل إنه كان يستعين به فى السعى لدى حكومة الأستانة، بوساطة سفير إنجلترا هناك، لتغيير نظام وراثة العرش كى يئول إلى ابنه (إلهامى).. وفى رواية أخرى أنه كان يستعين به وبالحكومة الإنجليزية، صاحبة السيطرة على دولة الخلافة، ليمنع تدخل السلطان العثمانى فى شئون مصر، بما كان يسعى إليه بصدد تطبيق (القانون الأساسى) المعروف بالتنظيمات على مصر.

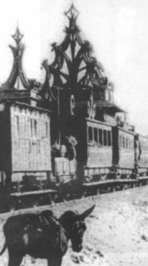
وعلى هذا النحو طرد عباس أغلب الفنيين الأوروبيين من البلاد الذين أحضرهم محمد على، وصار على الدوام، يعارض محاولات رجال الأعمال الغربيين بتوسيع نشاطهم فى مصر.. كما كان تقييد حرية التجارة الداخلية فى عهده مانعا للأوروبيين وخاصة اليونانيين، من النفاذ إلى داخل البلاد، وتركهم القاهرة والإسكندرية للانتشار فى الريف والاتجار مع الفلاحين.

وكان لهذا التغيير الذى قام به عباس نحو الأجانب الأثر الكبير فى حال البلاد فى عهده، سواء فى شئونها الداخلية، أو فى علاقتها مع الدول عموما، ومع الباب العالى على وجه الخصوص.. إذ أنه لما كان الأجانب. والفرنسيون خاصة . قد ساعدوا حكومة محمد على فى مشروعاتها الإصلاحية وفى نهضة البلاد فى شتى النواحى، فقد اقترن طرد الأجانب من البلاد والاستغناء عن خدماتهم بالقضاء على كل مظاهر الحضارة الحديثة التى هبت رياحها على البلاد، ومنع البلاد من الإفادة من تلك الجهود الكبيرة التى بذلت من أجل التقدم وقيام حركة اليقظة طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر.

ولهذا كان عهد عباس عهد جمود وركود، انطفأت فيه البقية الباقية من جذوة النهضة التى أنارت البلاد فى عهد محمد على.. فقام عباس بإغلاق المدارس الابتدائية والمدارس التجهيزية، ولم يبق من المدارس الخصوصية سوى مدرستى الطب والمهندسخانة.. وقام بتشريد المتعلمين وتشتيت مدرسيهم، فأقصى خيارهم إلى السودان بحجة إنشاء مدرسة نظامية فى الخرطوم، وكان رفاعة الطهطاوى واحدا من بين أولئك المدرسين الذين أقصاهم عباس إلى السودان.. وقصر عباس المدارس فى عام ١٨٤٩ على مدرسة واحدة أسماها (المفروزة) انتقى لها عددا محدودا من التلاميذ.. كذلك أهمل عباس حركة التأليف والترجمة.. كما أوقف العمل فى مشروع بناء (القناطر الخيرية) بحجة قلة موارد الدولة للصرف على إكمال ذلك الصرح الكبير الذى بدأ محمد على فى تشييده.. كذلك أقفل عباس ما بقى من المعامل والمصانع التى أنشأها جده، بحجة الاقتصاد فى النفقات.. وأرسل إلى أوروبا ١٩ طالبا من تلاميذ المدارس المصرية لإتمام دروسهم بالمدارس الأوروبية، على أنه استدعى معظم أعضاء البعثات الذين كانوا يتلقون العلم فى فرنسا على عهد محمد على.

ولما كان عباس يقضى وقته مع خدمه وخيوله وكلابه فى عزلة تامة فى قصوره البعيدة عن القاهرة.. فقد اختلت الإدارة فى عهده وساءت مالية البلاد، وصار المديرون يستبدون بالأهالى فى المديريات والأقاليم، وسام جباة الضرائب الفلاحين العسف والجور، فساءت حال الفلاح، وبات يؤدى الضريبة النوعية (العشورية) دون ضابط أو حساب.

وتصرف عباس فى مالية الدولة تصرفا مطلقا، وأنفق الكثير من الأموال على قصوره الخاصة الفخمة



▲▲

قطار الخديو عباس الذى لم يمهله القدر أن يركبه فخصص للخديو سعيد



وعاش عيشة البذخ والترف وصار ينفق دون حساب، مما مهد - دون شك - الطريق لخلفه (سعيد) للاستدانة من البيوت الأجنبية، وانزلاق مصر في تيار الديون المدمر.

وفى الحقيقة.. فإن عباس لم يعن إلا بثروته الخاصة التى أخذ فى العمل على إنمائها، وانصرف بذلك عن التفرغ لشئون الدولة وإدارتها. فأهمل أمر الجيش والبحرية، ولم ينفذ بخصوص الجيش سوى بعض الإصلاحات الحربية التى كان إبراهيم باشا قد فكر فيها قبل وفاته، كتجديد الاستحكامات وإنشاء الطرق الحربية، وفيما عدا ذلك فإن الجيش - فى الجملة - لم يكن موضع عنايته.. وقد تسرب إلى إدارته الخلل وسوء النظام، بعد أن كان مضرب الأمثال فى النظام والكفاية على عهد محمد على وتحت قيادة إبراهيم.. وزاد فى اضمحلال الجيش أن عباس أدمج فيه نحو ستة آلاف من (الأرناءود) الألبانيين، وجعلهم خاصة جنده، وسلحهم بالمسدسات، فكانت لهم فى عهده الصولة والسطوة، وشمخوا بأنوفهم على المصريين وتعالوا عليهم، وجرد عباس الأهالى من السلاح وحرم عليهم حمله.. فعاث الألبانيون فى البلاد فسادا بما عرف عنهم من التعالى والتكبر.. وظل سليمان باشا الفرنساوى القائد العام للجيش المصرى، ولكنه كان مغلول اليد عن النهوض بالجيش وإصلاح شئونه.

وساءت حالة البحرية، بعد أن كانت زاهرة، وأخذت فى الاضمحلال، ويرجع ذلك إلى إهمال عباس العمران عموما، ثم لسبب خاص، وهو كراهيته لعمه سعيد باشا، صاحب النشأة البحرية، والقائد العام للأسطول فى عهد محمد على.. فلما تولى عباس حقد على البحرية جميعها لحقده على سعيد باشا، فأهمل شأن الأسطول، وتعطلت أعمال الترسانة البحرية، وتوقف إصلاح السفن، فسرى فيها العطب والتلف.

ورغم ما أصاب الجيش والأسطول فى عهد عباس، فإنهما ظهرا كقوة لا يستهان بها فى (حرب القرم) ١٨٥٣ - ١٨٥٥، وهى الحرب الوحيدة التى خاضت مصر غمارها فى عهد عباس.

وكانت الحرب بين تركيا وروسيا قد اندلعت سنة ١٨٥٣، فطلب السلطان عبدالمجيد إلى عباس باشا أن يمده بالجند والأسطول، فلبى عباس الطلب، فأعاد النشاط والعمل إلى الترسانة البحرية التى كانت معطلة، واستدعى إليها العمال الذين كانوا قد صرفوا عنها، وجهز الأسطول وعهد بقيادته إلى الأميرال (حسن باشا الإسكندرانى)، أحد خريجى البعثات فى عهد محمد على.

وأعد عباس حملة مؤلفة فى بدء الحرب من نحو ٢٠ ألف مقاتل بقيادة (سليم باشا فتحى) أحد القواد الذين حاربوا تحت لواء إبراهيم باشا فى حروب سوريا والأناضول.. فأقلعت الحملة على ظهر الأسطول المصرى، ووصلت إلى الأستانة، ومضت منها إلى ميدان القتال على نهر الدانوب، ورابط معظم الجيش المصرى فى (سلسترا)، وكان الروس يهاجمونها، فأبلى المصريون بلاء حسنا فى الدفاع عنها، وأقاموا بها حصنا عرف بـ(طابية العرب)، كان له فضل كبير فى الدفاع، واستطاع الجيش المصرى أن يكسر هجمات الروس عن المدينة، واستمرت تلك الحرب إلى عهد سعيد باشا.

وحدث فى عهد عباس أن ضعف نظام الاحتكار الذى أوجده محمد على تدريجيا.. كذلك لم يخل عهد عباس من بعض الإصلاحات الداخلية منها: إصلاح الطريق





إبراهيم باشا إلهامى ابن عباس حلمى الأول .. سعى عباس لكى يجعل ابنه خليفته فى الحكم بدلا من عمه محمد سعيد باشا ولى العهد ولكنه لم ينجح فى مساعيه لتمسك الدول الأوروبية بنظام الوراثة فى عائلة محمد على .





عائلة مصرية فى عهد عباس باشا

كل من يعارض عباس باشا كان ينفى إلى السودان

بين القاهرة والسويس، ورصفه بالحجارة، وتعبيده لتسير فيه العربات والمركبات بسهولة.

ولقد كانت فكرة تعبيد ذلك الطريق من أفكار المستر (مورى) الإنجليزى، وذلك لتسهيل سبيل المواصلات البرية إلى الهند عن طريق مصر، وسرعة نقل البريد البريطانى والسائحين بين إنجلترا والهند.

وكانت السياسة الإنجليزية ترمى إلى تعبيد طريق المواصلات بين إنجلترا والهند فى مصر بواسطة إنشاء سكة حديدية تصل الإسكندرية بالقاهرة، ومنها إلى السويس.. وكانت إنجلترا تعارض فى أن تنشأ بمصر طريق بحرية للمواصلات، ولذلك عارضت فى شق القناة البحرية فى برزخ السويس، وحبذت مد السكة الحديدية بين الإسكندرية والسويس.

وفازت السياسة الإنجليزية بضم عباس إلى وجهة نظرها.. فتم على يده إصلاح طريق السويس، ثم شرع فى مد السكة الحديدية من الإسكندرية إلى القاهرة عام ١٨٥٢، وعهد بتخطيط العمل إلى المهندس الإنجليزى الشهير (روبرت ستيفنسن) يعاونه مهندسون مصريون.

لكن المهندسين المصريين هم الذين تم على أيديهم إنشاء الخط، كما أشار بذلك المسيو (مريو) المعاصر لعباس وسعيد وإسماعيل فى كتابه (مصر الحديثة)، ومن بينهم: سلامة باشا إبراهيم، وثاقب باشا، ومظهر باشا، وبهجت باشا.. وأنشئ من السكة الحديدية فى عهده الخط الواصل بين الإسكندرية وكفر الزيات عام ١٨٥٤.. وإن إصلاح طريق السويس، والشروع فى مد السكة الحديدية بين القاهرة والإسكندرية، كانا من المشاريع الجليلة، ولعل هذا هو العمل الإنشائى الوحيد الذى يذكر لعباس، وقد كانت هذه السكة أول خط حديدى أنشئ فى مصر، بل أنشئ فى الشرق قاطبة.

واعتقد المؤرخون أن استبداد عباس الأول فى شئون البلاد الداخلية يرجع إلى قسوة الوالى وضعفه الخلقى فقط.. ولذلك أغفلوا البحث عن العامل الأول فى رجعية عباس وحالة الجمود التى أصابت مصر فى عهده.. حقيقة فإن خلق عباس الشخصى ونشأته الأولى وتربيته العثمانية الخالصة وعدم معرفته بالغرب من قريب أو بعيد من المؤثرات التى دفعت الوالى إلى سياسته الرجعية، غير أنه من الخطأ الاكتفاء بهذا التفسير، ذلك لأن الوالى وطد العزم منذ بداية حكمه للاستئثار بالسلطة المطلقة فى شئون مصر.. وقد كان ذلك سلوك عباس طوال حياته، سواء كان ذلك فى علاقاته مع الباب العالى صاحب السيادة الشرعية العليا، أو حيال الدول الأوروبية عامة.

ولقد بذل عباس جهودا كبيرة للتخلص من التدخل القنصلى فى عهده.. ومع أن تاريخ البلاد الداخلى فى هذه الفترة كان يشوبه. لهذا السبب نفسه. الشىء الكثير من الرجعية والجمود، فإن عباس قد بذل جهدا كبيرا للتخلص من التدخل القنصلى الأجنبى فى عهده.. ومع أن مساعيه فى هذا السبيل لم تنجح حيال جبهة الدول الأوروبية المتحدة، فقد تمكن فى نواح أخرى من الاحتفاظ بسلطته الداخلية وبفرمانات الولاية السابقة.

ولم يكتف عباس فى الواقع بمجرد تحقيق هذه الرغبة، إذ كان يدرك مدى الضعف الذى صارت عليه تركيا خلال القرن التاسع عشر، ولم يخف عنه طمع الدول الأوروبية عامة فى اقتسام ممتلكاتها، ومنها مصر ذاتها، إذا ما سنحت الفرصة بذلك.

ولذلك فقد كان عباس يتخذ العدة دائما للانفصال عن جسد الدولة العثمانية وتحقيق استقلاله إذا ما نجحت الدول فى القضاء عليها وتقسيم ممتلكاتها.

غير أن عباس. وقد شهد تدخل الدول فى عهد جده. لم يشأ لذلك استثارة تلك الدول ضده، فقر رأيه على اتخاذ الوسيلة التى تمكنه من تحقيق مخططه، وهى توثيق علاقته مع تركيا فى حدود الفرمانات من غير الرضوخ لتدخلها فى شئون البلاد الداخلية.. مع التمسك بسيادتها الشرعية فى ذات الوقت.. وكان عباس يرجو من هذه الصلة الوثيقة معاونة الباب العالى لإبطال مساعى الدول وتدخل قناصلها فى شئونه.. بينما كان يدرك. إلى جانب ذلك. مغبة التنازع مع السلطان، فقد خشى أن يلحق الضعف بالبلاد، نتيجة هذا التنازع، مما يجعلها لقمة سائغة تتمكن أوروبا من ابتلاعها بسهولة.

ولكن تركيا لم تقابل ولاء عباس بالمثل، بل على العكس من ذلك، فقد أخذت تتذرع بكل الطرق للقضاء على سلطته الداخلية، واستعادة نفوذها وسيادتها على مصر.

وسرعان ما خدمت الظروف الدولة العثمانية للخروج من موقفها السلبى الذى اتخذته حيال البلاد فى عهد محمد على واتباع سياسة محكمة ترمى إلى إثارة الصعوبات والمشكلات فى وجه الوالى الجديد، وتعطيل إدارة الحكومة وإضعافها حتى يتسنى لها التدخل وإلغاء امتيازات الفرمانات السابقة، إن لم تتمكن من القضاء على الولاية الوراثية ذاتها.

ولقد أثار عباس باشا، بإقصائه الفرنسيين من خدمته، وإبعاده الوطنيين المتأثرين بالحياة الفرنسية من البلاد، عداوة فرنسا، التى بدأت. لأول مرة منذ أيام محمد على. تعمل على تعطيل المصالح المصرية فى الأستانة، والتعريض بسمعة والى مصر وحكومته، فحملت صحافتها حملة عنيفة ضد عباس واتهمته بالظلم والاستبداد والرجعية وقلة الدراية والعجز فى إدارة شئون الحكم.. وروجت فرنسا

عباس الأول

١٨٤٨ : ١٨٥٤



محمد سعيد باشا ولى العهد فى عهد عباس .. خلافه معه ألزمه مدينة الإسكندرية وأقام فى سراياه بالقبارى.

هذه الاتهامات ضده فى الأستانة وفى العواصم الأوروبية، ومهدت بذلك الطريق لتدخل الباب العالى فى شئون مصر، بحجة تقييد سلطة الوالى المطلقة وتحسين أحوال رعاياه.

وفى الواقع.. فقد اتخذ الباب العالى من وجود جماعة الموظفين والمصريين الأثرياء الذين اضطرهم عباس إلى اللجوء إلى الأستانة، وسيلة لحبك خيوط الدسائس والمؤامرات ضده.. وانبث أعوان السلطان فى القرى والأقاليم لتشويه سمعة الوالى، ونشر حكايات البطش والقسوة، وإظهار عداوة السلطان له ورغبته فى خلعه.

وفى الأستانة.. استمع الباب العالى لوشايات أعداء عباس الذين كانوا يبذلون المساعى لإقامة مجلس جديد من بين أفرادهم يكون أداة صالحة لكبح جماح الوالى وتقييد سلطته.

ولذلك رأت تركيا أن تتخذ من مساعى أعداء عباس واتهاماتهم مبررا للتدخل فى شئون الباشوية المصرية وتجريدها من الامتيازات التى حصلت عليها بمقتضى فرمان عام ١٨٤١، وإرجاعها إلى حظيرة الدولة ولاية عادية حتى تستقيم أحوالها.. وكانت وسيلة الباب العالى فى ذلك هى مطالبة عباس بتطبيق (التنظيمات العثمانية) فى ولايته.. وعلى ذلك، طلب الباب العالى فى مارس عام ١٨٥٠ من عباس أن يدخل التنظيمات العثمانية ويطبقها بحذافيرها فى مصر، وإعطاء الضمانات الكافية لحماية الأرواح، والأعراض، والأموال، بإقامة الإدارة العادلة فى البلاد.

وهكذا ظهر السلطان العثمانى بمظهر الحاكم المصلح المستنير.. الأمر الذى أحرج عباس الذى ازداد موقفه صعوبة بسبب مؤازرة فرنسا للباب العالى.. ولكن عباس عارض بشدة تطبيق (التنظيمات) بحذافيرها دون تعديل.. ولما كان إدخال التنظيمات العثمانية فى مصر يعنى إلغاء الباشوية الوراثية كآخر خطوات هذا التدخل من جانب الباب العالى، لذا قرر عباس أن يستعين بالنفوذ الأجنبى، وأن يستخدم لمصلحته المنافسة القائمة بين الدول آنذاك خاصة بين إنجلترا وفرنسا.

وأدرك عباس فى تلك الأونة.. أن من مصلحته التفاهم مع إنجلترا وترضيتها والاستعانة بالنفوذ الإنجليزى لاجتياز أزمة التنظيمات.. ولذلك اتخذ عباس منذ بداية الأزمة، خطة التفاهم مع إنجلترا والتخلى عن المعارضة السابقة، وأظهر استعداده للاستجابة إلى مطالبها فى مد السكة الحديدية فى الطريق البرى من الإسكندرية إلى السويس، والعمل على تشجيع التجارة البريطانية، وتأمين المواصلات مع الهند.

ولما علم الباب العالى بأمر هذا الاتفاق المبرم بين عباس وإنجلترا.. ثارت ثائرته، وأرسل إلى الوالى إنذارا شديد اللهجة فى شهر سبتمبر من عام ١٨٥١.. غير أن خطوة عباس هذه أسفرت عن ارتياح الوزير الإنجليزى (بالمرستون) وتعضيده للوالى، فكتب بالمرستون إلى السفير الإنجليزى (مورى) لكى يؤكد لعباس استجابة الحكومة الإنجليزية لرغباته، ولتبليغه بأنها أصدرت تعليماتها إلى سفيرها بالأستانة ليقدم كل مساعدة فى استطاعته لعباس لدى الباب العالى.

وعلى هذا النحو.. عاونت إنجلترا عباس فى الأستانة، ولم تحفل باحتجاجات فرنسا، التى شددت مساعيها ضد الوالى فى الأستانة، بدافع الخوف من استئثار الإنجليز بالنفوذ الأعلى فى مصر، ونجاح مشروع الطريق البرى، ووقوعه فى قبضتهم.

غير أن المعارضة الفرنسية ضد عباس لم تلبث أن خفت حدتها فى



▲▲ **صناعة الأرابيسك فى عصر عباس باشا**

الأستانة.. ويرجع ذلك إلى نشاط الدبلوماسية الإنجليزية فى العواصم الأوروبية من جهة، وإلى الانقلاب السياسى الذى حدث فى فرنسا عام ١٨٥١ من جهة أخرى، والذى جاء نتيجة تولى (لويس نابليون) الإمبراطورية الثانية فى فرنسا، والتى كان شعارها العمل من أجل السلام فى الخارج، وتوثيق العلاقات مع إنجلترا.. ولذلك نجحت المساعى الإنجليزية فى الأستانة، وتوصل الوالى والسلطان. بفضل هذه الوساطة. إلى حل مسألة (التنظيمات) نهائيا فى أبريل من عام ١٨٥٢، بشكل لا يخل بنصوص فرمانات ١٨٤٠ و١٨٤١

وفى ٢٣ أغسطس عام ١٨٥٢ قرئ رسميا فرمان السلطان فى القاهرة، وهو الفرمان الذى ظل عباس بمقتضاه، محتفظا بكل سلطاته الداخلية كاملة حسبما جاء فى فرمانات الولاية.

وفى عام ١٨٥٢، بدأت حكومة عباس تمد الخط الحديدى بين القاهرة والإسكندرية، فوصلت بعد عامين إلى كفر الزيات، كذلك قامت الحكومة بتعبيد الطريق البرى بين القاهرة والسويس.

ومع أن عباس كان يكره كل نفوذ أجنبى فى بلاده.. فإن النفوذ الإنجليزى أخذ فى الاستشراء فى مصر بالتدريج، حتى خشيت باقى الدول الأوروبية أن ينتهى هذا النفوذ باحتلال الإنجليز للبلاد.. ولم يرتح عباس نفسه لهذا النفوذ، واشتد به القلق فى أواخر عهده، وازداد فزعه خلال الحوادث التى سبقت الحرب بين تركيا وروسيا فى القرم والبلقان، فقد تمثل أمام عينيه الخطر الذى ينتظر مصر، إذا ما انهارت الدولة العثمانية، وأقدمت الدول على تقسيم ممتلكاتها، ومصر كانت. وقتذاك. ضعيفة بسبب التدخل القنصلى واستفحال النفوذ الإنجليزى، ولا يمكنها الاحتفاظ بكيانها المستقل حيال أطماع الدول الكبرى.

ولا ريب فى أن ذلك كان هو السبب الذى دفع عباس للتمسك بتبعيته للسلطان صاحب السيادة الشرعية فى البلاد، وإسراعه إلى نجدته فى حرب القرم.

وقد سارع عباس بتجنيد ثمانية آلاف مقاتل، وأرسلهم على متن الأسطول المصرى للمشاركة فى المعارك الدائرة فى البلقان.. وقد دافع المصريون. حينئذ. دفاعا مجيدا عن بعض المواقع التى كان الروس يحاصرونها (فى يونيو ١٨٥٤)، ولكن عباس لم يشهد نهاية هذه الحرب، فقد توفى فجأة فى قصره ببلدة بنها، محافظة القليوبية يوم ١٣ يوليو عام ١٨٥٤، فخلفه فى ميراث هذا الصراع خليفته فى الحكم عمه محمد سعيد باشا.

ولقد جاءت نهاية حكم عباس لمصر سريعة بعد مدة حكم قصيرة، لم تتجاوز السنوات الست.. واتفقت الروايات بخصوص موته على أنه مات مقتولا بقصره ببنها، وهذا أمر مقطوع بصحته.. ولكن الخلاف جاء فى رواية مقتله.. وليس عجيبا أن يختلف الرواة فى ذلك، فإن قتل عباس كان نتيجة مؤامرة من مؤامرات القصور، وهذه المؤامرات لا يسهل اكتشاف حقيقتها أو الاتفاق على روايتها لما يكتنفها من الأسرار، ولأنها تقع فى جنح الظلام بعيدة عن الأنظار فلا يعرف الناس عنها إلا ما تتناقله الألسن بعد وقوعها، ومن هنا ينشأ الاختلاف فى سرد الرواية.

ولدينا عن مقتل عباس روايتان.. إحداهما ذكرها (إسماعيل باشا سرهنك) فى كتابه: (حقائق الأخبار عن دول البحار).. والأخرى ذكرتها مدام (أولمب إدوارد) كما سمعتها بمصر فى أوائل عهد إسماعيل ودونتها فى كتابها: (كشف الستار عن أسرار مصر).

ويؤخذ من رواية سرهنك أنه كانت لعباس حاشية من المماليك يقربهم إليه ويصطفيهم، ويتخذ منهم خواص خدمه، ولهم عنده من المنزلة ما جعله يمنحهم الرتب العسكرية الرفيعة على غير كفاءة يستحقونها، حتى حاز أكبرهم رتبة قائمقام، وهى أعلى رتبة يستطيع الوالى منحها دون السلطان العثمانى، وفقا لفرمان ١٨٤١.. وكان لهؤلاء المماليك كبير من خاصة غلمانه يدعى (خليل درويش بك)، وعرف فيما بعد باسم (حسين بك الصغير). وقد حدث أن أساء هذا الرئيس معاملة أولئك المماليك، فاستطالوا عليه باللمز والغمز، خاصة لأنه كان صغير السن، فسخط عليهم وشكاهم إلى عباس، الذى أمر بجلدهم، فجلدوا وجردوا من ثيابهم العسكرية، وألبسهم خشن اللباس، وأرسلهم إلى الاسطبلات لخدمة الخيل.. فعز ذلك على (مصطفى باشا) أمين خزانة عباس، لأنهم كانوا من أتباعه المقربين إليه، فسعى جهده لدى سيده ليعفو عنهم، فلم يوافقه على ذلك أول الأمر. فلما ذهب عباس إلى قصره ببنها يصحبه الأمير (أحمد باشا يكن) و(إبراهيم باشا الألفى) محافظ العاصمة، رجاهما مصطفى باشا أن يطلبا من عباس العفو عنهم.. فطلبا ذلك إلى عباس فاستجاب لهما، وأصدر أمرا بالعفو عنهم، وردهم إلى مناصبهم، فجاءوا إلى بنها ليشكروا عباس على ذلك، لكنهم قرروا الفتك به لما نالهم على يده انتقاما منه.. وكان من عادة عباس أن يقوم

عباس الأول

١٨٤٨ : ١٨٥٤





سليمان باشا الفرنساوى ظل قائدا للجيش فى عهد عباس ولكنه كان مغلول اليد ولم يتمكن من النهوض بالجيش وإصلاح شئونه.

محطة قطار الإسكندرية فى بداية إنشائها فى عهد عباس

غلامان من مماليكه على حراسته أثناء نومه، وكانت النوبة ليلة مقتله لغلامين من خدم السراى يدعى أحدهما (عمر وصفى) ويدعى الآخر (شاكر حسين)، اتفقوا معهما على قتله.

وفى الليلة الموعودة (ليلة ١٤ يوليو ١٨٥٤)، جاء المتآمرون فى غسق الليل على اتفاق مع الغلامين وفتحا لهم الباب، فدخلوا غرفة نوم عباس، وهو نائم، ولما أرادوا الفتك به استيقظ وحاول النجاة، فصده عمر وصفى، وتكاثر عليه المتآمرون وقتلوه، ثم أوعزوا إلى الغلامين بالهرب فهربا، وكتم المتآمرون الخبر، ولما لم يستيقظ الوالى فى موعده دخل عليه أحمد باشا يكن وإبراهيم باشا الألفى فوجداه مقتولا، فذعرا لهذه الفاجعة، واتفقا على إخفاء الخبر حتى نقلا الوالى القتيل إلى القاهرة فى عربة، ووصلا بها إلى قصره بالحلمية، وهناك ذاع خبر قتله.

وأرادت جماعة من أنصار عباس، وعلى رأسهم محافظ العاصمة

◀◀ يوم الاحتفال بافتتاح محطة قطار القاهرة.. المشروع الذى تحمس له عباس بإنشاء سكة حديدية تصل بين القاهرة والإسكندرية ومنها إلى السويس

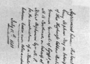
works, and buildings, and shall not be entitled to any sum in addition to the said Fifty-six thousand pounds sterling.

Done, ratified, and executed in duplicate by the above mentioned contracting parties on the twelfth day of July in the year eighteen hundred and fifty-one at Kafr Marjun in Egypt, whose names are hereunto subscribed.

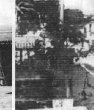
Witnesses: Abdur Rahman Rouchdy Bey
Reginald Pringle

Stephen Bey

Robt Stephenson



وثيقة عقد إنشاء خط السكة الحديد بين القاهرة والإسكندرية موقع من عباس وروبرت ستيفن عام ١٨٥١





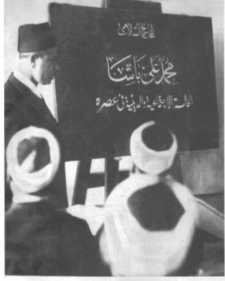
محطة قطار الإسكندرية ويظهر موقف الدواب أمام المحطة



إبراهيم باشا الألفى. أن يجعلوا الحكم من بعده لنجله إبراهيم إلهامى باشا، الذى كان. وقتذاك. بأوروبا، فاتفقوا على استدعائه ليولوه الحكم، وكان سعيد باشا. آنذاك. بالإسكندرية يقيم بسراى (القبارى)، فكتبوا سرا إلى محافظ الإسكندرية (إسماعيل سليم باشا) وأبلغوه بما اتفقوا عليه، وطلبوا منه القيام على أمر الإسكندرية حتى يحضر إلهامى باشا، فلم يوافقهم على ذلك لعلمه أن الحكم من حق سعيد باشا.. فقصد من فوره إلى سعيد وأنهى إليه خبر الرسالة التى وصلت إليه، فشكره سعيد على إخلاصه، وذهب بصحبته إلى سراى رأس التين، وأعلن اعتلاءه العرش، وأجريت له احتفالات جلوس العرش، وأطلقوا المدافع.

ثم سافر سعيد باشا بصحبة أمراء الأسرة الحاكمة، الذين كانوا مبتعدين عن العاصمة لما بينهم وبين عباس من العداء والنفور، فلما وصلوا إلى القاهرة ذهب سعيد إلى القلعة وتولى زمام الحكم.. تلك خلاصة رواية إسماعيل باشا سرهنك.

أما رواية مدام أولمب إدوارد.. فخلاصتها أن الأميرة (نازلى هانم)، عمة عباس هى التى ائتمرت به وهى فى الأستانة، وأنفذت مملوكين من أتباعها لقتله، واتفقت وإياهما على أن يعرضا نفسيهما فى سوق الرقيق بالقاهرة كى يشتريهما عباس ويدخلهما فى خدمته، وكان المملوكان على جانب من الجمال، مما يرغب وكيل الأمير فى شرائهما، فجاءا إلى القاهرة بالفعل ونزلا سوق الرقيق إلى أن رآهما يوما وكيل الأمير، فراقه جمالهما فاشتراهما وأدخلهما سراى مولاه بينها.. فأعجب بهما عباس، وعهد إليهما بحراسته ليلا.. فلما كانت الليلة الأولى لم يجرؤ المملوكان على ارتكاب القتل لأنهما خشيا بأس عباس إذ كان قوى البنية شديد البطش وخافا أن يقاومهما وينجو من فتكهما به



عباس الأول

١٨٤٨ : ١٨٥٤



حسن الإسكندرانى قائد سلاح البحرية .. حقد عباس على سلاح البحرية جميعا لحقده على عمه سعيد باشا فأهمل شأن الأسطول وتعطلت أعمال الترسانة البحرية فى عهده .

فينكل بهما شر تنكيل.. فانقضت الليلة الأولى بسلام.. ومرت عدة أيام وهما يستجمعان قوتهما لتنفيذ القتل عند سنوح الفرصة.. وعندما سنحت الفرصة لهما وجاءت النوبة عليهما فى الحراسة ليلا، اعتزما أن يكونا أكثر شجاعة من قبل.. فلم يكد عباس يستغرق فى النوم حتى انقضا عليه وقتلاه.. ولما تم لهما ما أرادا نزلا اسطبلات الخيل الملحقة بالسراى، وطلبا إلى السائس أن يجهز لهما فورا جوادين بحجة أن الباشا يطلب حاجة له من قصره بالعباسية، فلم يشك السائس فى الأمر، وجهز لهما الجوادين، فسارا بهما عدوا إلى القاهرة، ومن هناك فرا إلى الأستانة، حيث كافأتهما الأميرة نازلى مكافأة سخية على حسن أدائهما.

وتقول مدام أولمب إن إلهامى باشا تعقب المملوكين القاتلين ليثأر لمقتل أبيه، فالتقى بأحدهما فى الأستانة فقتله رميا برصاص مسدسه، ولم يستطع اللحاق بالثانى، ولم يعثر له على مكان، وقيل إنه آوى إلى بلاد الألبان فرارا من القتل.. فالروايتان . مع اختلافهما فى بيان المحرضين على القتل وطريقة ارتكاب الجريمة . يتفقان فى أن عباس مات مقتولا إثر مؤامرة دبرت لقتله ونفذت فى قصره ببنها.

▲▲

أغلق عباس المدارس الابتدائية والمدارس التجهيزية وتراجعت حركة النهضة والنشاط الذى امتاز به عصر محمد على

ولقد انتشرت عقب وفاة عباس، روايات مقتله.. ولكن يتضح من دراسة الوثائق الأمريكية والإنجليزية أن القنصل الأمريكى فى مصر (إدوين دى لوين) والقنصل الإنجليزى (بروس) يخالفان الرأى القائل إن عباس مات مقتولا.. فقد كتبا إلى حكومتيهما أن الوفاة جاءت طبيعية.. فكتب بروس إلى حكومته فى ١٧يوليو عام ١٨٥٤، أنه عندما مات عباس فجأة فى قصره فى بنها مساء ١٣ يوليو، استدعى طبيبان إيطاليان فقررا أن الوفاة طبيعية، وأنها وقعت على أثر نوبة حادة من الصرع انتابت عباس.. وفى رسالة أخرى فى ١٣ أغسطس عاد القنصل إلى موضوع الوفاة فقال: إن كل الشائعات التى راجت عن مقتل عباس لا أساس لها من الصحة.. ثم ذكر كيف أن أطباء عباس كانوا يتوقعون أن تحدث الوفاة فجأة على أثر إحدى نوبات الصرع التى اشتدت وطأتها على عباس فى سنوات حياته الأخيرة. ■■

فى الحلقة القادمة عصر التقدم والنهضة فى عهد سعيد باشا وأعظم الإصلاحات التى شهدها هذا العصر .

مصر فى ١٥٠ سنة

مصر للمصريين شعار سعيد





مصر فى 150 سنة

1805 : 1952









محمد على

ابراهيم

عباس الأول

سعيد

١٨٥٤ : ١٨٦٣

اسماعيل

توفيق

عباس حلمى



حسين كامل



فؤاد الأول

فاروق الأول



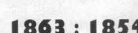








البداية مع القروض



1854 : 1863

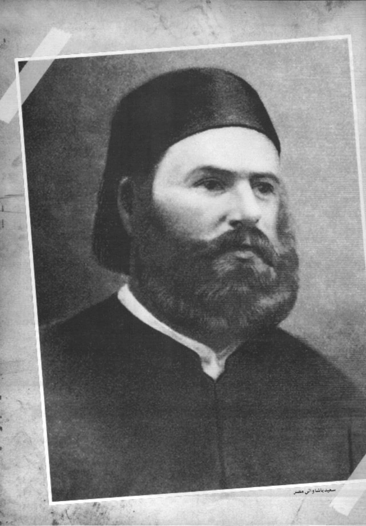
" يمتاز عهد سعيد بظهور نهضة وطنية جديرة بأن تعد من أدوار الحركة القومية، ترجع إلى نزعة سعيد الوطنية، وميله إلى خير المصريين ورفاهيتهم، والعمل على رفع الظلم والقهر عنهم، وبث روح القومية المصرية فى نفوسهم، والنهوض بهم إلى إحراز المناصب العليا فى الإدارة والجيش. ولكن إلى جانب محامد عهده بدأت على يديه ثغرات التدخل الأجنبى فى شئون مصر، لحبه للأجانب وللفرنسيين خصوصا، ولصداقته «لفرديناند دليسبس» صاحب مشروع إنشاء «قناة السويس» على يد شركة أوروبية، مخالفا فى ذلك تعاليم أبيه العظيم. وافتتاحه عهد القروض الأجنبية التى أدت إلى مزيد من التدخل الأجنبى فى شئون البلاد، وجرت الكوارث على البلاد وكبلتها بالسلاسل والأغلال التى أدت فى النهاية إلى الاحتـــلال. "



حلقات يكتبها :

أ.د. عطيـة القـوصى

الصور من أرشيف : سمير الغزولى



سعيد باشا والي مصر

سعيد باشا



١٨٥٤ : ١٨٦٣

ولد محمد سعيد عام ١٨٢٢، ونشأ فى حجر أبيه العاهل محمد على محاطا بعطفه ورعايته. وكان أبوه قد اعتنى بتربيته وتثقيفه وتنشئته النشأة السوية الحسنة، واختار له، لما وصل إلى مرحلة الشباب، السلك البحرى، فتدرب على فنون البحرية وامتثل لقوانينها شأنه فى ذلك شأن الطالب العادى المطيع لمدرسيه، والملتزم بالأوامر والالتزامات البحرية.

مصر للمصـ

لعل هذه النشأة هى التى جعلته ينشأ متواضعا متعاونا مع زملائه، فقد كان اثناء دراسته ومرانه، زميلا لأقرانه الطلاب الذين خصصهم ابوه لدراسة الفنون البحرية، يعيش كما يعيشون ويعاملهم معاملة الزميل للزميل، ويتخذ منهم الاصدقاء المقربين.

ولما اتم سعيد دراسته انتظم فى خدمة أسطول ابيه قائدا (قومندانا) لإحدى البوارج المصرية فى ظهر البحار. واعتاد سعيد الانضباط والنظام الذى هو اساس الحياة العسكرية. فكان يبدى احترامه لأساتذته ويخضع لقراراتهم ولا يتعالى عليهم بحكم وضعه.

ومما يذكر عنه انه لما نال حظا من التعليم البحرى، وكان وقتئذ يحمل لقب البكوية، جعله أبوه معاونا (لمطوش باشا) ناظر البحرية وقائد الاسطول واصدر إليه امره بان يمتثل لاوامره ويؤدى له التحية العسكرية والتعظيم بوصفه رئيسا له. وكان ذلك من سديد رأى محمد على ومن اطيب توجيهاته لابنه، اذ عوده على الطاعة والنظام.

وارتقى سعيد فى السلك البحرى حتى وصل، فى آخر عهد ابيه، الى منصب القائد العام للاسطول بعد اعتزال مطوش باشا هذا المنصب. وقد كان لتلك النشأة التى نشأ عليها سعيد باشا أثرها فى تآلفه مع المبادئ الديمقراطية، الامر الذى جعله، حين تولى عرش مصر، يتآلف مع المصريين ويتعاطف معهم، ويعمل على إنصافهم وترقية أحوالهم وتقدمهم ورفاهيتهم.

ولقد كانت اهم الصفات البارزة فى



▲▲ السقاة فى عهد سعيد.. صورة نمطية ظلت موجودة فى مصر حتى سنوات قليلة مضت

ـريين شعار سعيد

خلق سعيد انه كان طيب القلب، ميالا للخير، كريما، شجاعا، صريحا متسامحا، ومحبا للعدل، كارها للاستبداد والظلم على عكس عباس سابقه فى الحكم.

ولكنه الى جانب هذه الصفات الطيبة فى خلق سعيد، فقد كانت لديه نقاط ضعف فى تكوينه الشخصى، من ذلك ضعف ارادته، وكثرة تردده وعدم استقراره على رأى واحد وكثرة تشككه. ومن هنا جاءت تقلباته فى خططه وبرامج اعماله، وانصياعه لأراء خلطائه وأصدقائه من الأوروبيين الذين لم يكونوا عند حسن الظن بهم.

ويؤخذ ايضا على سعيد سرعة غضبه لأوهى الاسباب، وسرعة رجوعه عن هذا الغضب. كذلك يؤخذ عليه الاسراف فى الصرف، ولجوؤه الى الاستدانة من البيوت المالية الاوروبية التى فتحت على البلاد مصائب كبرى. ويؤخذ عليه ايضا إفراط ثقته بالاجانب والافتتان بهم، خصوصا الفرنسيين منهم، وعلى رأسهم صديقه الحميم (فرديناند ديليسبس)

ونتيجة لتلك الثقة الزائدة من طرفه فى الاجانب، بسطوا، فى عهده ايديهم على مرافق البلاد، واستطالوا على سلطة الحكومة وسيادتها، وتعالوا على اهل البلاد، وصار لقناصلهم من نفوذ كبير ما لم يكن لهم من قبل فى حكم الولاة قبله وفى حكم محمد على.

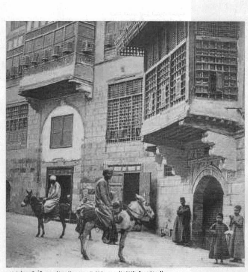
ولقد كان سعيد، عند وفاة أخيه إبراهيم، المرشح للوراثة بعد عباس (الاول)، تبعا لفرمانات الوراثة، ولكن عباس كان يسعى لان تكون وراثة العرش من بعده لابنه الاكبر (ابراهيم الهامى)، فنقم لذلك على عمه، واتهمه بالتآمر عليه، الامر الذى اضطر سعيد إلى الابتعاد عن مقر الحكم، وانعزاله بقصره (بالقبارى) فى الاسكندرية.

ومع ذلك، لم تنجح جهود عباس فى تحقيق غرضه، بسبب غياب ابنه خارج البلاد عندما فاجأ الموت عباس كذلك بسبب معارضة جماعة من كبار موظفى الحكومة لجميع المساعى التى





فرديناند ديليسبس مهندس فرنسى صاحب مشروع إنشاء قناة السويس .. تم توقيع عقد الامتياز الأول لحفرها فى عام ١٨٥٤ وتوقيع عقد الامتياز الثانى فى ٥ يناير ١٨٥٦





▲▲

الحياة فى مصر
فى عهد سعيد باشا

▶▶

قام بها أنصار عباس لتغيير نظام الوراثة فى البيت العلوى، فتمكن سعيد عندئذ من تولى الحكم وذهب من فوره إلى القاهرة بعد وفاة عباس ببضعة أيام يوم ٢٠ يوليو ١٨٥٤ حيث تسلم زمام الأمور وأصبح الوالى على البلاد وما إن تولى سعيد الحكم، حتى عمل على الإصلاح فى البلاد فى الزراعة والتجارة والصناعة والتعليم وأحوال الجيش والأسطول والسياسة الخارجية فشهدت البلاد نهضة عامة ويقظة بعد سبات وقع لها طوال عهد عباس ولهذا نظر المؤرخون إلى عهد سعيد على أنه عهد مناقض تماما لعهد عباس فى كل شىء فى مجال السياستين الداخلية والخارجية على حد سواء.

وبصدد الاصلاحات الزراعية، فإننا نرى سعيد باشا يبذل جهودا موفقة لإصلاح حال الفلاح المصرى وتخفيف الأعباء الواقعة على كاهله فخول الفلاح المصرى حق الملكية العقارية للأراضى الزراعية وبذلك ألغى نظام الاحتكار الذى سنه ابوه من قبل، وقد سن لهذا الغرض قانونه المشهور (باللائحة السعيدية) الصادرة يوم ٥ أغسطس عام ١٨٥٨ / ٢٤ ذو الحجة ١٢٧٤ هـ. وهى من أعظم اصلاحاته لأنها اساس التشريع الخاص بملكية (الأطيان) فى القطر المصرى. وهى تعد من آثاره الخالدة التى تذكر له بالخير، لأن الملكية من الدعائم الاساسية لكيان المجتمع وكان الفلاح المصرى محروما من حق التملك فى عهد محمد على وعباس وقضت هذه اللائحة بأن كل من مضت عليه خمس سنوات وهو يزرع ارضه لا تنزع منه.

كذلك من انجازات سعيد الكبيرة إلغاؤه نظام احتكار الحكومة لأنواع الحاصلات الزراعية ذلك النظام الذى عمل به فى عهد أبيه وعهد عباس فصار من حق الفلاح التصرف فى محصوله وحرية اختيار نوع الزرع الذى يريد زراعته ومن حسنات سعيد بخصوص الزراعة أنه قام بتخفيف عبء الضرائب عن الأهالى، وأعفاهم من متأخرات ضرائب السنين الماضية فاستراح الفلاحون من أعباء تلك المتأخرات القديمة التى كان عمال الجباية يرهقونهم فى تحصيلها ويستولون على محاصيلهم الزراعية فى حالة تأخرهم عن الدفع لاستيفاء ما تأخر عليهم منها.

وقد رغب سعيد الأهالى فى سداد الضريبة الزراعية نقدا لا عينا، وتفرع هذا التعديل عن إلغاء نظام احتكار الحاصلات الزراعية فبعد أن كانت الحكومة تضع يدها على الحاصلات وتتصرف فيها وتحاسب الفلاح على السعر الذى تقرره هى بمطلق ارادتها صار للفلاحين حق امتلاك حاصلاتهم والتصرف فيها بالبيع بالسعر الذى يرتضونه واداء الضريبة نقدا، وبذلك صار للفلاح وجود اقتصادى مستقل عن الحكومة بعد أن كان مستعبدا لها فكان هذا الاصلاح من أسباب تحسن أحوال الفلاح اقتصاديا واجتماعيا ..

ولما لم يكن بأيدى الفلاحين النقد الذى يستطيعون أن يؤدوا الضريبة به بحسب





▲▲ **التجارة فى ازدهار فى عهد سعيد باشا.. وفى الصورة شارع الموسكى أنذاك**

النظام الجديد لسبق استيلاء الحكومة على حاصلاتهم قرر سعيد إمهالهم فى الدفع حتى يتسنى لهم بيع محصولهم الجديد وأداء الضريبة من ثمنه فشعر الفلاحون بسبب ذلك بالراحة والطمأنينة فتوقف لذلك تيار هجرة الفلاحين من القرى.

وبخصوص إصلاح التجارة الداخلية قام سعيد بإلغاء ضريبة (الدخولية) وهى ضريبة كانت تجبى على الحاصلات والمتاجر المتبادلة فى المدن والقرى فى داخلية البلاد .. وكانت هذه الضريبة سبب إعنات وإرهاق لحق بالأهالى كما أنها كانت عقبة تحول دون حرية حركة التجارة الداخلية إذ كانت الحكومة تتقاضى على المتاجر ١٢٪ من قيمتها عند دخولها أى مدينة أو قرية وكان هذا يؤدى إلى ارتفاع سعر السلع وازدياد الغلاء .. كما أن طريقة تحصيل هذه الضريبة كانت تنطوى على نوع آخر من الارهاق إذ كان يقوم بجبايتها (ملتزمون) يبتزون الأهالى أكثر من قيمتها فكان من إلغاء تلك الضريبة تخفيف على الأهالى وتحرير للتجارة الداخلية مماكان يعترضها من عقبات وعراقيل.

وكان من أسباب الانتعاش التجارى فى عهد سعيد تلك العناية التى بذلتها الحكومة لتحسين النقل المائى داخل البلاد فقد قامت الحكومة بتطوير ترعة المحمودية التى تربط النيل بميناء الاسكندرية وأزالت الطمى الذى كان يملأ قاعها ويعوق مرور السفن ويمنع وصول الماء اللازم لرى الأراضى الزراعية وقد تم تطهير الترعة وانشاء طريق زراعى معبد إلى جوارها خلال ٢٢ يوما .. فكان اتمام هذا المشروع الضخم فى تلك المدة القصيرة مدعاة للاعجاب بمقدرة الفلاح المصرى فى انجاز مشاريع العمران الأمر الذى شجع فرديناند ديليسبس على اغراء سعيد بتسخير آلاف الفلاحين فى حفر قناة السويس.

وفى عام ١٨٥٦ استكمل الخط الحديدى بين الاسكندرية والقاهرة وهو الخط الذى كان قد بدئ العمل فيه فى عهد عباس ووصل حتى عام ١٨٥٤ إلى كفر الزيات ثم أنشئ بعد ذلك بين عامى ١٨٥٦ و١٨٥٨ خط آخر من القاهرة إلى السويس فأكمل بذلك الاتصال البرى بين أوروبا والهند.

وقد أدى ذلك النهوض بالنقل إلى اصلاح وتوسعة ميناء السويس وانتعاش حركة العمران فيه فلم تعد حركة السفن فيه مقصورة على موسم الحج بل أصبحت السفن ترد إليه على مدار العام. كذلك تقدم عمران مدينة الاسكندرية بسبب نشاط التجارة وانشاء شركات الملاحة التجارية.

فقد أنشئت عام ١٨٥٤ شركة للملاحة النيلية لنقل المسافرين والمتاجر والحاصلات على البواخر فى النيل بدلا من المراكب الشراعية اقتصادا للوقت وتسهيلا للتوصيل

وكانت هذه الشركة شركة أجنبية تعهدت فى نظير الامتياز الممنوح لها بأن تقوم ببعض الاصلاحات فى ترعة المحمودية.

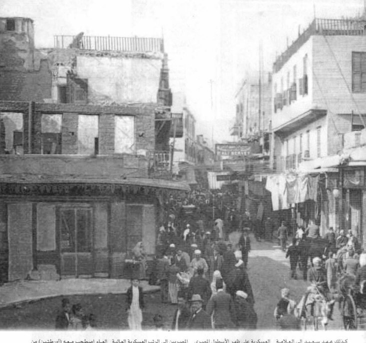
ومن عام ١٨٥٧ تأسست شركة أخرى للملاحة البحرية عرفت باسم الشركة المجيدية لحمل المتاجر والمسافرين والحجيج فى البحرين الأحمر والمتوسط وكان يقوم بادارة هذه الشركة خليط من الوطنيين والأجانب.

ومن أعمال سعيد الاصلاحية الاجتماعية سنه لائحة المعاشات للموظفين المتقاعدين وهى الأساس الذى بنى عليه نظام المعاشات المتبع فى مصر لموظفى الحكومة حتى اليوم.

ومن أعماله العمرانية التحفظ على الآثار المصرية وجمعها فى مخازن أعدت لها فى بولاق وقد عهد بهذه المهمة إلى العالم الأثرى الكبير ماريت باشا.



محمد عبد الحليم باشا شقيق سعيد باشا أرسله إلى السودان لتدبير أمر اتخاذ السودان ملجأ وملاذا إذا ما فكرت الدول الكبرى بالفعل فى اقتسام ممتلكات رجل أوروبا المريض.



كذلك عهد سعيد إلى العلامة محمود باشا الفلكى الرحلة إلى دنقلة ببلاد السودان لرصد كسوف الشمس بها فقام بهذه المهمة وعند عودته كلفه سعيد بوضع خريطة مفصلة للقطر المصرى ففعل ذلك.

وبالنسبة للشئون القضائية فلقد حصل سعيد من الباب العالى على حق تعيين القضاة فى مصر بعد أن كان السلطان يقوم بذلك فاستقام بهذا الأمر سير العدالة وقلت أسباب الرشوة.

وفى شهر فبراير ١٨٥٧ نظم سعيد الدواوين وأنشا نظارات «وزارات» جديدة فصارت فى البلاد أربع نظارات هى : نظارة المالية والحربية والداخلية والخارجية.

ولقد اهتم سعيد باشا باصلاح الجيش والأسطول وتحسين ما طرأ عليهما من إهمال وتدهور فى عهد عباس ولعل نشأة سعيد الأولى العسكرية على ظهر الأسطول المصرى قد حببت إليه الحياة العسكرية برية وبحرية ولذلك اعتنى عند ولايته الحكم بترقية شئون الجيش والعودة إلى ما كان عليه أيام أبيه وتحت قيادة أخيه ابراهيم.

وقد قرر سعيد تقصير مدة الخدمة العسكرية وجعلها فى نفس الوقت إجبارية للجميع وقد كان لهذا القرار أثره الحسن فى ترغيب الأهالى فى الانتظام فى سلك الجندية.

وأمر بأن تشمل الخدمة العسكرية أبناء المشايخ والعمد وأقاربهم كسائر الفلاحين حتى يشعر الجميع بأن خدمة الوطن واجب على الجميع.

وقد اعتنى سعيد باشا بترقية حال الجنود فى المأكل والملبس حتى تآلف الأهالى مع الخدمة العسكرية ونقلوا عند عودتهم إلى قراهم ماعهدوه فى الجندية من نظام ونظافة وانضباط وقد عمل سعيد على ترقية الجند المصريين إلى الرتب العسكرية العالية بعد أن كان هذا الأمر مقصورا على الجنود الترك والألبان.

ومن أعمال سعيد باشا العسكرية انشاؤه (القلعة السعيدية) بالقناطر الخيرية التى كان يقيم فيها فى بعض الأحايين وقد جعلها مصدا لهجمات الأعداء عن القاهرة إذا ما جاءوها من طريق النيل.

على أن سعيد كان دائم التغيير بخصوص الجيش بسبب تقلب رأيه الذى كان من مواضع ضعف شخصيته فكثيرا ماكان يرى بخصوصه ماينافض مارآه بشأنه بالأمس فلم يثبت على رأى واحد بخصوص الجيش فهو يعنى بزيادة عدده يوما وإذا به يسرح أغلبه فى اليوم التالى.

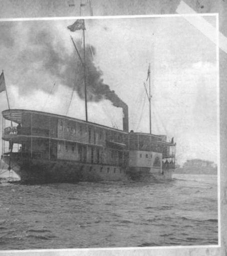
ففى عام ١٨٥٦ قام بتسريح معظم جيشه ولم يستبق منه إلا ٦ (أورط) من المشاة و٣ (بلوكات) من المدفعية ..

ولما سافر إلى السودان أواخر ذلك العام اصطحب معه (أورطتين) من الجيش وأبقى الأورط الأربع الباقية بالقاهرة والاسكندرية وبنى سويف ثم جمع الضباط بالقلعة السعيدية بالقناطر وذلك لخوفه من أن يتمرد الجيش ضده وهو خارج البلاد.

وفى سنة ١٨٦٠ أعاد سعيد الجيش ثانية إلى أعداده الأولى وأعاد إليه ضباطه الذين قام بتسريحهم وقام بتنظيم فرقه.

وكان دافع سعيد من وراء ذلك هو التجهز للقتال حين توترت علاقاته مع تركيا بسبب موضوع قناة السويس .. وقد عسكر بهذا الجيش بنفسه فى مريوط لمدة ثلاثة أشهر يشرف خلالها على مناوراته الحربية.

وقد بلغ عدد الجيش آنذاك نحو ٦٤ ألف مقاتل ولما انفرجت الأزمة مع تركيا قام بتسريح معظم هذا الجيش ولم يبق منه إلا



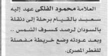


سعيد باشا

١٨٥٤ : ١٨٦٣







العلامة **محمود الفلكى** عهد إليه سعيد بالقيام برحلة إلى دنقلة بالسودان لرصد كسوف الشمس .. وبعد عودته وضع خريطة مفصلة للقطر المصرى.



القليل.

وكانت أعمال الحفر فى قناة السويس سببا من أسباب انخفاض عدد قوات الجيش المصرى ذلك لتخصيص سعيد أكبر عدد من المجندين لأعمال حفر القناة فبعد أن كان عدد الجيش عام ١٨٦٢ ستين ألفا نقص إلى أن أصبح عشرة آلاف فقط.

هذا عن الجيش أما عن البحرية والأسطول فإن سعيد وجه عنايته إلى الارتقاء بشأن الأسطول.

فلما عادت السفن الحربية المصرية من حرب القرم أمر باصلاحها واضافة سفن أخرى جديدة لها. لكن الباب العالى بتحريض من انجلترا أمر سعيد بعدم زيادة عدد السفن الحربية فرضخ سعيد لأوامر السلطان وكان ذلك سببا فى اضمحلال قوة مصر البحرية فى عهده.

وهناك سبب آخر لاضمحلال البحرية فى عهد سعيد ذلك أن الدول الأوروبية أخذت تستبدل بالسفن الحربية الشراعية السفن الجديدة البخارية التى صارت تتألف منها الأساطيل البحرية .. ولكن مصر قصرت عن مجاراة الأساطيل الأوروبية فى هذا المضمار ومن هنا أمعنت البحرية المصرية فى الضعف والانحلال.

وفى الوقت الذى أهمل فيه سعيد شأن البحرية الحربية عنى بالملاحة التجارية الداخلية والخارجية فأنشأ عام ١٨٥٤ شركة الملاحة البحرية بغرض نقل الحاصلات بطريق النيل والمسافرين على البواخر .. وصارت هذه السفن البخارية تقطع المسافة بين القاهرة والإسكندرية فى ٣٦ ساعة بعد أن كانت السفن الشراعية تقطعها فى ١٥ يوما وقد سميت هذه الشركة باسم الشركة المصرية للملاحة البخارية مع أنها شركة أجنبية ولم يكن من أعضائها من المصريين سوى ذو الفقار باشا وزير المالية ورئيسها الفخرى.

وفى عام ١٨٥٧ أنشئت الشركة المجيدية وهى شركة مساهمة للملاحة البحرية الغرض من انشائها تسيير البواخر فى البحر الأحمر والمحيط الهندى والخليج العربى والبحر المتوسط وقد ترأس هذه الشركة عند تأسيسها الأمير مصطفى فاضل ابن ابراهيم باشا وتشكل مجلس ادارتها من خليط من الوطنيين والأجانب وقد قامت الحكومة بتصفية هذه الشركة بسبب ما أصابها من فساد وأحلت مكانها حكومة اسماعيل باشا (الشركة العزيزية).

ولقد نشطت حركة التجارة والعمران فى ميناء السويس، بعد إنشاء الخط الحديدى الذى يصلها بالقاهرة وبعد إنشاء الشركة المجيدية للبواخر واتخاذ السويس ميناء لخطوط الملاحة فى البحر الأحمر .. فعزم سعيد باشا على اصلاح مرفئها وتوسعته وعهد بذلك إلى شركة ديسو الفرنسية التى تعاقدت معه على انشاء حوض عائم بالميناء لاصلاح السفن وتوسعة الميناء، وقد اكتملت جميع أعمال الاصلاح فى عهد اسماعيل.

ويؤخذ على سعيد عدم اهتمامه بالتعليم وتنوير أذهان عامة الشعب وكان دافعه وراء ذلك خوفه من أن توجد طبقة مستنيرة كبيرة بين أفراده قد تنبه الأذهان إلى ضرورة اصلاح الحكم وانتقاد البيت الحاكم ولذلك بدأ سعيد عهده بإلغاء ديوان المدارس «وزارة المعارف العمومية».

كما ألغى الكثير من المدارس القائمة واستعاض عنها بمدرسة حربية واحدة بالقلعة جعل نظارتها لرفاعة الطهطاوى الذى استقدمه من منفاه بالخرطوم وبمدرسة أخرى للمهندسخانة بالقلعة السعيدية التى أنشأها بالقناطر الخيرية.

وفى عام ١٨٥٥ أغلق سعيد المدرسة المفروزة التى أنشأها عباس وقلل من ارسال البعثات العلمية الى الخارج ..

وفى عهده اضطربت الأحوال فى مدرسة الطب بقصر العينى .. فكان عهد سعيد بخصوص التعليم عهد ركود وجمود مثل عهد سابقه عباس.

وبرغم عدم اهتمام سعيد بتعليم أبناء الشعب من المصريين فإنه أولى عناية تامة بالتعليم الخاص للأجانب بهدف خطب ود الدول الأجنبية وكسب رضاها عليه فحظيت فى عهده المدارس التى أنشأتها الجاليات الأجنبية والارساليات الكاثوليكية والبروتستانتية فى مصر بكل رعاية وتشجيع ولم تكن هذه الارساليات فرنسية أو إيطالية فحسب وإنما هيئات دينية عالمية تتبع معظمها بابا الفاتيكان ومن هذه الهيئات على سبيل الحصر مدارس الفرنسيسكان ومدارس الفرير ومدارس الراعى الصالح ومدارس الساكركير القلب المقدس وغيرها وقد افتتحت أول مدرسة أجنبية كاثوليكية للبنات فى القاهرة يوم ٦ يناير عام ١٨٤٦ وهى مدرسة الراعى الصالح.

ولقد لقيت هذه الارساليات الأجنبية تشجيعا من سعيد واسماعيل بإنشاء مدارس لها ومنحها الأموال والهبات والأراضى الكثيرة ..

ومما يذكر أن سعيد قد منح مدرسة الراهبات اليسوعية ٦٥ إردبا من القمح سنويا كما منح الارسالية الأمريكية عام ١٨٦١ مبنى من أبنية الحكومة فى حى الموسكى بالقاهرة يطل على ميدان الأزبكية ويتكون من ٢٥ حجرة واسعة تبلغ قيمته حوالى ٥٠ ألف دولار فى ذلك الوقت.

ولقد اشتهر عن سعيد على عكس سلفه عباس حبه للأجانب وتساهله معهم وتشجيعه لهم على النزوح الى مصر لاستخدام أموالهم الوفيرة فى استثمار مواردها ولذلك فتح باب الهجرة الى مصر على مصراعيه ووفد الى البلاد سيل عظيم من الأجانب الذين رأوا فيها ميدانا واسعا للاستثمار.



أنشئت عام ١٨٥٤ شركة للملاحة النيلية لنقل المسافرين والمتاجر والحاصلات على البواخر فى النيل بدلا من المراكب الشراعية



.. وانتشرت المراكب السياحية فى النيل بين الأقصر وأسوان



الأمير مصطفى فاضل رئيس الشركة المجيدية وهى شركة مساهمة للملاحة البحرية فى المحيط الهندى والخليج العربى .. أنشئت عام ١٨٥٧ ولكنها صفيت بسبب ما أصابها من فساد.

وعلى هذا النحو عاد الفرنسيون واليونانيون إلى مصر فى عهد سعيد وانتشر اليونانيون خصوصا فى قرى مصر وقدموا القروض والسلف للفلاحين بالربا الفاحش وجدير بالذكر أن أغلبية الأجانب الذين وفدوا إلى مصر فى هذا العهد كان معظمهم من المغامرين والأفاقين الذين دأبوا على تقديم المشروعات الخيالية والخطط الجنونية إلى سعيد باشا.

ولم تكن هذه المشروعات المزعومة إلا وسيلة للتحايل على الحكومة ومطالبتها بتعويضات مالية طائلة بدعوى أن الحكومة بعد قبولها هذه المشروعات قد تعمدت تعطيلها أو تأخرت أو أخطأت فى تنفيذها إلى غير ذلك من الدعاوى والتلفيقات التى كان قناصل دول هؤلاء المغامرين يساعدونهم عليها وقد كان بعض هؤلاء القناصل يتاجر لحسابه الخاص، لأن نظام التمثيل القنصلى آنذاك كان لايمنع القناصل من مزاولة التجارة ويحصلون على نصيب من التعويضات وكانت أطماع هؤلاء القناصل الشخصية تحركهم لاستغلال

▲▲

متحف بولاق القديم للآثار.. والذى أنشئ فى عهد سعيد لجمع القطع الأثرية وحمايتها

مراكزهم وانتفاخ جيوبهم مستندين فى ذلك إلى الحقوق الواسعة التى كانت لهم فى سائر انحاء الدولة العثمانية وولاياتها بفضل الامتيازات الأجنبية العديدة.

وفى الحقيقة كانت مصر هى أكبر الولايات العثمانية التى أسىء فيها استعمال الامتيازات الأجنبية وكانت الوصاية الأوروبية على مصر التى فرضتها فرمانات ١٨٤٠ و١٨٤١ عليها هى السبب الذى جعل ولاة مصر من أسرة محمد على حريصين على ارضاء الأوروبيين ومعرضين بالتالى لضغوطهم الأمر الذى فتح باب الفساد على مصراعيه فى مصر ووجد الوالى نفسه مضطرا حيال تغلغل النفوذ القنصلى الأجنبى فى عهده إلى عقد الصفقات المجحفة مع الأفراد والشركات الأجنبية للقيام بالأعمال العامة فانتشر فى عهده الاستغلال الأجنبى بانتشار الشركات الأجنبية ..

واضطر سعيد فى كثير من الأحيان بتأثير ضغط القناصل إلى دفع تعويضات باهظة عن أعطال وهمية أو خسائر متعمدة للأفراد والشركات

الأجنبية معا.

وهكذا أصبحت مصر فى عهد سعيد وعهد اسماعيل من بعده ميدانا للنهب والسلب فلم يكن هنالك شيء مستحيل لايصلح ليكون عذرا للسطو على الخزانة المصرية.

فإذا سرق أجنبى بسبب اهماله فى حراسة ماله اتهمت الحكومة بالخطأ فى ذلك بحجة عجزها عن المحافظة على الأمن العام والنظام وإذا ما قام هذا الشخص برفع دعوى أمام المحاكم القنصلية حكمت له المحكمة بالتعويض المطلوب الذى تقوم الحكومة على الفور بسداده.

ولا ريب فى أن سعيد باشا كان يشعر بخطورة تغلغل هذا النفوذ الأجنبى والقنصلى وكان يلجأ فى بعض الأحيان إلى الباب العالى لانتشاله من مخالب هذا التدخل لكنه كان دائما يفضل دفع التعويضات لعدم قدرته على الصبر والمثابرة الأمر الذى أطمع فيه القناصل وزاد من ضغطهم عليه فى مطالبة رعاياهم بالأموال الطائلة مدة حكمه.. ولذلك كان التدخل القنصلى فى عهد سعيد من العوامل التى أدت إلى ارتباك مالية الدولة ومهدت الطريق للأزمة المالية العصيبة التى حلت بالبلاد خلال حكم خلفه الخديو اسماعيل.

ولقد بدأت سياسة الاقتراض من البنوك الأجنبية فى عهد ولاية سعيد ولاندرى ما الذى حمل سعيد على سياسة الاقتراض هذه مع أنها لم تكن من سنن أبيه ولم تكن الدولة فى حاجة ملحة إلى الاستدانة؟ فإن سنوات حكم سعيد لمصر كانت فى جملتها سنوات يسر ورخاء ولم تقع خلالها حروب طويلة تستنفد موارد الحكومة المالية! والواقع أن قصر نظر سعيد السياسى هو الذى دعاه إلى مد يده للاستدانة من الخارج ففتح على البلاد بسبب ذلك باب التدخل الأجنبى.

ولقد عقد سعيد أول قرض ثابت عام ١٨٦٢ ومقداره الاسمى ٣.٢٤٢.٨٠٠ جنيه انجليزى من بنك (فروهلنج وجوش) بلندن بفائدة مقدارها ٧٪ أما قيمته الحقيقية التى تسلمتها مصر فكانت ٢.٤٠٠.٠٠٠ بخسارة قدرها ٨٠٠ ألف جنيه وأكثر وتعهدت بسداد هذا الدين على ٣٠ سنة تدفع كل سنة قسطا سنويا مع الفوائد ٢٦٤ ألف جنيه ويكون بذلك مجموع ماستسدده مصر لهذا القرض ٧.٩٢٠.٠٠٠ جنيه .. وكان ضمان هذا القرض دخل مديريات الوجه البحرى الخصبة.

وعدا هذا الدين الثابت فقد ابتدع سعيد طريقة سحب سندات على الخزانة بمعنى أنه يقترض من المرابين ديونا سائرة بواسطة سندات يحررها على الخزانة بالقيمة المقترضة .. وقد كانت تلك وسيلة خطرة على مالية البلاد لأنها اقتراض لا ضابط له ولا حساب ولا رقابة عليه.. وقد اندفعت الحكومة فى سبيلها وتورطت فى الديون السائرة دون أن تلتفت إلى الخطر الذى ينتج عن الزيادة فيها.

وقد اختلفت الآراء فى احصاء الدين السائر الذى اقترضه سعيد باشا وإن كان أقرب الأرقام إلى الحقيقة فى حجم الدين الذى تراكم على سعيد حين وفاته هو ١١.١٦٠.٠٠٠ جنيه وإذا استبعدنا من هذا الدين الدين الثابت نجد أن الديون السائرة قد بلغت ٧.٨٦٨.٠٠٠ جنيه تقريبا، وهو مبلغ كبير لا تستطيع خزانة الدولة تحمله فى ذلك الوقت.

وقد ارسل القنصل النمساوى (شرايندر) بتقرير يفيد ذلك إلى حكومته يوم ٥ يناير ١٨٦٣ أى قبل وفاة سعيد بحوالى أسبوعين.

وبصدد السياسة الخارجية لمصر فى عهد ولاية سعيد باشا نجد أن نفس الصعاب التى سبق أن واجهت سلفه عباس مع الدول الأوروبية ومع دولة الخلافة العثمانية تواجه سعيد عند بداية توليه الحكم فلقد استغلت الدول الأوروبية ضعف مركز مصر السياسى وعملت على زيادة نفوذها داخلها واستغلال مرافقها الداخلية لتوطيد ذلك النفوذ.

وزاد من مصاعب سعيد باشا ازدياد نفوذ الانجليز فى مصر فى السنوات الأخيرة من ولاية عباس ثم ما أقدمت عليه مصر من الاشتراك إلى جانب تركيا فى حرب القرم (١٨٥٤ - ١٨٥٦). وقد تعرض استقلال مصر دون شك بسبب ذلك إلى خطر الضياع عند انهيار الإمبراطورية العثمانية آخر الأمر وتوزيع ممتلكاتها بين الدول.

غير أنه برغم ماقدمه سعيد للباب العالى فإن ذلك لم يشفع له عند السلطان تورطه فى الاعتماد على دولة أجنبية هى فرنسا.

وقد جعل هذا التقارب بين الوالى وفرنسا السلطان يتمسك بسياسته الدائمة نحو مصر التى استهدفت إرجاع مصر لتكون ولاية عادية تابعة للدولة العثمانية وتحكم حكما مباشرا من الأستانة وبناء على ذلك فلم يكد يمضى على تولى سعيد الحكم على مصر سوى شهرين فقط وإذا بالباب العالى يرسل (دفتردار) للإشراف على الأعمال فى مصر والتجسس على الوالى.

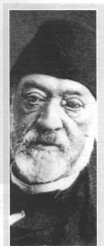
ولم يكن أمام سعيد حيال ذلك سوى الاستعانة بمؤازرة دولة أوروبية توقف السلطان عند حد فرمان عام ١٨٤١ وكان أمام الخيارين انجلترا وفرنسا لكن نشأة سعيد الأولى وميوله الفرنسية جعلته يلجأ إلى فرنسا دون انجلترا .. وأخذت الحكومة الفرنسية تسترد مكانتها السابقة فى علاقاتها مع مصر منذ أن تسلم (لويس نابليون) زمام حكم فرنسا فى عهد الجمهورية الثانية.

وكما أن عباس، سلف سعيد، قد دفع الثمن بسبب التأييد الانجليزى فى شكل موافقته على إنشاء الخط الحديدى من الاسكندرية إلى القاهرة فقد دفع سعيد الثمن لكسب التأييد الفرنسى بإعطاء امتياز حفر قناة السويس إلى الفرنسى (فردیناند دیلیسبس). وإرسال (أورطة) سودانية إلى المكسيك لمساعدة الفرنسيين فى حربهم هناك.

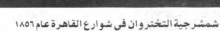
على أن مفاوضة ديليسبس مع سعيد بخصوص القناة جاءت فى الواقع مؤذنة ببداية

سعيد باشا

١٨٥٤ : ١٨٦٣



العالم الأثرى **ماريت باشا** عهد إليه سعيد بجمع الآثار المصرية فى مخازن أعدت لها فى بولاق.



شمشرجية التختروان فى شوارع القاهرة عام ١٨٥٦

مرحلة جديدة فى التطور الذى حدث فى علاقة مصر الخارجية ذلك أن انجلترا قد أغضبتها مفاوضات القناة ثم أغضبها توقيع عقد الامتياز الأول لحفر القناة فى ٣٠ نوفمبر عام ١٨٥٤ وتوقيع عقد الامتياز الثانى فى ٥ يناير ١٨٥٦.

ولقد خافت انجلترا من ضياع نفوذها فى مصر وتهديد فرنسا لطريقها إلى الهند وإلى الشرق عموما كذلك تخوفت من نفاذ فرنسا إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى.

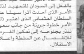
لذا عملت انجلترا على تعطيل المشروع وعدم تنفيذه إن أمكن وأخذت انجلترا تثير الباب العالى ضد سعيد وتدس له عنده فى الأستانة الأمر الذى أدى إلى توتر العلاقات بين الوالى والسلطان.

كان من أسباب الانتعاش التجارى فى عهد سعيد تلك العناية التى بذلتها الحكومة لتحسين النقل المائى بتطوير ترعة المحمودية التى تربط النيل بميناء الإسكندرية



الغرف الملكية بالتكية المصرية

ولقد ازداد موقف سعيد حرجا حين تواطأ لويس نابليون مع انجلترا عام ١٨٥٦ واتفق معها على مشروع لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية على أن تكون مصر من نصيب انجلترا الأمر الذى جعل سعيد يفكر جديا فى الهرب إلى السودان لتدبير أمر اتخاذها ملجأ وملاذا له إذا مافكرت الدول الكبرى بالفعل فى اقتسام ممتلكات «رجل أوروبا المريض» وأرسل سعيد أخاه الأمير محمد عبدالحليم بالفعل إلى السودان للتمهيد لذلك الأمر الذى أحدث أثرا سيئا عند السلطان العثمانى الذى اعتبر ذلك الأمر خطوة جريئة من جانب سعيد تنذر بجنوحه إلى تمكين الفرص للانفصال عن السلطة واعلان الاستقلال.



ولقد عول سعيد على مشروع شق قناة السويس آمالا كبرى فى مقدمتها ضمان تحقيق غايته الكبرى فى انفصاله عن تركيا وذلك بتعضيد من فرنسا صاحبة المشروع له فى ذلك الأمر ولصيانة مصالحها بمساعدة مصر على الخروج من الرقابة والسيطرة العثمانية.

ثم ماكان ينتظره سعيد من ازدياد ثروة البلاد عند نجاح شق الطريق المائى الجديد الذى يخدم التجارة العالمية ويحقق أهدافه السياسية.

هذا فضلا عن ايمانه بأن المشروع الجديد سوف يحمل الدول الأوروبية والعالم أجمع على احترام الأوضاع فى مصر والعمل على ثبات الحكم فيها وصيانة



سعيد باشا

١٨٥٤ : ١٨٦٣





رفاعة الطهطاوى ناظر المدرسة الحربية فى عهد سعيد .. استقدمه من منفاه فى الخرطوم لتولى هذه المهمة حيث ألغى سعيد معظم المدارس واستعاض عنها بهذه المدرسة.

نظام الوراثة المستحق لها .. كذلك رأى سعيد أن ضمان الدول لحياد القناة عند شقها سوف يستتبعه دون شك ضمان الدول لحياد مصر ذاتها.

غير أن الانجليز ظلوا يعارضون مشروع شق القناة وواصلوا الوقيعة بين الوالى والسلطان ولم تجد كل المحاولات التى أبداها سعيد لارضاء الانجليز وأخذ موافقتهم على مشروعه بل زاد دسهم له عند السلطان حتى وصلت العلاقات بين الوالى والسلطان إلى أدنى درجاتها حتى إن سعيد رفض فى عام ١٨٦١ دعوة السلطان له بزيارة الأستانة فى ذلك العام خوفا من أن يغدر به.

ولقد تمتعت حكومة نابليون الثالث بنفوذ كبير فى مصر وتمكنت بفضل هذا النفوذ من خدمة مصالحها وتحقيق مآربها بشكل أقنع أوروبا آنذاك على اعتبارها سعيد باشا مجرد آلة فى يد فرنسا تحركها كيف ومتى تشاء.. وقد تلمس العالم مظهر هذا النفوذ فى التلبية السريعة من جانب سعيد لطلب نابليون الثالث له بامداده بقوة من جند السودان لمعاونة فرنسا فى الحرب الخاسرة التى أثارتها أطماعها فى المكسيك.

فوافق سعيد على ارسال (أورطة) سودانية تألفت من ١٢٠٠ جندى وضابط سودانى لتحارب فى المكسيك التى يتواءم مناخها مع مناخ السودان.

وقد تم إرسال الأورطة السودانية دون علم السلطان فلما علم السلطان بالأمر ثارت ثائرته وأرسل رسائل شديدة اللهجة إلى سعيد يلومه فيها على تصرفه ويتوعده غير أن سعيد باشا لم يلبث أن توفى فى ١٨ يناير ١٨٦٣ دون أن يتمكن من الرد على السلطان وترك الرد على ذلك لخليفته من بعده .. إسماعيل باشا. ■■

▲▲
الجواهرجى

فى الحلقة القادمة **إسماعيل باشا يرث تركة ثقيلة خلفها وراءه سعيد.**

أبيض وأسود
العدد ٨٠٦ - ١ يونيو ٢٠٠٥

مصر فى ١٥٠ سنة

قناة السويس

عهد جديد مع سعيد






محمد على



ابراهيم



عباس الأول



سعيد ١٨٥٤ - ١٨٦٣



اسماعيل



توفيق



عباس حلمى

حسين كامل



فؤاد الأول




فاروق الأول





هدية سعيد للبشرية

1863 : 1854

"يعتبر المؤرخون الأوروبيون، والفرنسيون على وجه الخصوص، مشروع قناة السويس مفخرة سعيد باشا ويقولون إنه بهذا العمل، قد أدى أعظم خدمة للإنسانية عامة، وللحضارة خاصة.. هذه القناة التى ربطت البحر الأحمر بالبحر المتوسط، سهلت عبور السفن التجارية والحربية بين الشرق والغرب، ورفعت عن الدول صاحبة تلك السفن مشاق اجتياز المحيط الأطلسى ورأس الرجاء الصالح ذلك الطريق الطويل المحفوف بالمكاره والأخطار، ووفرت لها. أيضا. الوقت والتكلفة."

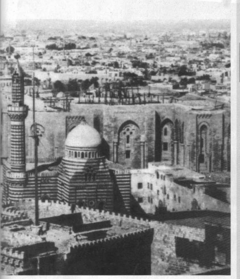
الحلقة الثامنة

حلقات يكتبها :
أ.د. عطية القوصى

الصور من أرشيف : سمير الغزولى



سعيد باشا والي مصر



سعيد باشا



١٨٥٤ : ١٨٦٣

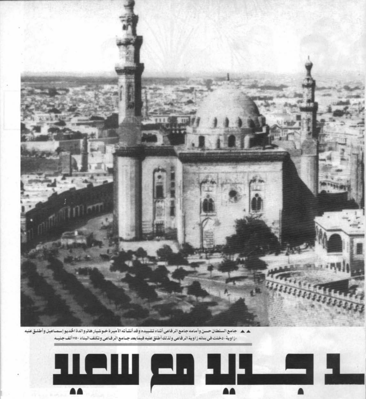
لم تكن فكرة وصل البحرين المتوسط والأحمر وليدة العصر الحديث، بل كانت ترجع إلى أيام الفراعنة فى التاريخ القديم، وكان الملك (سيزوستريس) أول من فكر فى ذلك المشروع منذ آلاف السنين، لكن لم يتم له ذلك، ولا لمن فكر فيه من بعده.. وشاءت إرادة الله أن يتم فى منتصف القرن التاسع عشر فى عهد ولاية محمد سعيد باشا، ابن محمد على باشا الكبير.

قناة السويس.. عط

لقد فكر العديد من ملوك وحكام العالم القدامى والمحدثين فى وصل البحرين المتوسط والأحمر لتيسير سير السفن التجارية والحربية بين الشرق والغرب.. وقد بدأت فكرة الوصل عند الفرعون (سيزوستريس)، فكان أول من فكر فى ذلك الأمر، ثم تبعه فى ذلك الملك الفارسى (داريوس)، ثم (بطليموس فيلادلفوس) ثانى ملوك البطالمة خلفاء الإسكندر الأكبر فى حكم مصر، ثم الإمبراطور الرومانى (تراجان).

ومع فتح العرب لمصر.. شقوا (خليج أمير المؤمنين) بين النيل والبحر الأحمر.. وقد ظلت تلك القناة مفتوحة للملاحة حتى عام ٧٧٠ ميلادية، حين أمر بردمها الخليفة العباسى (أبوجعفر المنصور) حتى لا يتم بواسطتها نقل المؤن للثوار الخارجين عن حكمه بالحجاز.. وأهمل شأن القناة بعد ذلك.

وكان الحجيج والتجار حين يصلون بالبحر إلى بلدة الفرما (بورسعيد الحالية) قاصدين البحر الأحمر، يركبون الإبل عابرين الطريق البرى عبر الصحراء حتى ميناء القلزم (السويس) على البحر الأحمر.. ثم يعاودون ركوب البحر من القلزم إلى موانى الحجاز، أو ميناء عدن ومضيق باب المندب إلى المحيط الهندى حتى الوصول إلى



▲▲ جامع السلطان حسن وأمامه جامع الرفاعى أثناء تشييده وقد أنشأته الأميرة خوشيار هانم والدة الخديو إسماعيل وأطلق عليه «زاوية» دخلت فى بنائه زاوية الرفاعى ولذلك أطلق عليه فيما بعد جامع الرفاعى وتكلف البناء ٧٥٠ ألف جنيه

... جديد مع سعيد

الساحل الغربى لبلاد الهند.

ولقد ظل هذا الطريق البحرى . الذى عرف بطريق (الترانزيت) بين الشرق والغرب لقرون عديدة . هو طريق التجارة بين الشرق والغرب، إلى أن اكتشف (فاسكو داجاما) البرتغالى عام ١٤٩٨ طريق رأس الرجاء الصالح الذى نافس الطريق القديم حتى بداية العصر الحديث.

ولقد أدى استخدام الطريق الجديد إلى تمتع البرتغاليين والإسبان بالقسط الأوفر من تجارة أوروبا مع الشرق، ثم تقدم نفوذ الإنجليز، بعد ذلك، تدريجيا، للسيطرة على هذا الطريق.

وبسبب تلك السيطرة الإنجليزية.. وقع احتكار تجارة الشرق فى أيديهم وحرمت بلاد حوض البحر المتوسط . خاصة المدن الإيطالية وفرنسا . من امتيازاتها التجارية القديمة.

ولهذا درس الفرنسيون موضوع شق قناة فى برزخ السويس بين البحرين المتوسط والأحمر لإنعاش تجارتهم والتغلب على طريق رأس الرجاء الصالح.

غير أن تركيا . ومن ورائها إنجلترا . أقامت العقبات فى سبيل تنفيذ هذا المشروع.. ولم تر فرنسا فى سبيل تحقيق مشروعها إلا الحرب.. وهذا يفسر لنا سر حملتها التى قادها نابليون بونابرت على مصر.

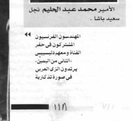
وكان أول ما اتجه إليه نابليون بعد استقراره فى مصر.. هو دراسة معالم القناة المصرية القديمة، وفحص أحوال برزخ السويس، ثم تكليف (لوبير)، أحد مهندسى الحملة ببحث هذا المشروع من جهاته المتعددة.. وبالفعل، قدم لوبير لنابليون فى ديسمبر من عام ١٨٠٠ تقريرا عن المشروع، وهو التقرير الذى اتخذ فيما بعد أساسا لكل البحوث المستقبلية المتصلة بشق القناة.. ومن المعلوم







الأمير محمد عبد الحليم نجل سعيد باشا .



المهندسون الفرنسيون المشتركون فى حفر القناة ومعهم دليسبس «الثانى من اليمين» يرتدون الزى العربى فى صورة تذكارية

أن جلاء الفرنسيين السريع عن مصر عطل دراسات مشروع شق قناة السويس.

وفى عهد محمد على جاء المسيو (فرديناند ديليسبس) إلى مصر، لأول مرة، عام ١٨٣١، متوليا منصب مساعد القنصل الفرنسى، فأبدى الباشا نحوه عطفا كبيرا لما كان بينه وبين أبيه الكونت (ماثيو ديليسبس) من صلات الصداقة القديمة، منذ أن كان قنصلا لفرنسا فى مصر عام ١٨٠٣ . وقد كسب ديليسبس صداقة سعيد عندما كان صبيا صغيرا.. وكان محمد على يخاف على ابنه الذى كان عنده استعداد للبدانة، ولذلك فرض عليه نظاما غذائيا قاسيا، ولم يكن محمد على مهتما بتعليم ابنه سعيد، ولكنه كان مهتما اهتماما بالغا بوزن ابنه.. وكان ديليسبس يرثى لحال الصبى المحروم، ولذلك كان يدعوه إلى القنصلية الفرنسية ويقدم له أكلات (المكرونة) التى كان سعيد مغرما بها سرا دون علم أبيه.. ووقعت بذلك الصداقة بين فرديناند ابن ديليسبس وسعيد ابن محمد على.. وقد عهد محمد على لفرديناند أن يعنى بتربية سعيد الرياضية، فتعلم سعيد على يده أنواع الرياضة المختلفة والمهارة فى ركوب الخيل.. ومن هنا نشأت صلات الود بين الشابين، واستمرت صداقتهما طوال حياة سعيد.

وقد وقع فى يد ديليسبس . وهو فى الإسكندرية . بحث المسيو لوبير عن وصل البحر المتوسط بالبحر الأحمر، فانكب على دراسة هذا البحث بعمق، ولم يلبث أن تاقت نفسه إلى تحقيق هذا المشروع بحفر قناة بحرية تصل بينهما.. ثم انتقل من منصبه بمصر، وتقلد عدة مناصب سياسية فى أقطار مختلفة، إلا أنه لم يغب عن فكره أمر هذا الموضوع.

وكان وصل البحرين بقناة مشروعا ظل موضع البحث والتفكير فى أوروبا بين مختلف المهندسين المتخصصين من يوم أن وضع المسيو لوبير تقريره عنه فى عهد نابليون.. وكان الخطأ الذى وقع فيه المسيو لوبير هو ظنه أن البحر الأحمر يعلو عن سطح البحر المتوسط بنحو تسعة أمتار، وهى عقبة يراها المهندسون حائلة دون إمكان وصل البحرين عن طريق برزخ السويس.

على أنه تألفت فى عام ١٨٤٦ لجنة فنية من مختلف الدول لدراسة مشروع حفر القناة، وجاء أعضاؤها إلى مصر لدراسة المشروع فى أواخر عهد محمد على، واستمروا على عهد عباس، وعاونتهم

▲▲

المهندس فرديناند دليسبس فى صورة تذكارية مع أولاده وأحفاده



◂◂
ميدان المنشية بالإسكندرية ويظهر مستودع مياه الشرب الذى يغذى سكان الإسكندرية

▴▴
أبو الهول فى عهد سعيد باشا وكان مسموحا للسياح بتسلق قمته

الحكومة فى إجراء البحوث، وعهدت بتخطيط المواقع إلى بعض كبار المهندسين مثل (لينان باشا) و(سلامة إبراهيم باشا) و(إبراهيم بك رمضان) و(طائل أفندى) وغيرهم.. وانتهت اللجنة إلى أن فرق مستوى البحرين ليس أمرا ذا بال.. ورأت إمكان الوصل بينهما بشق ترعة تجتاز طريق الدلتا.

وكان محمد على منذ البداية، معترضا على مشروع القناة، غير راغب فيه، لما كان يتوقعه إذا تم من العواقب الوخيمة على مصر.. فلم يستجب لدعوة المهندسين الذين زينوا له المشروع.. كذلك أعرض عباس باشا عن المشروع.. وحاول ديليسبس إقناعه بفائدته دون جدوى.. ولما مات عباس وتولى سعيد.. استبشر فرديناند ديليسبس خيرا بنجاح فكرته على يد صديقه القديم.. فأرسل إليه يهنئه بتولى الحكم، ويبلغه عزمه الحضور إلى مصر لتقديم فروض التهانى.. فرحب به سعيد واستدعاه إلى مصر.. وسرعان ما وصل فرديناند إلى الإسكندرية (نوفمبر ١٨٥٤) وقابله سعيد بحفاوة كبيرة، ثم اصطحبه معه فى رحلة من رحلاته الحربية على طريق الصحراء الغربية، فانتهز فرديناند هذه الفرصة وفاتح سعيد فى أمر المشروع، فوافق سعيد عليه، ووعده



بمساعدته وتأييده فى تحقيقه.. واستدعى سعيد قواده وعرض عليهم الفكرة، وكانوا معجبين بفروسية ديليسبس، فسارعوا إلى استحسان المشروع دون أن يبحثوه أو يوازنوا بين مضاره ومنافعه.

ووقع سعيد على عقد الامتياز الأول لصديقه فرديناند ديليسبس يوم ٣٠ نوفمبر عام ١٨٥٤، وهو المعروف بعقد الامتياز الأول، تمييزا له عن عقد الامتياز الثانى المؤرخ فى ٥ يناير عام ١٨٥٦ .

ومع أن صداقة سعيد لديليسبس كانت . دون شك . أحد العوامل الرئيسية التى حملت الوالى على الاستماع لآرائه ومشورته والركون إليه.. فإن سعيد كان . إلى جانب ذلك . يعتقد فى الفوائد التى ستعود على مصر من تنفيذ هذا المشروع الخطير.. ولذلك وقع امتيازا لتأسيس شركة مساهمة عالمية مهمتها القيام بالأعمال اللازمة لحفر القناة.

غير أن سعيد أرجأ إعطاء ديليسبس مكاتبة رسمية بهذا الامتياز حتى يطمئن تماما إلى وجاهة المشروع من الناحيتين السياسية والفنية.. فتبع الامتياز المبدئى بحث جديد فى برزخ السويس قام به المهندسان (لينان) و(موجيل) برفقة ديليسبس.

وفى مارس عام ١٨٥٥ قدم المهندسان تقريرا ضافيا لإنشاء قناة مستقيمة بين الفرما والسويس.. وفى أبريل من نفس العام قدم ديليسبس تقريرا جديدا إلى سعيد بالأعمال التى يعتزم إنشاءها.. فنفى فى هذا التقرير الحاجة إلى ربط القناة بأحد فرعى النيل، وذكر أن يتم الحفر فى طريق مباشر مستقيم بين البحرين الأحمر والمتوسط.

وقد كان من نتيجة التقريرين المقدمين.. أن حصل ديليسبس على المكاتبة الرسمية المطلوبة فى ١٩ يناير ١٨٥٥، واتفق على ألا تبدأ أعمال الحفر قبل موافقة الباب العالى.. وفى أكتوبر من نفس العام تشكلت لجنة دولية لفحص المشروع ثانية، وعقدت هذه اللجنة جلساتها الأولى فى باريس، ثم وفدت لجنة فرعية منها إلى مصر لمواصلة دراستها فى منطقة برزخ السويس.

وفى ٢ يناير ١٨٥٦ قدمت اللجنة تقريرها إلى سعيد، وكان مما جاء فيه: "إن حفر القناة المباشر من السويس فى اتجاه خليج الفرما هو الحل الوحيد لمسألة إيصال البحر الأحمر بالبحر المتوسط، وأن حفر هذه القناة أمر سهل والنجاح مضمون".. فأصدر سعيد فرمانه الثانى بالامتياز النهائى فى ٥ يناير ١٨٥٦ (٢٦ ربيع الآخر ١٢٧٢هـ).



سعيد باشا

١٨٥٤ : ١٨٦٣



الوالى محمد سعيد فى طفولته .

وفى هذا الامتياز النهائى.. عهد سعيد إلى (شركة قناة السويس) حفر قناة الملاحة البحرية بين الفرما والسويس، وحفر ترعة أخرى للملاحة النيلية ولرى الأراضى الزراعية تبدأ بالقرب من القاهرة وتمتد إلى بحيرة التمساح، حيث تتفرع شمالا إلى خليج الفرما وجنوبا إلى السويس، مع تحويل بحيرة التمساح إلى ميناء داخلى، وإصلاح ميناء السويس، ثم إنشاء ميناء آخر فى الفرما إذا دعت الحال إلى ذلك.

وإلى جانب هذه الالتزامات.. فقد تضمن الامتياز الكثير من الحقوق للشركة.. فقد صار للشركة الحق فى تملك واستغلال القناة البحرية والترعة العذبة، ثم كل الأراضى التى تمران بها طوال مدة الامتياز وهى ٩٩ عاما تبدأ من تاريخ افتتاح القناة للملاحة البحرية، مع إمكان تجديد هذه المدة نظير زيادة حق الحكومة المصرية من صافى الأرباح السنوية وهى من ١٥٪ إلى ٣٠٪

ولقد تمتعت الشركة إلى جانب ما تقدم. بكل حقوق السيادة المطلقة فى منطقة القناة المزمع إنشاؤها.. وتعهدت الحكومة المصرية ببذل المعاونة اللازمة لتسهيل أعمال الشركة بأن يكون على الأقل أربعة أخماس العمال اللازمين لحفر القناة من بين المصريين.

هذا بالإضافة إلى منح وحقوق أخرى، كحق الشركة فى وضع يدها على كل الأراضى اللازمة لها مع تعويض أصحابها، وإعفاء الشركة من أداء الرسوم الجمركية عما تستورده من الآلات والمواد. إلى غير ذلك من المنح والحقوق التى أعطت للشركة صفة الحكومة القائمة فى داخل حكومة البلاد، مما كان لا يتفق فى الواقع مع حقوق سيادة الدولة العليا.

وبرغم صداقة سعيد لديليسبس.. فإنه كان يخشى معارضة الباب العالى وغضبه.. فعلق سعيد العمل بهذه المنح والامتيازات على ضرورة الحصول مبدئيا على موافقة الباب العالى وتصديقه عليها.. وقد جعل هذا الأمر ديليسبس يسارع بالسفر إلى الأستانة لأخذ الموافقة المطلوبة من سلطان الأستانة، على أن ديليسبس سرعان ما اكتشف ما كان ينتظره من معارضة واحتجاج من قبل السلطان فى الأستانة، الأمر الذى لم يضعه فى حسبانه، والذى سيعمل على تعطيل مشروعه.

ولقد انحصرت معارضة السلطان لمشروع ديليسبس فى رفض السلطان لتلك المنح والحقوق العديدة التى تضمنها الامتياز المعطى لفرديناند ديليسبس.. كذلك وقوف السلطان مع إنجلترا فى معارضتها للمشروع وإثارتها الباب العالى برفض التصديق على حفر القناة.

ولقد رأت الحكومة البريطانية فى تنفيذ المشروع على يد فرنسا انتصارا لفرنسا عليها فى لعبة السيطرة والنفوذ بينهما على مصر.. ولذلك قاومته بشدة، ونددت بالمشروع من أساسه واعتبروه وهما وخيالا اصطنعه فرديناند ديليسبس.

وقد أوعز الإنجليز إلى الباب العالى بأن القصد الوحيد من إنفاذ هذا المشروع هو رغبة فرنسا وسعيد فى انفصال مصر عن جسد الدولة العثمانية، ومحاربة المصالح البريطانية فى الهند خصوصا، وفى الشرق على وجه العموم.

ولقد زاد الإنجليز من تهديدهم للباب العالى بإمكان قيامهم باحتلال مصر ذاتها إذا أصرت مصر على تنفيذ المشروع، حفاظا على ممتلكاتهم فى الشرق.. وفضلا عن ذلك، فقد أظهر الإنجليز للباب العالى عزمهم التخلى عن مبدأ المحافظة على كيان الدولة العثمانية إذا ما وافق الباب العالى على المشروع.. الأمر الذى أصاب السلطان عبدالمجيد بالذعر، وجعله يتعهد للإنجليز برفضه التام للمشروع، وعدم موافقته عليه طالما لم توافق إنجلترا عليه.. فكان ذلك من أسباب فشل مساعى ديليسبس فى الأستانة مع السلطان العثمانى.

ورغم الصعوبات التى واجهته.. تمكن ديليسبس. بفضل صداقته لسعيد باشا ومعاونته له. من تأسيس شركة القناة فى عام ١٨٥٨، فقد أصدر عندئذ للاكتتاب ٤٠٠ ألف سهم، قيمة كل سهم منها عشرون جنيها مصريا، أو ٥٠٠ فرنك فرنسى، صار من الواجب تغطيتها حتى تكتسب الشركة المركز المالى اللازم قانونيا لمباشرة أعمالها بمجرد موافقة الباب العالى.

ولما كان ديليسبس يستند فى إقناع سعيد بالفوائد التى سوف تجنيها مصر من تحقيق مشروعه على "دولية القناة وعالميتها".. فقد أصبح من الضرورى إذن أن تكتتب كل الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب مصر وتركيا.

غير أن الدولة العثمانية امتنعت عن شراء هذه الأسهم


العربة التى سميت باسم صاحبها سوارس وهو رجل أجنبى أنشأ عربات من الخشب تسع عشرة ركاب ويجرها بغلان وجعل أول خط لها بين العتبة الخضراء وبولاق


معابد فيلة تغرق فى الفيضان فى عهد سعيد باشا




أنجة هانم زوجة سعيد باشا .

التى طرحتها الشركة للبيع، كما نجحت فى إقناع كل من بريطانيا وروسيا والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية بعدم الشراء.. الأمر الذى سبب صعوبات عديدة لديليسبس، ومنعه من أن يعقد اجتماع مجلس الشركة فى الموعد الذى حدده لنفسه كما كان يرجو.

ومع ذلك.. فإن ديليسبس سرعان ما وجد طريقا ومخرجا له من هذه الصعوبات بفضل ما وطد عليه العزم من استغلال صداقة سعيد له وثقته العمياء به.. وذلك أن سعيد كان قد وافق أول الأمر على الاكتتاب فقط بعدد ٦٤ ألف سهم من حصة الدولة العثمانية، إلا أنه إكراما لصديقه فقد قرر شراء جميع الأسهم التى امتنعت الدول


▲▲
شارع الموسكى فى عصر سعيد باشا

◄◄
.. وهكذا كانت حياة المصريين أنذاك

والبيوت المالية عن شرائها ومقدارها ١١٣، ٦٤٢ سهما.. وبذلك صارت مصر تمتلك فى عام ١٨٥٩ عدد ١٧٧، ٦٤٢ سهما، وتقع عليها مديونية للشركة بمبلغ ٨٨، ٨٢١، ٠٠٠ فرنك.

وبذلك أصبحت أسهم شركة قناة السويس وعددها ٤٠٠ ألف سهم موزعة كالآتى: ٢٠٧، ١٦٠ سهما للمكتتبين الفرنسيين. أى بنسبة ٥١، ٧٩٪ من عدد الأسهم. وعدد ١٧٧، ٦٤٢ سهما لحساب الحكومة المصرية. أى بنسبة ٤٤، ٤١٪ من عدد الأسهم الكلى. وعدد ١٥، ١٩٨ سهما لبقية المكتتبين. أى بنسبة ٣، ٨٠٪ من عدد الأسهم الكلى.

ولقد عقد مجلس إدارة الشركة أول اجتماع له فى باريس يوم ٢٠ ديسمبر عام ١٨٥٨، وأرسل المجلس لجنة فرعية إلى مصر للإشراف على أعمال الحفر التى بدأت بالفعل يوم ٢٥ أبريل عام ١٨٥٩، هذا بالرغم من اضطراب مركز الشركة المالى، وعدم موافقة الباب العالى على البدء فى المشروع، وبرغم امتناع سعيد نفسه عن إعطاء الإذن ببدء العمل فى الحفر.

وكان سعيد يخشى غضب الباب العالى عليه ومعاداته.. وقد أرسل السلطان العثمانى بالفعل يعلن عن غضبه على سعيد.. فأصدر سعيد إلى ديليسبس أمرا يوم التاسع من يونيو ١٨٥٩ يطلب منه وقف عمليات الحفر التى كانت قد بدأت بالفعل، حيث إن





سعيد باشا

١٨٥٤ : ١٨٦٣





فرديناند دليسيبس جاء إلى مصر أول مرة عام ١٨٣١ وتكونت بينه وبين سعيد صداقة سببها أطباق المكرونة التى كان يقدمها المهندس لابن والى مصر فى القنصلية الفرنسية .

صورة فوتوغرافية نادرة لحفر قناة السويس

الباب العالى لم يوافق بعد على الامتياز الممنوح للشركة، وهو صاحب الحق فى ذلك.

وازدادت مخاوف سعيد كذلك، بسبب الحرب التى اندلعت فى ذلك الوقت بين فرنسا والنمسا، وانشغال (نابليون الثالث) بأمر تلك الحرب، وعدم تفرغه لموضوع القناة تماما.. وقد أدت تلك الحرب وعدم اهتمام فرنسا بأمر القناة إلى مزيد من تدخل إنجلترا لدى الباب العالى فى الأستانة، والكيد عنده ضد مشروع القناة. غير أن معارضة الإنجليز للمشروع لم تلبث أن خفت حدتها بعد أن خرجت فرنسا منتصرة فى حربها ضد النمسا، وخشيت

◄◄ ..وصورة جرافير التى عرضت على الوالى محمد سعيد من المهندس دليسيبس توضح طريق الحفر من بورسعيد إلى السويس

إنجلترا من العزلة السياسية عندما لم تنجح مساعيها فى استمالة النمسا وروسيا إلى سياستها حيال القناة. كذلك فإن الشعب الإنجليزى نفسه خشى الاشتباك مع فرنسا فى حروب عاجلة تضر بهم ضررا مماثلا للضرر الذى سببته حرب القرم لهم.

وقد درس ديليسبس الموقف الدولى، وعرف ما يختلج فى صدر كل دولة من دول أوروبا، فانتهز هذه الفرصة لمضاعفة جهوده، والعمل على استعادة ثقة ومعاونة سعيد باشا.

أما سعيد.. فقد أدرك عبث المعارضة لهذا المشروع الفرنسى، لما رآه من ازدياد نفوذ فرنسا فى أوروبا آنذاك، وإقبال فرنسا فى تلك الآونة على مساعدته فى حل أزمته المالية، فأقبل هو، بدوره، على مساعدة ديليسبس وتأييد مشروعه، والإذن له ببدء العمل فى حفر القناة.

ولقد انتهز ديليسبس تراجع سعيد فى تشدده حيال المشروع لخوفه من الباب العالى، فحمل سعيد على عقد اتفاق جديد مع الشركة يوم ٦ أغسطس عام ١٨٦٠ لسداد ثمن الأسهم التى أضافها لحساب مصر.

وفى مارس عام ١٨٦١، استغل ديليسبس فرصة ارتباك المالية المصرية، فاشترى



سعيد باشا

١٨٥٤ : ١٨٦٣





الأمير طوسون ابن محمد سعيد باشا.

لحساب الشركة أراضى (وادى الطميلات) بثمن بخس يقل عن المليونى فرنك فرنسى، الأمر الذى أثار مخاوف الدول وفى مقدمتها إنجلترا من أن تقدم فرنسا على استغلال هذه الظروف المناسبة لها لإنشاء مستعمرة فرنسية فى الأراضى التى حصلت عليها الشركة فى منطقتى القناة والترعة العذبة معا.

غير أن العمل فى حفر القناة استمر، ولم يتعطل بعد ذلك، بل استمر بكل همة ونشاط.. وبالرغم من عدم موافقة الباب العالى، فإنه تم حفر الترعة العذبة بين الوادى والقناة فى شهر فبراير عام ١٨٦٢

ووصلت مياه البحر المتوسط إلى بحيرة التمساح يوم ١٨ نوفمبر من العام نفسه.. ولكن الصعوبات التى

▲▲

فى ١٨ يناير عام ١٨٦٣ توفى سعيد باشا ودفن فى مسجد النبى دانيال بالإسكندرية ولايزال قبره هناك حتى الآن

واجهتها الشركة لم تنته بعد ذلك العام، لأن سعيد وافته المنية فجأة فى مستهل العام التالى، الأمر الذى أدى إلى طرح مسألة القناة برمتها على بساط البحث من جديد فى عهد خلفه إسماعيل باشا.

وكان سعيد قد أصابه المرض فى أواخر أيامه، فذهب إلى أوروبا لطلب العلاج فيها، ولكن العلاج لم ينفع معه، فمازال المرض يشتد به ويهد من قواه، فعاد إلى الإسكندرية فى أواخر عام ١٨٦٢ بعد أن يئس من العلاج.. وأدركته المنية صباح يوم ١٨ يناير عام ١٨٦٣ (٢٧ رجب ١٢٧٩هـ)، وله من العمر ٤٢ سنة.. وكانت مدة حكمه ثمانى سنوات وتسعة أشهر وستة أيام.. ودفن بالإسكندرية بمسجد النبى دانيال.. ولايزال قبره هناك. ■■

فى الحلقة القادمة إسماعيل باشا يرث تركة ثقيلة خلفها وراءه سعيد.

العدد ٨٠٧ ـ ٨ يونيو ٢٠٠٥

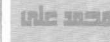
أبيض وأسود

مصر فى ١٥٠ سنة

بصمات الخديو إسماعيل الباقية



مصر فى 150 سنة
1805 : 1952



محمد على


ابراهيم


عباس الأول


سعيد


اسماعيل
١٨٦٣ : ١٨٧٩


توفيق


عباس حلمى


حسين كامل


فؤاد الأول


فاروق الأول

إسماعيل رفض السخرة فى حفر القناة

1879 : 1863

أورد المؤرخ الكبير على مبارك باشا، المؤرخ لأسرة محمد على قوله عن إسماعيل باشا فى كتابه (الخطط التوفيقية) ما نصه : « ...ثم تولى بعد سعيد الخديو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد على، وكان قبل ذلك متقلبا فى مهمات ولايات الحكومة المصرية، خبيرا بأحوالها، شاربا من جميع مناهلها، حنكته تجاربها فسار فى أمر الحكومة سالكا سبيل التمدن والحضارة ناهجا منهج الترفه والثروة والبهجة والنضارة، فشرع فى أمور جمة داخل القطر ومدنه توجب له زيادة التمدن حتى انتظمت القاهرة والإسكندرية فى أسلوب جديد، فصارت تضاهى مدن أوروبا بعد أن أزال عنها هيئتها الاولى، وتواردت عليهما وعلى جميع القطر الاغراب من كل جهة، واتسع نطاق التجارة والاخذ والعطاء، غير أنه نشأ من اتساع الدائرة للاعمال والأشغال والمصاريف على الحكومة ان ثقل كاهلها من الديون والمطالب فحصل من ذلك شغب فى آخر مدته وشىء من غمام الفتنة عكر جوها وحجب بعض أسفار بدرها حتى انفصل عنها عام ستة وتسعين بعد المائتين والألف».

الحلقة التاسعة

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :
أ.د. عطية القوصى



الخديو اسماعيل



بصمات الخديو الباقية

إسماعيل

١٨٦٣ : ١٨٧٩

ولد إسماعيل بن ابراهيم بن محمد على فى الساعة الاولى من ليلة الاثنين الموافق ٣١ ديسمبر ١٨٣٠ (١٧ رجب ١٢٤٥ هـ) فى قصر (المسافرخانة) بحى الجمالية بمدينة القاهرة، أنجبه والده ابراهيم باشا، وهو فى سن الاربعين وقد مضى على زواجه حوالى عشرين عاما

لم يعرف ترتيب إسماعيل بين اخوته العديدين بالتحديد، لكن من المؤكد ان اكبرهم هو أحمد رفعت، وأصغرهم مصطفى فاضل الذى يصغر إسماعيل بعدة أشهر، إذ أنهما غير شقيقين ومن أمين مختلفتين.

ولقد أحيط إسماعيل برعاية ابيه وجده منذ نعومه أظفاره، فتعلم مبادئ العلوم واللغات : العربية والتركية والفارسية، وقليلا من الرياضيات والعلوم الطبيعية.

وأصيب إسماعيل وهو طفل برمد صديدى فى عينيه منعه من مواصلة الدراسة، وهو ابن عشر سنين، فاستقدمه والده ليقيم معه فى دمشق بالشام، وقد شغف إسماعيل بركوب الخيل، وكان أبوه يكافئه بركوبه كلما ازداد حفظه للشعر.

وبعد أن أمضى إسماعيل فترة مع والده بدمشق شفى فيها من رمد عينيه، أرسله والده إلى عاصمة النمسا (فيينا) ليستكمل علاج عينيه هناك ويواصل تلقى العلم بها، فبقى بها عامين ودرس خلالهما اللغة الفرنسية، ثم انتقل بعدها إلى باريس حيث استكمل هناك دراسته الحربية فى كلية (سان سير) وبهرته المدينة بجمالها وروعتها، ومن هنا نشأت ميوله الفرنسية التى لازمته طوال حياته.

وعاصر إسماعيل فترة حكم جده محمد على، وفترة حكم والده،

▲▲ ميدان الإسماعيلية الذى أنشأه الخديو إسماعيل «التحرير حالياً».

وكانت وفاتهما الاثنين فى عام واحد هو عام ١٨٤٩، وكان عمر إسماعيل آنذاك ١٩ عاما.

وظل إسماعيل فى فرنسا طوال حكم عباس حتى وفاته عام ١٨٥٤، وتولى عمه سعيد للحكم، وكان إسماعيل مقربا لعمه سعيد، محبوبا عنده، وقد نال إسماعيل عطف عمه وعهد إليه برئاسة (مجلس الأحكام)، وقد كان اكبر هيئة قضائية فى البلاد آنذاك كما عهد إليه بمهام ووفادات مهمة خارج مصر.

ولم يكن يخطر ببال إسماعيل أن يئول اليه حكم مصر بعد موت عمه سعيد، إذ كان فى الاسرة العلوية من هو أكبر منه سنا، فكان هناك، على وجه الخصوص، أخوه الاكبر الامير (أحمد رفعت)، وهو أحق منه بالولاية، لكن حدث ان غرق رفعت فى النيل عام ١٨٥٨ فى حادث غير مدبر، فأصبح إسماعيل، بعد وفاة أخيه، وليا للعهد لولاية مصر طبقا لنظام الوراثة فى فرمان ١٨٤١، وقد تولى إسماعيل عرش مصر يوم الثامن عشر من شهر يناير عام ١٨٦٣، بعد أن وافت المنية عمه سعيد باشا.

وعادة ما يبدأ الحديث عن عهد حكم إسماعيل لمصر بتناول سياسته الخارجية، لأنها كانت ذات الاثر الفعال فى شئونها الداخلية، وأن إسماعيل كان يضع السياسة الخارجية والخطط المرتبطة بها فى المقام الأول من الاهمية، وتليها المسائل الداخلية.

وقد كان لسياسة إسماعيل الخارجية وجهان أولهما علاقة مصر بالدولة العثمانية وثانيهما علاقتها بالدول الأوروبية.

ففيما يتعلق بالدولة العثمانية، فقد كانت خطة إسماعيل فيها ترمى إلى توسيع نطاق استقلال مصر عن الدولة العثمانية،



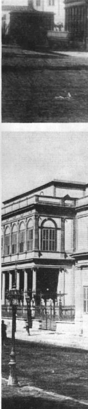
دار الأوبرا الملكية قبل وضع تمثال إبراهيم باشا عام ١٨٦٩





الإمبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث .. والتى ترأست حفل افتتاح قناة السويس وقالت عن الاحتفال: لم ار فى حياتى مثله.

صورة تذكارية تجمع بين المهندسين الذين أشرفوا على بناء الأوبرا



وكسب أكثر ما يمكن من الحقوق والمزايا من الحكومة العثمانية، حتى يصل بالبلاد إلى الاستقلال التام، والرغبة فى حصول البلاد على استقلالها التام عن تركيا تعد مفخرة من مفاخر إسماعيل.

أما فيما يختص بعلاقات مصر بالدول الاوروبية، فإنه تسبب فى تطويق البلاد بسلاسل التدخل الاوروبى، التى أدى فى نهاية الأمر إلى تصدع بناء الاستقلال السياسى والمالى الذى كسبته مصر فى عصر محمد على. ولقد كان التدخل الاوروبى فى شئون البلاد فى عهد إسماعيل خطأ جسيما فى سياسته الخارجية، ناشئا عن نزعته الاوروبية.

فإن هذه النزعة جعلته يثق فى الاوروبيين ودولهم وفى الجاليات الاوروبية بالبلاد ثقة عمياء، ويركن اليها، ويعتقد حسن النية فيها، ولا يفطن لمطامعها الاستعمارية، ففتح أبواب البلاد على مصاريعها للاجانب، وتركهم يتغلغلون فى مرافقها ويتولون المناصب الرفيعة فى حكومتها، وبلغت به الثقة فيهم أن اقترض القروض الجسيمة من مرابيهم وبيوتهم المالية، حتى صار لهم فى عهده نفوذ مالى وسياسى لم يكن لهم من قبل، وسرعان ما انقلب هذا النفوذ إلى حقوق ومزاعم ادعوها لهم، انتهت بفرض الرقابة الثنائية على مالية البلاد وتعيين وزيرين أجنبيين فى الوزارة المصرية.

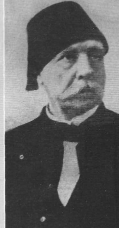
▲▲
العمل فى بناء دار الأوبرا المصرية عام ١٨٦٩

ولقد اتبع إسماعيل مع الدولة العثمانية فى سبيل الامتيازات التى نالها منها، سبيل تقديم الرشاوى والهدايا لرجال الاستانة، على اختلاف مراتبهم، ولا يستثنى منهم السلطان ذاته، والصدور العظماء من الوزراء، فبلغت هذه الاموال طوال حكمه نحو اثنى عشر مليونا من الجنيهات.

ولقد بدأ إسماعيل حكمه بالتودد للسلطان عبدالعزيز سلطان الدولة العثمانية آنذاك، وقام غداة توليه الحكم بزيارة الاستانة وتقديم فروض الولاء للسلطان، الذى قام بدوره برد الزيارة له وزار مصر فى شهر ابريل عام ١٨٦٣، وبقى فى ضيافة إسماعيل مدة عشرة ايام، لقى خلالها كل الحفاوة والإكرام، ولما عاد السلطان عاد على سفينة محملة بالهدايا والتحف الفاخرة، كذلك زود إسماعيل الصدر الاعظم (فؤاد باشا) وحده برشوة مقدارها ٦٠ ألف جنيه ليتخذ منه عونا له فى مساعيه لدى السلطان.

وبفضل الاموال الطائلة التى بذلها إسماعيل مع السلطان ورجال الاستانة، والتى بلغت ثلاثة ملايين جنيه، نجح إسماعيل فى تغيير نظام الوراثة فى فرمان ١٨٤١، من





نوبار باشا وزير خارجية إسماعيل .. أوفده الخديو فى مهام كثيرة وقام بدور مهم فى اتفاقية القناة.

جعل وراثة العرش لأكبر أنجال الوالى، بدلا من النص على أن تكون لأكبر افراد عائلة محمد على من الذكور، واشترطت تركيا مقابل هذا التغيير زيادة الجزية السنوية على مصر من ٤٠٠ ألف جنيه إلى ٧٥٠ ألفا.

وكان صدور هذا الفرمان سببا لزيادة النفور والكراهية بين إسماعيل وأخيه غير الشقيق مصطفى فاضل، الذى كان وليا للعهد وفق نظام الوراثة القديم، وبينه وبين عمه عبدالحليم بن محمد على الذى كان يتطلع إلى حكم مصر، ولقد ارتحل هذان الأميران وأسرتاهما من مصر الى استانبول واستقرا هناك.

▲▲
حفل افتتاح قناة السويس

ولقد حصل إسماعيل على فرمان آخر من السلطان العثمانى فى ٨ يونيو ١٨٦٧ باعطائه وخلفائه لقب (خديو)، بعد أن كان واليا، فصار لإسماعيل مكانة تقترب من مراتب الملوك والسلاطين، وأقر هذا الفرمان حق الحكومة المصرية واستقلالها فى ادارة شئونها الداخلية والمالية، وحقها فى عقد



المعاهدات الخاصة بالبريد والجمارك ومرور البضائع والركاب فى داخل البلاد، وشئون الضبط **للجاليات الأجنبية.**

غير أن العلاقة لم تستمر على طول الخط طيبة بين الخديو والسلطان، فقد سارت بين مد **وجزر بينهما بسبب رغبة إسماعيل** فى الانفصال النهائى عن دولة الخلافة ونيل الاستقلال التام، وفى **نفس الوقت تشبثت الاستانة بحقوقها فى مصر**، حتى بعد حصول إسماعيل على الفرمان الجامع من السلطان (يوم ٨ يونيو ١٨٧٣)، وهو الفرمان الذى ثبت لمصر حقوقها الكاملة فى الاستقلال التام، فيما عدا دفع الجزية السنوية، فإن تركيا **سوف تتضافر مع الدول الاوروبية** ضد إسماعيل حين اشتدت الأزمة المالية بها، وسارع السلطان بخلع إسماعيل وتعيين نجله توفيق خلفا له.

وعن علاقة إسماعيل بفرنسا، فلقد كان لفرنسا نفوذ ادبى كبير على إسماعيل، ويرجع هذا أولا الى تربيته الفرنسية، وسنوات عمره التى قضاها فى باريس، ومعاشرته الطويلة للفرنسيين، وصداقته لفرديناند ديليسبس وللامبراطور نابليون الثالث.

ويبدو هذا النفوذ الفرنسى ايضا فى استخدام إسماعيل فى كثير من معاملاته المالية وقروضه لطائفة من الفرنسيين، وإسناد الكثير من مشروعات العمران الى اخصائيين فرنسيين.

وقد بلغ النفوذ أقصى مداه فى حفلات افتتاح القناة عام ١٨٦٩، فالقناة فى ذاتها مشروع فرنسى، ومؤسسها فرديناند ديليسبس الفرنسى، وكانت الامبراطورة الفرنسية (أوجينى) هى رئيسة حفل الافتتاح متقدمة ملوك أوروبا وأمراءها واقطابها فى السياسة والعلوم والفنون.

فكانت هذه الاحتفالات الضخمة التى صاحبت افتتاح القناة إعلانا عما بلغه النفوذ الفرنسى فى مصر من القوة والمكانة والمنزلة السامية.

على ان هذا النفوذ اخذ فى الاضمحلال



الأمير مصطفى فاضل شقيق إسماعيل غير الشقيق كان هناك شقاق بينهما ومن أجل ذلك سعى إلى حرمانه من وصاية العرش وكان فى ذلك الوقت وليا للعهد.

عامى ١٨٧٠ ـ ١٨٧١، تلك الحرب التى انتصرت فيها المانيا على فرنسا، وأطاحت بعرش نابليون بونابرت صديق إسماعيل الذى كان يعتمد عليه فى مهمات الامور، وبالتدريج اخذ النفوذ الفرنسى يتقلص فى مصر ليحل مكانه النفوذ الانجليزى، الذى ازداد بالتدريج وازداد معه تدخلهم فى شئون مصر، الذى انتهى باحتلالهم لمصر عام ١٨٨٢.

وأخذ إسماعيل بعد عام ١٨٧٠ ينصرف عن فرنسا لما حل بها من ضعف وانكسار ويتجه بنظره الى انجلترا عساه أن يجد الحماية عندها، لكن إسماعيل لم يفطن لطمع انجلترا فى احتلال مصر واحتلال السودان ايضا، وفى سنة ١٨٧٠ يعهد الخديو الى شركة (جرنفلد) الانجليزية بمشروع توسيع ميناء الاسكندرية، والقيام باصلاحات فيها مقابل عدة ملايين من الجنيهات.

وانتهزت انجلترا فرصة ارتباك إسماعيل المالى لتزيد من ورطته بشرائها نصيب مصر فى قناة السويس عام ١٨٧٥، وفى عام ١٨٧٧ أوعزت انجلترا الى الخديو إسماعيل بتعيين غوردون باشا حكمدارا عاما للسودان، تمهيدا لاقتطاع السودان عن مصر.

ورغم محاولة إسماعيل التودد لانجلترا، فإن انجلترا كان تضمر الشر لمصر، وعملت على إخضاعها للرقابة المالية الاجنبية، ولما ازداد الخلاف بين الانجليز وإسماعيل سعت انجلترا إلى خلع إسماعيل ونجحت فى ذلك عام ١٨٧٩، فكان خلع إسماعيل هو خاتمة (السياسة الودية) التى اتبعها إسماعيل حيال انجلترا.

وكانت مسألة قناة السويس من أوائل المسائل السياسية التى واجهت إسماعيل فى أوائل عهده بالحكم، إذ كانت أنظار الاوروبيين تتطلع الى مصير مشروع القناة، هل سيتم انجازه، ام يدفن مع دفن سعيد؟

وقد راود القلق ديليسبس بوفاة سعيد لأنه كان سند المشروع وقوامه، لكن إسماعيل واصل العمل فى المشروع كى يكسب رضا الاوروبيين من أنصار المشروع، فقام بتعضيد المشروع بكل قوته واحتمل تبعة إتمامه، كما احتمل سعيد من قبله تبعة البدء فيه والتصميم على تنفيذه.

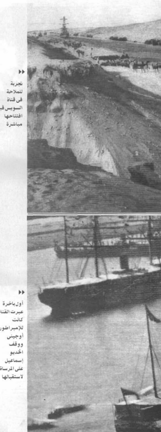
ولقد اعترض إسماعيل على فداحة المزايا التى نالتها شركة القناة فى عقد الامتياز، وسعى فى إبطال أربعة شروط منها وهى : تعهد مصر بتقديم ٢٠ ألف عامل باستمرار لأعمال الحفر، وملكية الشركة لترعة المياه العذبة على جانب القناة، وملكية الشركة لجميع الأراضى التى تستصلحها وتزرعها، ونزع ملكية الاطيان المملوكة للافراد اذا احتاجت الشركة إليها.

وقد اعتمد إسماعيل فى مفاوضاته على وزير خارجيته (نوبار باشا) الذى قدم حججا وأسانيد قوية تؤيد مطالبه، وكانت حجته فى الشرط الأول رغبته فى إلغاء سخرة العمال والفلاحين، الامر الذى لا يتفق مع المبادئ الانسانية، وحجته بالنسبة للشرطين الثانى والثالث أن قوانين الدولة العثمانية الخاصة بالملكية العقارية التى كانت متبعة فى مصر آنذاك لا تجيز للاجانب ملكية الاراضى والعقارات المصرية.

وأوفد إسماعيل وزيره نوبار باشا الى الاستانة، ثم الى فرنسا لتخفيف شروط الامتياز، ولما احتكم إسماعيل إلى نابليون الثالث فى الامر حكم بحكم جائر على مصر إذ الزمها بتعويضات وصلت الى أربعة ملايين جنيه مقابل تنازل الشركة عن مستحقاتها، ووقع إسماعيل اتفاقا مع الشركة فى ٣٠ يناير ١٨٦٦ لتسوية النزاع بينهما مع مراعاة حكم نابليون الثالث، ثم أبرم فى ٢٢ فبراير ١٨٦٦ اتفاق كامل مع الشركة يتضمن الشروط الواردة فى عقد الامتياز الاصلى مع التعديلات الطارئة عليه.

وفى ١٩ مارس سنة ١٨٦٦ صدر فرمان السلطان بالتصديق على اتفاق ٢٢ فبراير، ولقد نالت الشركة تعويضا كبيرا من الحكومة المصرية، بناء على هذه الاتفاقات، بلغ قدره ٣٠ مليون فرنك تسدد فيما بين عامى ١٨٧٠ و١٨٩٤.

وعلاوة على هذه التعويضات فقد تحملت مصر نفقات باهظة بسبب القناة تمثلت فى : نفقات الرحلات التى قام بها إسماعيل ووزيره نوبار باشا فى اوروبا إبان النضال مع شركة القناة. كذلك مبالغ الرشاوى التى قدمها إسماعيل للسلطان عبدالعزيز ووالديه ولبعض موظفى السفارتين الفرنسية والانجليزية بالاستانة لإطلاع نوبار على المعلومات اللازمة، ومبالغ الرشاوى التى قدمها نوبار فى باريس لأخى الامبراطور نابليون الثالث، رئيس الهيئة التشريعية فى فرنسا لمساندة مصر فى موقفها فى نزاعها مع الشركة، ونفقات الإعلام فى الصحف الاجنبية



تجربة للملاحة فى قناة السويس قبل افتتاحها مباشرة

أول باخرة عبرت القناة كانت للإمبراطورة أوجينى ووقف الخديو إسماعيل على المرساة لاستقبالها



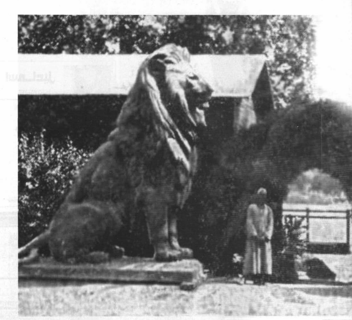
(ترجمه اللعبة المسماة باسم)

عايده

هى قطعة تياتريه من نوع الالعاب المعروفة باسم الاوبيره
أى التصوير لحادثة تاريخية شهيره) تشتمل على مناظر معجبه
ومراقص مستغرب بها يتخللها اغانى موسيقية مطربه
متوزعة على ثلاثة فصول وسبعة مناظر
تأليف المعلم غيزلنسونى وتوقيع الاوسته ويردى
مصنفة
مرسعادة خديو مصر
لقصد تصويرها فى تياترو الاوبيره
بمصر القاهره
قد حصل اللعب بها بالفعل فى الملعب المذكور فى موسم سنة ١ ٧٢٦٧

تعريب
العبد الفقير ابى السعود أفندى
محرر صحيفة وادى النيل

إعلان نادر عن العمل الشهير أوبرا عايدة .. يعود تاريخه إلى عام ١٨٧١ و١٨٧٢ .



▲▲ أسدا قصر النيل على الأرض فى انتظار بناء الكوبرى

▶▶ كوبرى قصر النيل يفتح لعبور المراكب من تحته

والاستشارات القانونية، ونفقات الحفلات التى أقامها إسماعيل ابتهاجا بافتتاح قناة السويس للملاحة العالمية يوم ١٧ نوفمبر من عام ١٨٦٩، وهى الحفلات التى حضرها معظم ملوك أوروبا وأعلام الثقافة فيها وترأستها الامبراطورة اوجينى زوجة نابليون الثالث، وقد تكلفت مليونا وأربعمائة ألف جنيه، وهى حفلات قالت عنها أوجينى إنها «لم تر فى حياتها ما يماثلها من روعة وبهاء».

وحسب البيان الرسمى الذى قدمته الحكومة المصرية الى مجلس شورى النواب، بلغ ما دفعته مصر فى إنشاء القناة مبلغ ١١٩، ٠٧٥، ١٦ جنيها هذا عدا آلاف المواطنين الذين ماتوا اثناء الحفر عطشا أو جوعا أو ممن اصابهم المرض.

وانتهى العمل فى حفر القناة واتصلت مياه البحر المتوسط بالبحر الأحمر فى نوفمبر ١٨٦٩، وبلغ طول القناة ١٦٤ كيلومترا وانشئت على شاطئها مدينة بورسعيد ومدينة الاسماعيلية وافتتحت القناة للملاحة يوم ١٧ نوفمبر ١٨٦٩.

وأقام إسماعيل لمناسبة افتتاح القناة حفلات فخمة، لم يعرف التاريخ احتفالا يماثلها فى الصرف والتكلفة. وقد ورد أن نفقات هذه الحفلات قد بلغ مبلغ مليون و٤٠٠ ألف جنيه.

ولقد تمت حفلة الافتتاح الكبرى ببلدة بورسعيد يوم ١٦ نوفمبر عام ١٨٦٩، وأقام إسماعيل وليمة عشاء لضيوفه فى قصره بمدينة الاسماعيلية ليلة ١٨ نوفمبر ١٨٦٩، وقد مدت الموائد فى هذه الحفلة لآلاف المدعوين، واختتمت الوليمة بحفل راقص ابتهاجا بافتتاح قناة السويس.

وكان لمصر من أسهم شركة القناة ١٧٦٦٠٢ سهم من مجموع ٤٠٠ ألف سهم اكتتب فيها سعيد باشا بمبلغ ٣،٤٢٦،٠٠٠ جنيه، وان امتلاك هذا القدر من الاسهم كان من شأنه ان يجعل لمصر الهيمنة على الشركة وادارتها، ويخولها حق التدخل فى شئونها، كما انها مورد ارباح وفيرة تعود على الخزانة المصرية بالخير الكثير.

لكن إسراف إسماعيل حرم مصر من هذه الثروة، إذ



إسماعيل

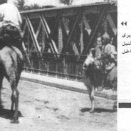
١٨٦٣ : ١٨٧٩



أقام إسماعيل التماثيل فى الميادين ووضع تمثال والده إبراهيم باشا أمام دار الأوبرا فى يوم افتتاحها.

اضطر فى عام ١٨٧٥، بسبب استفحال الازمة المالية وتراكم الديون على مصر، إلى بيع هذه الأسهم، وقد عرض بيع الاسهم اول الامر على فرنسا فترددت فى الشراء، وسرعان ما بادرت انجلترا إلى شرائها بعد ان علمت بالأمر فاشترتها بأربعة ملايين جنيه انجليزى، وبهذه الصفقة الخاسرة اضاع إسماعيل على مصر الميزة الوحيدة التى بقيت لها من مشروع القناة يوم ٢٥ نوفمبر من عام ١٨٧٥

ولقد قام إسماعيل بتجميل مدينتى القاهرة والاسكندرية بمناسبة افتتاح قناة السويس، وحفل الافتتاح الفخم الذى دعا له معظم



كوبرى قصر النيل من الداخل

ملوك ورؤساء العالم آنذاك. من هذه المنشآت المعمارية الجميلة التى لاتزال قائمة فى القاهرة حتى اليوم: كوبرى قصر النيل عام ١٨٦٩ ودار الاوبرا، وشارع سليمان باشا، وأحياء التوفيقية، وعابدين، وميدان الاوبرا، وحديقة الاورمان، وحديقة الحيوان بالجيزة، وبنى مسرح الاوبرا، ومسرح الكوميدى ونسق حديقة الازبكية، وكوبرى الجلاء، وأنشأ الطريق المعبد بين القاهرة والاهرام، المعروف الآن بشارع الهرم عام ١٨٦٩، وأقام تماثيل لتزيين ميادين القاهرة الأول لمحمد على وقد نصب فى الاسكندرية، والثانى لإبراهيم وقد نصب فى القاهرة عام ١٨٧٣

وأسس إسماعيل عدة قصور منها سراى عابدين، التى جعلها مقرا للحكم بدلا من القلعة، وسراى الجزيرة، وسراى الجيزة، وسراى بولاق الدكرور، وقصر القبة، وقصر حلوان، وسراى الاسماعيلية، وسراى الزعفران بالعباسية، وسراى الرمل بالاسكندرية، وقصر النزهة بشبرا (المدرسة التوفيقية الحالية)، وسراى المسافرخانة، وقصر النيل، وسراى رأس التين بالاسكندرية، وأنشأ عدة قصور اخرى فى مديريات المنيا والمنصورة.

اتبع الخديو إسماعيل لتقوية ولايته فى مصر،







الخديو إسماعيل مع نجله توفيق.

▲▲ الخديو إسماعيل فى شبابه

وتوسيع حقوقها.. سياسة إرضاء السلطان العثمانى وحاشيته بإغداق الأموال عليهم.. كذلك سياسة إقناع الدول الأوروبية، وفى مقدمتها فرنسا بمشروع استقلال مصر، والدعاية بذلك فى العواصم الأوروبية، على أساس أن هذا الاستقلال يفتح الباب أمام نشاط أوروبا الاقتصادى.. ومن ثم، فقد أصدر (الباب العالى) عدة (فرمانات) حققت لمصر مزايا فى الحكم الداخلى رفعها إلى مرتبة الاستقلال الذاتى، خاصة الفرمان الشامل الجامع الذى صدر فى ٩ يونيو ١٨٧٣

ولم يكتف إسماعيل باستقلاله الذاتى داخل مصر.. بل أراد أن تكون لمصر إمبراطورية تمتد حتى تصل إلى حدودها الطبيعية، أى من سواحل البحر المتوسط شمالا إلى خط الاستواء ومنابع النيل جنوبا، ومن سواحل البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الهندى، ومن وسط القارة الأفريقية إلى البحيرات الاستوائية.. وقد عرفت هذه الخطة الكبرى بسياسة إسماعيل الأفريقية.

ولقد أكمل إسماعيل ـ من هذه الناحية ـ العمل الذى بدأ به محمد على، فوسع نطاق السودان، وبسط الحكم المصرى فى أنحائه، ومد رواق الحضارة والعمران على ربوعه.

ولقد كان الدافع الأساسى للتوسع المصرى فى أفريقيا إبان عصر إسماعيل هو محاربة الرق، ومكافحة تجارة الرقيق فى الأقاليم السودانية الاستوائية، واكتشاف منابع النيل الأبيض. ■■

فى الحلقة المقبلة نواصل عهد الخديو إسماعيل وبناء النهضة

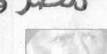
أبيض وأسود
العدد ٨٠٨ـ ١٥ يونيو ٢٠٠٥

مصر فى ١٥٠ سنة

نهاية حكم الخديو



مصر فى 150 سنة
1805 : 1952



محمد على



ابراهيم




عباس الأول

سعيد



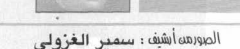
إسماعيل
١٨٦٣ : ١٨٧٩


توفيق


عباس حلمى


حسين كامل


فؤاد الأول


فاروق الأول




سياسة الحكم المطلق

1863 : 1879

"بدأت نهضة جديدة فى عهد إسماعيل هى نهضة التعليم حيث نال التعليم والنهضة العلمية نصيبا عظيما من جهود إسماعيل، فقد تولى الحكم ومعظم المدارس التى أنشأها جده محمد على مقفلة، ولم يكن باقيا منها غير مدرسة الطب والصيدلة ومدرسة التوليد (القابلات)، ومدرسة حربية، ومدرسة ثانوية، وأخرى ابتدائية، ومدرسة البحرية بالإسكندرية.

فبعث إسماعيل النهضة العلمية من مرقدها، ونفخ فيها روح الحياة والنشاط، وأعاد تأليف ديوان المدارس (وزارة المعارف) وعهد برئاسته إلى (إبراهيم أدهم باشا) الذى تولاه فى عهد محمد على، ووجه همته إلى إنشاء المدارس على اختلاف مراتبها وفنونها."

الحلقة العاشرة

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :
أ.د. عطية القوصى



الخديو إسماعيل فى أواخر أيامه عندما بلغ خمسة وستين عاما عام ١٨٩٥





إسماعيل

١٨٦٣ : ١٨٧٩

من المدارس التى أسسها إسماعيل المدارس الحربية، والمدارس العالية، ومدرسة المهندسخانة (١٨٦٦) بالعباسية بسراى الزعفران، ثم نقلت إلى الجيزة وكان أول ناظر لها (إسماعيل مصطفى الفلكى باشا)، ثم محمود باشا الفلكى.

نهاية حكم الخديو

كانت مدرسة الحقوق من أعظم المدارس التى أنشأها إسماعيل عام ١٨٨٦، وكان أول ناظر لها المسيو (فيدال) باشا، أحد علماء فرنسا التشريعيين، والذى ظل يتولى نظارتها مدة ٢٤ سنة حتى عام ١٨٩١، وقد تخرج فى هذه المدرسة معظم رجال القانون الذين نبغوا فى عصر إسماعيل والعصور التالية له.

كذلك أنشأ إسماعيل مدرسة دار العلوم عام ١٨٧٢، والغرض منها تخريج أساتذة اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية، وانتخب طلبتها من نجباء تلاميذ الأزهر، وتولى نظارتها، على التعاقب فى عهد إسماعيل (حامد أفندى نيازى) ثم (محمود أفندى فوزى) ثم (على بك فهمى رفاعة) ثم (حامد أفندى نيازى).

وارتقت مدرسة الطب فى عهد إسماعيل، واتسع نطاقها، وخرجت جماعة من أعلام الطب فى مصر وتولى نظارتها، على التعاقب (برجيير بك) ثم (حافظ أفندى محمد) ثم (محمد على باشا البقلى) ثم (محمد بك الشافعى) ثم (جلياردو بك).

وبدأ إنشاء مدارس البنات فى مصر على عهد إسماعيل، وهى ميزة تشهد له بالفضل فى نهضة الأمة.. ولم تكن قبل عصر إسماعيل هنالك مدارس للبنات سوى مدرسة (التوليد).. ففى سنة ١٨٧٣ أسست مدرسة (السيوفية) للبنات أسستها السيدة (جشم آفت هانم) ثالث زوجات إسماعيل، وقد كان بها حين افتتاحها نحو ٢٠٠ تلميذة، وبلغ عددهن عام ١٨٧٤ (٤٠٠ تلميذة)، يتعلمن بالمجان، فضلا عن الإنفاق على مآكلهن وملبسهن.

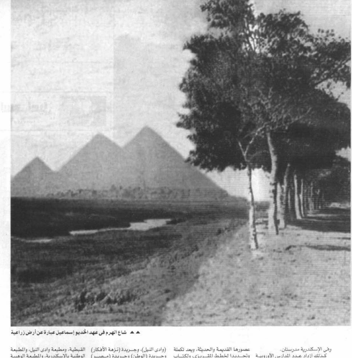
وأسس إسماعيل المدارس الصناعية المختلفة.. كذلك المدارس الخصوصية مثل مدرسة المساحة والمحاسبة عام ١٨٦٨، ومدرسة اللغة الهيروغليفية عام ١٨٦٩، ومدرسة الزراعة عام ١٨٦٧ ومدرسة العميان والخرس للبنين والبنات عام ١٨٧٥ .

وأنشأ إسماعيل المدارس الثانوية المدرسة التجهيزية بالعباسية عام ١٨٦٣، ثم نقلت إلى درب الجماميز عام ١٨٦٨، وعرفت (بالمدرسة الخديوية).. كذلك أسس مدرسة رأس التين بالإسكندرية عام ١٨٦٣

وبذل إسماعيل جهودا كبيرة فى إنشاء المدارس الابتدائية فى القاهرة وفى مختلف العواصم، ويرجع الفضل فى إنشاء هذه المدارس إلى (شريف باشا) ثم إلى (على مبارك باشا).

وأعاد إسماعيل عهد البعثات التى ازدان بها عهد محمد على من قبل.. وأخذ منذ عام ١٨٦٣ يوفد البعثات إلى أوروبا.. وبلغ عدد الموفدين فى عهده ١٧٢ طالبا.

وفى عهد إسماعيل أنشئت مدارس الأقباط الأرثوذكس، فصار لهم فى عهده فى القاهرة نحو ١٢ مدرسة



▲▲ شاع الهرم فى عهد الخديو إسماعيل عبارة عن أرض زراعية

وفى الإسكندرية مدرستان.

كذلك ازداد عدد المدارس الأوروبية التى فتحتها البعثات الدينية للبنين والبنات، فبلغ عددها فى عهد إسماعيل ٧٠ مدرسة.

ولقد اقترن بهذه النهضة العلمية الكبيرة فى عهد إسماعيل اسم رائد العلم آنذاك (على باشا مبارك) فهو عماد هذه النهضة وقلبها النابض ورأسها المدبر، ولقد سطع نجمه سطوعا قويا فى عهد إسماعيل، ويعد تاريخه قطعة من هذا العصر.

وقد خدم فى عصر إسماعيل وقام بإصلاحات عديدة ومشاريع كثيرة نافعة، وواصل العمل فى عهد الخديو توفيق، وتولى وزارة المعارف فى حكومة (رياض باشا)، وفى هذه الفترة ظهر كتابه الخالد (الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة)، وهو دائرة معارف لخطط مصر وآثارها وجغرافيتها وتاريخها فى عصورها القديمة والحديثة، ويعد تكملة وتجديدا لخطط المقريزى، ولكتاب (وصف مصر) الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية على مصر توفى فى ١٤ نوفمبر ١٨٩٣ .

وازدان عصر إسماعيل بظهور الجمعيات العلمية ذات المقاصد الجليلة ومنها المجمع العلمى، وجمعية المعارف التى أسست عام ١٨٦٨، لنشر العلوم والمعارف بتأليف الكتب العلمية وطبعها.. كذلك من منشآت إسماعيل العلمية فى مصر الجمعية الجغرافية الخديوية التى تأسست عام ١٨٧٥، والجمعية الخيرية الإسلامية.

ولقد كان للصحافة نهضة كبرى فى عهد إسماعيل.. ففى عهده ارتقت جريدة (الوقائع المصرية)، وظهرت مجلة (روضة المدارس) التى أنشأها على مبارك باشا عام ١٨٧٠، والجريدة العسكرية المصرية.

ومن الصحف السياسية: صحيفة (وادى النيل)، وجريدة (نزهة الأفكار) وجريدة (الوطن) وجريدة (مصر) وجريدة (روضة الأخبار) وجريدة (الكوكب الشرقى).

كذلك صدرت جريدة (الأهرام) عام ١٨٧٥ بمدينتى الإسكندرية والقاهرة أسسها سليم بك تقلا، وبشارة تقلا (باشا)، وكانت فى مبدأ ظهورها أسبوعية، ثم صدرت إلى جانبها جريدة (صدى الأهرام) يومية حتى عطلت، ثم انفردت (الأهرام) بالظهور وصارت يومية، وهى أقدم الصحف المصرية السياسية. وتقدمت الطباعة تقدما كبيرا فى عصر إسماعيل، فنهض بمطبعة (بولاق) حتى ضارعت المطابع الكبرى وكان يتولى نظارتها (حسين حسنى باشا).. كما أسس إسماعيل مصنعا للورق عام ١٨٧١ تولى نظارته حسين حسنى باشا (١٨٨٥).

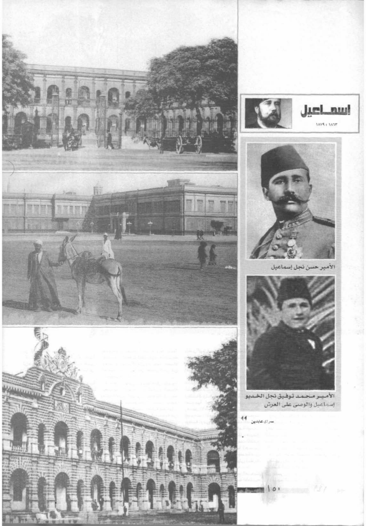
وأنشئت مطابع أخرى لطبع الصحف والمؤلفات، منها: المطبعة الأهلية القبطية، ومطبعة وادى النيل، والمطبعة الوطنية بالإسكندرية، والمطبعة الوهبية ومطبعة أركان حرب الجيش المصرى.

ونتيجة لهذه النهضة العلمية الكبرى فى عهد إسماعيل.. ظهر أعلام كبار فى مصر فى مجالات الأدب، والهندسة والرياضيات، والطب والجراحة والطبيعيات، والفقه والقانون، والفنون الحربية والبحرية، وفى الفنون من تمثيل وموسيقى وغناء.

ومن أعلام الأدب فى عصر إسماعيل: رفاعة بك رافع الطهطاوى وعلى باشا مبارك.. ولرفاعة الفضل الكبير على العلم والأدب، وعلى باشا مبارك صاحب الأيادى البيضاء على الأدب والعلم والتعليم فى مصر.

ومنهم أيضا السيد جمال الدين الأفغانى وهو يعد فى مقدمة أعلام الأدب فى عصر إسماعيل.

ومنهم الشيخ



الأمير حسن نجل إسماعيل

الأمير محمد توفيق نجل الخديو إسماعيل والوصى على العرش

سراى عابدين



ميدان كلوت بك الشهير
في عهد الخديو إسماعيل

حسين المرصفي، أستاذ الطبعة الأولى من دار العلوم، وتوفي عام ١٨٨٩ .

ومنهم كذلك محمود باشا سامي البارودي، باكورة الأعلام في دولة الشعر الحديث. ومنهم أيضا عبدالله أبوالسعود أفندي، أول صحفي سياسي ظهر في تاريخ مصر الحديث، وقد توفي عام ١٨٧٨ .

والشيخ محمد عبده، الأستاذ الإمام وفيلسوف الإسلام، "أكتب العلماء وأعلم الكتاب"، توفي عام ١٩٠٥ . والأستاذ إبراهيم المويلحي، زعيم الكتاب في عصره، وأستاذ المدرسة الحديثة في الأدب والإنشاء، توفي عام ١٩٠٦ .

والأستاذ محمد بك عثمان جلال، واضع أساس القصة الحديثة في الأدب المصري، توفي عام ١٨٩٨

والسيد عبدالله النديم، الكاتب الشاعر الأديب والخطيب الوطني المفوه، وأحد تلاميذ السيد جمال الدين الأفغاني، توفي عام ١٨٩٦ .

والسيد أديب إسحق، والشيخ على الليثي، والشيخ على أبوالنصر المنفلوطي، والسيد صالح مجدي بك والشاعر إبراهيم بك مرزوق، والشاعر الأديب محمود صفوت الساعاتي ومحمد عارف باشا، وأحمد بك عبيد وخليفة أفندي محمود، وعبدالله باشا فكري، وغيرهم كثيرون.

ومن طليعة النساء واليقظة النسوية في تاريخ مصر الحديث السيدة عائشة عصمت تيمور، وهي أول من نبغ من المصريات في الشعر، والأدب، شقيقة العلامة أحمد باشا تيمور، توفيت عام ١٩٠٢ .

ومن علماء الهندسة والرياضيات في عصر إسماعيل، على باشا مبارك ومصطفى بهجت باشا، ومحمد مظهر باشا، وإسماعيل باشا محمد، وحسين حسني باشا، ومحمود باشا الفلكي.

ومن علماء الطب والجراحة: محمد دري باشا، كبير الجراحين في عصره المتوفى عام ١٩٠٠، والأستاذ الأول للجراحة بمدرسة طب قصر العيني.

وحسن باشا محمود، المتوفى عام ١٩٠٦، ومحمد الشافعي بك، ومحمد على باشا البقلي، وحسن بك عبدالرحمن، ومحمد بك حافظ، وسالم باشا سالم، ومحمد بك بدر، وأحمد حمدي باشا، وعبدالرحمن بك الهراوي، وغيرهم.

ومن علماء الطبيعيات: أحمد بك ندا وعبدالهادي إسماعيل، وعلى بك رياض ومنصور أفندي أحمد.

ومن علماء الفقه والقانون: العالم المشرع الكبير محمد قدري باشا.. وكان الخديو إسماعيل قد قربه منه واختاره مربيا لولي عهده الأمير محمد توفيق واختص بتعريب قوانين المحاكم المختلطة، وعين مستشارا بمحكمة الاستئناف المختلطة، وتولى وزارة الحقانية في وزارة شريف باشا عام ١٨٨١، على عهد الخديو توفيق، توفي عام ١٨٨٦ .

ومن علماء الفقه والقانون في عهد إسماعيل، الشيخ محمد العباسي المهدي، شيخ الإسلام ومفتي الديار المصرية.. ومن علماء الفقه المعدودين في هذا العصر: الشيخ محمد عليش والشيخ إبراهيم السقا، والشيخ عبدالرحمن البحراوي، والشيخ حسونة النواوي، وغيرهم.

ومن علماء الفنون الحربية والبحرية: على باشا إبراهيم، وحماد عبدالعاطي باشا، ومحمود باشا فهمي، ومحمد مختار باشا، وشحاتة عيسى بك ومحمد صادق باشا، وسليمان قبودان حلاوة.

ولقد شهدت البلاد نهضة فنية كبرى في عهد إسماعيل في مجالات الرسم والتصوير، والموسيقى والغناء والتمثيل والنقش والزخرفة والعمارة.

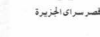
ولقد تخرج في المدارس الهندسية والصناعية طائفة من الرسامين تولوا تدريس الرسم في المدارس العالية والثانوية والابتدائية.

وتخرج في مدرسة المهندسخانة مهرة المهندسين في النقش

إسماعيل
١٨٦٣ : ١٨٧٩


اللورد كتشنر


جعفر مظهر باشا


قصر سراي الجزيرة

والبناء والمعمار وشهد على ذلك ما أقامه أولئك المهندسون من القصور والمساجد والدواوين والعمائر الجميلة فى عهد إسماعيل.

أما التمثيل والغناء، فقد كان إسماعيل يحب الموسيقى والغناء والطرب والتمثيل.. ولذلك شجع إسماعيل كل ذلك، وأنشأ بالقاهرة أول ما أنشأ (المسرح الكوميدى) بالأزبكية وكان الشروع فى بنائه فى شهر نوفمبر عام ١٨٦٧، واحتفل بافتتاحه يوم ٤ يناير عام ١٨٦٨ . ثم بنى إسماعيل دار الأوبرا عام ١٨٦٩ لمناسبة الاحتفال بافتتاح قناة السويس، ومثلت فيها مساء ٢٩ نوفمبر عام ١٨٦٩ أوبرا (ريجوليتو).. وعهد إسماعيل إلى الموسيقى الإيطالى الشهير (فردى) بوضع أول أوبرا مصرية تمثل بدار الأوبرا، ووضع العلامة الفرنسى (ماربيت) باشا موضوع الرواية، وهى رواية (عايدة) التى مثلت بالقاهرة لأول مرة فى ٢٤ ديسمبر عام ١٨٧١ . وأنشئ فى الإسكندرية فى عهد إسماعيل مسرح (زيزينيا) ومسرح (ألفيرى).

وسرت فى عهد إسماعيل روح النهضة والتجديد إلى الموسيقى والغناء، فقد كان المغنون يتبعون إلى ذلك العهد الأساليب والتواشيح القديمة حتى ظهر المغنى الشهير (عبده الحامولى) الذى ألهمته عبقريته إصلاح هذه الأساليب وإدخال روح العصر والتجديد فيها.. ولقد بلغت شهرته الخديو إسماعيل فاجتذبه وألحقه بمعيته، وكان ذلك فاتحة مجده إذ أحب فيه الخديو صوته الجميل فاتخذه نديما له فى حفلاته وسهراته ورحلاته، وظلت شهرته قائمة مدة ثلاثين عاما حتى وفاته ١٩٠١

واشتهرت فى عصر إسماعيل السيدة (ألمظ)، وقد تزوج بها عبده الحامولى.. ونشأ فى هذا العهد أشهر الموسيقيين على آلة (القانون) وهو الموسيقى

▼▼ تمثال محمد على باشا فى الإسكندرية



(محمد العقاد).. واشتهر شارع محمد على بأنه شارع الرقص والملاهى.

ولقد عنى بالآثار فى عهد إسماعيل وقد تولى حفظ الآثار المصرية والعناية بها وإنشاء متحف لها على يد (ماربيت باشا)، الذى جاء إلى مصر عام ١٨٥٠ وأنشأ متحف الآثار الذى ظل يشرف عليه حتى وفاته عام ١٨٨١ . وقد بدأ إنشاء المتحف فى بولاق، ثم تم نقله عام ١٨٩١ إلى الجيزة، ثم إلى مكانه الحالى (بميدان التحرير) عام ١٩٠٢ .

وقد دفن جثمان ماريت باشا فى مدخل المتحف، وأقيم له هنالك تمثال نصفى.

وكما اهتم إسماعيل بالحفاظ على الآثار المصرية القديمة.. اهتم - أيضا - بالآثار العربية، فأنشأ فى عام ١٨٦٩ دار الآثار العربية، وعهد بتنفيذ المشروع إلى المسيو (فرانس باشا) كبير مهندسى الأوقاف آنذاك، وطلب إسماعيل من المسيو فرانس تجميع كل ما كان مبعثرا فى المساجد من الآثار العربية الإسلامية.. لكن المشروع لم يتحقق فى عهد إسماعيل.. وإنما نفذ فى عهد حكم توفيق باشا.

وأنشأ إسماعيل مرصدا لرصد الأحوال الجوية بالعباسية، وعهد برئاسته إلى العالم الفلكى المشهور إسماعيل باشا الفلكى.

كما أنشأ إسماعيل مصلحة المساحة فى أواخر عهده، وهى من أهم أعمال العمران المرتبطة بالزراعة والملكية الزراعية، وعهد بإدارتها إلى السير (كلفن)، ثم إلى الجنرال (استون باشا) عام ١٨٧٩

ولقد أبدي إسماعيل اهتماما كبيرا بالأعمال الصحية فى البلاد.. وقد شاركه فى هذه العناية نوابغ الأطباء فى مصر.. وكان للإدارة الصحية الملكية التى أنشأها إسماعيل فضل كبير فى مقاومة الأمراض ومكافحة الأوبئة خاصة وباء الكوليرا (القاتل) الذى حل بالبلاد عام ١٨٦٥، وقد كان من أشد الأوبئة فتكا فى ذلك العصر، وقد أدى إلى موت الكثير من السكان.

ولقد اهتم إسماعيل بإنشاء المستشفيات، والتوسع فى إنشائها فى قطرى وادى النيل.. فلم ينس إسماعيل أمر السودان فى هذا المجال، فأنشأ فى القاهرة المستشفى الأميرى، وبه ١١٥٣ سريرا، والمستشفى الأوروبى، وبه ١٥٠ سريرا.

وأنشأ بالإسكندرية أربعة مستشفيات هى: المستشفى الأميرى وبه ٣٥٠ سريرا، والمستشفى الأوروبى وبه ١٥٠ سريرا، والمستشفى اليونانى وبه ٦٠ سريرا، ومستشفى (الدياكونيس) وبه ٨٠ سريرا.

كذلك أنشأ فى كل من رشيد وبورسعيد والإسماعيلية مستشفى ومستشفيين فى السويس أحدهما أميرى والآخر أوروبى.. كذلك أنشأ فى كل من سواكن، ومصوع، ودنقلة وكسلا، وبربر، وسنار، والخرطوم والأبيض مستشفى.

وأنشأ فى القصير، ودمنهور، وطنطا والمحلة الكبرى، وشبين الكوم والزقازيق، والمنصورة، وبنها، والجيزة والقناطر الخيرية، وبنى سويف والفيوم، وأسيوط، وسوهاج، وقنا وإسنا، فى كل مدينة من تلك المدن مستشفى..!

كان عهد إسماعيل فى الجملة عصر تقدم ونهضة، ولكنه من ناحية نظام الحكم فهو يعد من عصور الحكم المطلق، فقد كان من أخص صفات الخديو إسماعيل ميله الى حكم الفرد المطلق، والاستئثار بالامر والنهى فى الدولة، ويدل منطق الأحداث فى عهده، على انه حين أنشأ (مجلس شورى النواب) عام ١٨٦٦، لم يكن يعتزم التخلى عن سلطته المطلقة، بل أراد أن يجعل





جمال الدين الأفغانى باعث نهضة الشرق ومن تلاميذه الإمام محمد عبده.

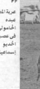


عبده الحامولى من أشهر المطربين فى عهد إسماعيل وتزوج من الفنانة ألمظ وكان مقربا جدا من الخديو ونجح فى تغيير نمط الغناء فى ذلك الوقت





استراحة الخديو إسماعيل فى الهرم والتى أصبحت فيمابعد فندق ميناهاوس



عربة المطرب عبده الحامولى فى عصر الخديو إسماعيل

من هذا المجلس مجرد هيئة استشارية مشكلة تزيد من رونق حكمه وبهائه. ولقد أخذ إنشاء هذا المجلس شكل المنحة المقدمة من الحاكم للشعب، وليس مطلبا من مطالب الشعب، ومن هنا ولد ضعيفا وهو فى المخاض، وواجه حياته بسلطة ضئيلة ونفوذ شكلى.

ومن جهة أخرى فطريقة تكوين هذا المجلس ووضع انتخاب أعضائه كان له أثر بالغ فى كيانه، ذلك ان الخديو حصر الانتخاب فى العمد والمشايخ، فأسفر عن انتخاب نوابه من العمد والمشايخ الذين يمثلون طبقة (الاعيان)، ولم يكن بالتالى هنالك لتمثيل بقية طبقات المجتمع فيه من تجار وصناع ومزارعين، وكذلك خلا هذا المجلس من الطبقة المتعلمة التى تخرجت فى المدارس والبعثات العلمية منذ عهد محمد على، ذلك لأن نظام الانتخاب لم يجعل لهم مكانا فيه.

ولم تكن فى البلاد، حين تأسس المجلس، صحافة تنتقد سياسة الحكومة، وتوجه النواب إلى واجباتهم، وتبصرهم بحقيقة وضعهم، وعظم المسئولية الملقاة على عاتقهم، ومن ناحية أخرى لم تكن فى البلاد أى ضمانات قانونية أو قضائية تحمى حرية الآراء وتكفل هذه الحرية.

لذلك فإن كل هذه الظروف والملابسات كان لها أثرها فى تضييق حياة المجلس وتحديد مواقفه وإحباط خططه وأفعاله.

وجاء افتتاح المجلس يوم الاحد ٢٥ نوفمبر ١٨٦٦، إذ اجتمع أعضاؤه بمكان انعقاده فى القلعة، برئاسة راغب باشا الذى عين رئيسا للمجلس فى دور انعقاده الأول، وحضر الخديو حفل الافتتاح يصحبه من رجال وزارته وزير الداخلية شريف باشا، ووزير المالية حافظ باشا، ورئيس مجلس الأحكام عبدالله عزت باشا، ومفتش الأقاليم إسماعيل صديق باشا، وحامل الأختام رياض باشا وكاتب الخديو أحمد خيرى بك. وألقى الخديو خطبة العرش بعد افتتاحه المجلس، وقد قررت هذه الخطبة قاعدة الشورى فى نظام الحكم، وإعلانا بأن الغاية من الحكم هى منفعة الجمهور. واجتمع الاعضاء يوم الثلاثاء ٢٧ نوفمبر ١٨٦٦ فى مكان انعقاد المجلس بالقلعة واشتغلوا بانتخاب لجانه، وهى خمس لجان.

ولقد استمر دور الانعقاد الاول للمجلس حتى يوم الاربعاء ٢٤ يناير ١٨٦٧، وبدأت دورة الانعقاد الثانية يوم الاثنين ١٦ مارس ١٨٦٨، برئاسة عبدالله باشا عزت، وأصدر المجلس فى دورته هذه قرارات فى عدة مسائل تتعلق بالمنافع العامة والمحلية.

وناقش المجلس المسألة المالية وقروض الخديو إسماعيل المتزايدة فلقد كانت القروض على الحكومة عند تولى إسماعيل عام ١٨٦٣ أحد عشر مليون جنيه، وبدلا من أن يجتهد إسماعيل فى سداد هذه الديون استدان عليها فى السنوات بين ٦٤ و٦٧ من الديون الثابتة ١٤ مليون جنيه ومن الديون السائرة عشرة ملايين جنيه.

وانعقد المجلس فى جلسته ودورته الثالثة يوم الخميس ٢٨ يناير ١٨٦٩ برئاسة عبدالله عزت باشا ايضا وناقش المجلس موضوعات عدة من ضمنها موضوع الديون. وانعقد المجلس بعد ذلك عدة دورات اعوام ١٨٧٠ و١٨٧١ و١٨٧٢ و١٨٧٣، ثم توقفت الحياة النيابية سنتى ١٨٧٤ و١٨٧٥.

ودخلت الحياة النيابية منذ عام ١٨٧٦ عصرا جديدا تميز بظهور روح النهضة والمعارضة فى نفوس النواب.

وبدت هذه الروح من مناقشاتهم وأعمالهم ومواقفهم وأخذت مظاهر الحياة والنشاط ترتسم فى أفق المجلس بعد أن كان يخيم عليه فى الأدوار السابقة شىء من الخمول والجمود.

ولقد أدت عدة عوامل للتطور منها : تفاقم الازمة المالية من جراء سياسة الحكومة بصددها مما أثار تذمر الناس وقلقهم، كذلك بسبب تزايد النفوذ الاجنبى فى البلاد، وخضوع الحكومة لمطالب الدول، وقبولها الوصاية الاجنبية على شئونها المالية، وتعيين الهيئات واللجان الاوروبية لتنظيم هذه الوصاية، واشتداد الحكومة فى ارهاق كاهل الفلاحين بالمزيد من الضرائب الجائرة.

ومن هنا نشأت حركة نهضة عامة فى أفكار طبقته الخاصة قوامها التطلع إلى إصلاح الحال، وإنقاذ البلاد من الكوارث التى حلت بها.

وساعد على تهيئة الافكار لهذه النهضة، انتشار التعليم فى الطبقة الممتازة من المجتمع، وظهور الصحافة وإنارتها أفكار القراء بالواقع الاجتماعى والمالى الذى تعيشه البلاد، وابراز سوء الحالة التى وصلت إليها مصر، فاستثار ذلك العواطف الوطنية الكامنة فى الأمة، التى تظهرها الحوادث وتوقظها الشدائد.

وإذا كانت النهضة الفكرية والسياسية على عهد الخديو إسماعيل فإن جانبا كبيرا من ظهورها يرجع إلى السيد جمال الدين الافغانى باعث نهضة الشرق.

وقد استقر جمال الدين الافغانى بمصر، وقام بالتدريس فى الازهر وتتلمذ على يديه عدد كبير من رواد النهضة الحديثة وعلى رأسهم الإمام محمد عبده، وعبدالسلام باشا المويلحى، ومحمود باشا البارودى وابراهيم باشا المويلحى، وابراهيم اللقانى، وعلى بك مظهر، وابوالوفاء القونى، وسليم النقاش، وأديب اسحق وعبدالله النديم.

ولم يكن الافغانى مناصرا لإسماعيل، بل كان ينتقم من استبداده واسرافه، وتمكينه الدول الاستعمارية من مرافق البلاد وحقوقها.

وقد نفى الافغانى من مصر يوم ٢٤ اغسطس ١٨٧٩، فى عهد حكم توفيق إلى الهند بتهمة باطلة مفادها «السعى فى



شفق نور هانم زوجة الخديو إسماعيل



جنان يار هانم زوجة الخديو إسماعيل

الارض بالفساد»، وذهب الافغانى إلى لندن عام ١٨٨٣، واقام بها ثم انتقل إلى باريس، وهناك أصدر مع تلميذه محمد عبده جريدة (العروة الوثقى) وكان شعارها إيقاظ الامم الإسلامية ومقاومة الاستعمار الاوروبى والجهاد فى سبيل الحرية والاستقلال.

وقد مرض الافغانى بالسرطان، وهو فى تركيا، واجريت له جراحة فاشلة هناك مات على إثرها يوم الثلاثاء ٩ مارس ١٨٩٧ ودفن فى تركيا وقبره لايزال هناك، وابتدأت ادوار المعارضة فى مجلس شورى النواب بانتخاب أعضاء الهيئة النيابية الثلاثة، وهم الذين شغلوا مراكز النيابة من عام ١٨٧٦ إلى اوائل عهد توفيق باشا.

واجتمع اعضاء الدور الاول برئاسة عبدالله عزت باشا فى نوفمبر ١٨٧٦ واجتمع أعضاء الدور الثانى فى مارس ١٨٧٨برئاسة قاسم باشا رسمى، واجتمع اعضاء الدور الثالث والاخير فى يناير ١٨٧٩، برئاسة احمد رشيد باشا وانتهى هذا الدور يوم ٦ يناير ١٨٧٩.

واتجه الشعور إلى إسقاط الوزارة الاوروبية، والتخلص من التدخل الاجنبى، فاجتمع الأحرار فى دار نقيب الأشراف (السيد على البكرى)، ثم فى منزل إسماعيل راغب باشا، وعقدوا بداره (جمعية وطنية) تضم صفوة كبراء البلاد واصحاب الرأى فيها، واتفقوا على اصدار بيان بما استقر عليه رأيهم، وهو يتضمن مشروع تسوية مالية يجعل البلاد قادرة، بضمانتهم وكفالتهم، على وفاء ديونها، والمطالبة بتأليف وزارة وطنية مستقلة وإقصاء الوزراء الاوروبيين عنها، وتقرير نظام دستورى للبلاد قوامه جعل الوزارة مسئولة أمام مجلس النواب.

وظهرت فى الافق السياسى شخصية محمد شريف باشا، كزعيم سياسى اتجهت إليه الافكار لتأليف وزارة وطنية، مهمتها إنقاذ البلاد من التدخل الاوروبى ومن الحكم الاستبدادى. وكان معروفا عن شريف باشا أنه يكره التدخل الاوروبى، وفى الوقت نفسه لا يقر استبداد الخديو ويرمى إلى ايجاد



▲▲
جشم آفت هانم زوجة الخديو إسماعيل



◀◀
..واحدى زوجات الخديو إسماعيل







نظام دستورى يحول دون استبداد الخديو.

واجتمع الاحرار يوم ٢ ابريل ١٨٧٩ بدار إسماعيل راغب باشا، واتفقوا على وضع لائحة ضمنوها مطالبهم وسميت (اللائحة الوطنية) وقع الجميع عليها واتفقوا على تقديمها للخديو وتضمنت هذه المطالب الإصلاح الدستورى بتقرير مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس النواب، وفى الوقت نفسه المحافظة على مصالح الدائنين وتأمينهم ببقاء نظام الرقابة الثنائية.

فاستجاب الخديو لتلك المطالب بقبول اللائحة الوطنية، واعتزم الخديو تكليف شريف باشا تأليف الوزارة الجديدة، نزولا على رغبة الأحرار، وقبول استقالة وزارة توفيق باشا.

ولقد قبل شريف تكليف الوزارة فألفها من أعضاء وطنيين مشايعين للأحرار وهم : إسماعيل راغب باشا للمالية، وشاهين باشا للحربية والبحرية (الجهادية)، وذوالفقار باشا للعدل (الحقانية)، ومحمد ثابت باشا للمعارف العمومية والاوقاف، وعمر لطفى باشا لتفتيش عموم الاقاليم القبلية والبحرية واحتفظ شريف لنفسه برئاسة الوزارة ووزارتى الداخلية والخارجية، ورفع شريف هذا التأليف الوزارى إلى الخديو يوم ٨ ابريل ١٨٧٩، وصدر المرسوم الخديوى بتأليف الوزارة على النحو الذى عرضه شريف باشا، واقيمت الحفلات والافراح ابتهاجا بالعهد الجديد، وأقام ابراهيم بك المويلحى، ومحمود بك العطار، وشاهبندر التجار وغيرهم زينات أمام منازلهم.

وكان من اول اعمال وزارة شريف باشا إقرارها مجلس شورى النواب على استمرار انعقاده واجتمع المجلس يوم السبت ١٧ مايو ١٨٧٩ برئاسة حسن راسم باشا، ناظر الدائرة السنية، بالنيابة عن رئيسه أحمد رشيد باشا الذى تخلف لمرضه.

وقدمت وزارة شريف





على باشا شريف



على باشا مبارك من أعلام الأدب فى عهد إسماعيل وهو صاحب الأيادى البيضاء على الأدب والعلم والتعليم فى مصر

◄◄ جنازة الخديو إسماعيل فى ميدان الأوبرا

باشا دستور عام ١٨٧٩ وعرضته على مجلس شورى النواب، وهو اول دستور وضع فى مصر على أحدث المبادئ العصرية، ويعد محمد شريف باشا مؤسسا للنظام الدستورى فى مصر. ولقد قابلت الدوائر السياسية والمالية الاوروبية قرار الخديو اقصاء الوزيرين الاجنبيين عن الوزارة بالاستنكار والسخط، وزعمت أن ذلك كان حقا مكتسبا لها لا يحق لأحد ان يمنعه عنهم، فأخذت لذلك تناوئ الوزارة الجديدة وتضع أمامها العراقيل والعقبات.

وبذل شريف باشا من ناحيته كل ما فى وسعه ليدخل الطمأنينة إلى الدوائر الأوروبية بالنسبة للقوانين التى اعتزمت الحكومة اصدارها، فاستصدر مرسوما فى ٢٣ أبريل ١٨٧٩ بإنشاء (مجلس



شورى الحكومة) ومهمته وضع مشروعات القوانين، وأغلبية اعضائه من الاجانب.

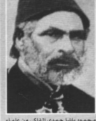
ولكن الحكومتين الانجليزية والفرنسية أصرتا على موقفهما، وطلبتا من الخديو، على لسان وكيليهما السياسيين فى مصر، اعادة الوزيرين الأجنبيين، فأجابهما بأنه ليس فى مقدوره ذلك أزاء مطالب الرأى العام قبول هذا الطلب، وأصر شريف باشا من ناحيته على الرفض وأنذر بتقديم استقالته اذا أعاد الخديو الوزيرين الأجنبيين، وايد الخديو موقف شريف، فاشتدت بذلك الازمة بين إسماعيل والدول الأوروبية وأخذت هذه الدول تعمل على خلعه من الحكم.

ولقد كان السبب الظاهر وراء رغبة الدوائر الاوروبية خلع إسماعيل عن الحكم، هو اقصاؤه فى حكومة شريف الوطنية للوزيرين الاوروبيين، لكن لم يكن ذلك هو السبب الوحيد وراء الرغبة فى الخلع والاقصاء عن الحكم لإسماعيل، فهناك أسباب اخرى لذلك، اهمها خوف رجال المال الاوروبيين على اموالهم التى قدموها ديونا لإسماعيل، من ان تضيع عليهم لو استمر إسماعيل فى الحكم، واعتقادهم بأن وعوده بالوفاء بها لا تبعث على الثقة، وانه سوف لا يتردد فى انكارها والتخلص منها اذا استطاع إلى ذلك سبيلا، لانهم يعلمون أنه أدرى الناس ببطلان جانب كبير من هذه الديون وفداحة فوائدها الربوية وما انتقصه الماليون والمرابون من





الأميرة فاطمة إسماعيل



محمود باشا حمدي الفلكي من علماء الرياضيات في ذلك العصر

قيمتها قبل أن تدخل الخزانة المصرية وبعد دخولها.

لكن الأزمة المالية وكثرة الديون وخوف الأوروبيين على أموالهم دفعهم إلى العمل على التخلص من الخديو ويوم الاثنين ٣٠ يونيو ١٨٧٩ ركب الباخرة (المحروسة) وكان يوم رحيله يوما مشهودا، إذ ازدحمت سراى عابدين منذ الصباح بالكبراء والذوات الذين جاءوا يودعون الخديو السابق وفى منتصف الساعة الحادية عشرة أقبل الخديو توفيق ليودع أباه، ثم خرج إسماعيل يتوكأ على نجله ودلائل الحزن بادية على وجهه، وركب العربة وجلس توفيق إلى يساره، وركب بعدهما بعض الامراء وكبار رجال الدولة، وسار الموكب حتى محطة العاصمة حيث اصطف الجنود على الجانبين لتحية الخديو السابق.

وعند المحطة ترجل إسماعيل، ووقف يودع ابنه قائلا: «يابنى.. لقد اقتضت إرادة سلطاننا المعظم أن تكون يا أعز البنين خديو مصر، فأوصيك بأخوتك وسائر الآل برا.. واعلم بأنى مسافر ويودى لو استطعت قبل ذلك ان ازيل بعض المصاعب التى أخاف ان توجب لك الارتباك، على أنى واثق بحزمك وعزمك، فاتبع رأى ذوى مشورتك وكن اسعد حالا من ابيك».

ثم ركب القطار الخاص، فبلغ الاسكندرية الساعة الرابعة بعد الظهر، واستقبله بها فى محطة القبارى محافظ الثغر وبعض الرؤساء والكبراء، وركب الزورق المعد له وتبعته زوارق المشيعين وسار حتى استقل الباخرة (المحروسة). وأقلعت المحروسة تشق عباب الماء، حتى اختفت عن الأبصار، وسارت الباخرة الى نابولى بايطاليا، حيث أعد له الملك امبرتو قصرا لسكناه، فأقام به هو وزوجاته وأنجاله وحاشيته.

وأخذ إسماعيل يتنقل بين مختلف العواصم الاوروبية، على أمل نجاح سعيه فى العودة إلى عرش مصر، دون جدوى، الى ان استقر فى الاستانة منذ عام ١٨٨٨ فى قصره على البسفور، الى أن وافته المنية يوم ٢ مارس ١٨٩٥، وله من العمر ٦٥ سنة، فنقل جثمانه إلى مصر، ودفن فى مسجد الرفاعى فى مدافن الأسرة الملكية بالقاهرة. ■■

▲▲

.. وفى عام ١٩٥٦ أسقط المصريون تمثال ديليسبس

فى الحلقة المقبلة
عهد توفيق وعدم التوفيق

أبيض وأسود

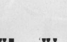
العدد ٨٠٩ - ٢٢ يونيو ٢٠٠٥

مصر فى ١٥٠ سنة

بداية الاحتلال البريطانى













نقطة ضعف الخديو توفيق

1879 : 1863

"تقلد محمد توفيق باشا الحكم يوم الخميس ٢٦ يونيو ١٨٧٩، ومصر آنذاك تجتاز مرحلة من أدق المراحل فى تاريخها الوطنى.. فالشعب يئن من المظالم والضرائب الفادحة التى عاناها فى عهد إسماعيل.. وهو يتطلع إلى حكم جديد يرفع عن كاهله عهد الظلم والقهر، ويخفف عنه وطأة الضرائب والمغارم.. والنفوس ساخطة على التدخل الأجنبى فى شئون مصر بشكل واسع ووسائل متعددة، منها إنشاء (صندوق الدين)، وفرض الرقابة الثنائية الإنجليزية والفرنسية على مالية مصر، وتغلغل نفوذ الأجانب عامة فى البلاد."

الحلقة الحادية عشرة

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :

أ.د. عطيـة القـوصى



الخديو توفيق



توفيق

١٨٧٩ : ١٨٩٢

لقد بدأت ثورة الأفكار والتطلع إلى النظم الدستورية فى أواخر عهد إسماعيل.. وتأصلت فى نفوس الطبقة المثقفة من الأمة فى أوائل عهد توفيق.

فتطلع الناس إلى العهد الجديد بأن يضع حدا للنفوذ الأجنبى، ويوطد أركان العدل والحرية والحياة الدستورية، وكان يحدوهم إلى هذا الأمل ما اتصف به الحاكم الجديد من صفات الاستقامة فى حياته الشخصية والاتزان والتعقل وكراهية الظلم والاستبداد.



بداية الاحتلال البريطانى لمصر

لذلك استقبل الناس عهد حكم توفيق بالغبطة والابتهاج وتوقعوا على يديه إصلاح ما أفسده من قبله إسماعيل وسعيد.

لكن توفيق، اصطدم فى أوائل حكمه بعقبة ازدياد المطامع الأوروبية فى مصر، وقد بدأت هذه المطامع تتحرك نحو أهدافها منذ عام ١٨٧٥، حين اشترت إنجلترا أسهم مصر فى قناة السويس بثمن بخس، ووضع ساستها فى ذهنهم أمر احتلال مصر.. كذلك كانت فرنسا تحاول أن يكون لها فى مصر مثلما لإنجلترا أو أزيد من ذلك.. والجاليات الأجنبية عامة تحاول فرض نفوذها المالى والاقتصادى على البلاد.. وتركيا تحاول قدر الإمكان، إعادة مصر إلى حظيرتها لكى تنتقص ما حصلت عليه من مزايا وحقوق.. وبذلك فإننا نرى البلاد فى بداية عهد توفيق، تمر بمنعطف خطير ينذر بأسوأ العواقب.

والخديو توفيق. الذى نتعرض لفترة حكمه. هو محمد توفيق، ابن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد على، ولد يوم الخميس ٣٠ أبريل ١٨٥٢. ولما شب وترعرع ألحقه والده بمدرسة المنيل، فتلقى فيها العلوم الأولية، ثم انتقل إلى المدرسة التجهيزية، ودرس فيها عدة لغات، وتزوج عام ١٨٧٣ بالأميرة أمينة إلهامى (أم المحسنين) كريمة الأمير إبراهيم إلهامى نجل عباس باشا.. وأنجب منها ابنه عباس حلمى (الثانى) عام ١٨٧٤، ومحمد على عام ١٨٧٦، والأميرتين خديجة ونعمت.. ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره، قلده أبوه رئاسة (المجلس الخصوصى) الذى كان بمثابة مجلس الوزراء، ثم ولاه وزارتى الداخلية والأشغال، ثم تقلد رئاسة الوزارة عقب سقوط وزارة نوبار فى ١٠ مارس ١٨٧٩، وهى الوزارة التى كان من ضمن تشكيلها وزيران أحدهما إنجليزى والآخر فرنسى.

تولى توفيق حكم مصر وعمره ٢٧ سنة، يوم الخميس ٢٦ يونيو ١٨٧٩، ولم يكن فى ماضيه قبل ولايته الحكم، ما يسترعى النظر أو يدل على اتجاه معين فى سياسته.. لكن نقطة ضعفه الخطيرة هى قلة شجاعته وحزمه، وكثرة تردده فى اتخاذ قراراته، وشعوره بالخوف من النفوذ الأوروبى من أول يوم تولى فيه الحكم، وكان همه الأول طوال عهده، مراضاة الدول الأوروبية، والنزول على إرادتها، كذلك عدم إيمانه بالنظام الدستورى، وميله إلى الحكم المطلق.

وبسبب هذه الصفات التى تجمعت فى شخص توفيق.. تولدت الأزمات والمشكلات فى عهده، وجاوزت فى خطورتها وعواقبها ما حدث فى عهد أبيه.

وكان محمد شريف باشا رئيسا للوزارة حين ولى توفيق الحكم، فقدم استقالته، جريا على العادة المتبعة عند تغيير الحاكم.. ولكن توفيق رغب فى إبقاء شريف رئيسا لوزارته، فألف شريف وزارته (الثانية) يوم ٣ يوليو ١٨٧٩، وقد



▲▲ صورة تذكارية لجنود الاحتلال فى صحراء العباسية

احتفظ شريف بوزارتى الداخلية والخارجية إلى جانب رئاسة الوزارة، وعين إسماعيل أيوب باشا للمالية، وعلى غالب باشا للحربية، ومحمود سامى باشا البارودى للمعارف والأوقاف، ومصطفى فهمى باشا للأشغال، ومراد حلمى باشا للحقانية (العدل).

ولم يكن الخديو توفيق يميل إلى بقاء شريف باشا فى الوزارة طويلاً لاختلافهما فى النزعة، واستمساك شريف بسياسته فى تقرير النظام الدستورى.. ولكن توفيق أراد أن تمر الأيام الأولى من عهده فى مجراها من الهدوء والسلام.. فاستبقى شريف باشا ريثما تنتهى تلك الفترة.

وكان الخديو قلقا على مركزه فى الحكم لتأخر مجىء الفرمان السلطانى بتوليه حكم مصر جريا على العادة المتبعة فى ذلك العصر، ومماطلة السلطان فى إرسال ذلك الفرمان، ورغبته فى إنقاص المزايا التى حصلت عليها مصر فى فرمان ١٨٧٣، المسمى (بالفرمان الجامع).

لكن فرنسا وإنجلترا تدخلتا فى الأمر، وطلبتا بلسان سفيريهما بالأستانة أن تطلعا على نص الفرمان الجديد قبل إعلانه، وإبلاغهما الباب العالى بضرورة إقرار حقوق مصر بما ورد فى الفرمان الجامع.. ولم تكن الدولتان تقصدان فى ذلك مصلحة مصر، بل كانتا تبغيان ألا يزداد نفوذ تركيا فى مصر، فيعرقل مطامعهما فيها.. وقد رضخت الدولة العثمانية لمطالب الدولتين، وأصدرت لتوفيق فرمانا بتاريخ ٧ أغسطس ١٨٧٩، يحتوى على جميع نصوص الفرمان الجامع فرمان ١٨٧٣. مع إجراء بعض التعديلات التى لم تعترض عليها الدولتان الإنجليزية والفرنسية وهى: إبلاغ نصوص أى معاهدات تعقدها مصر مع الدول الأجنبية إلى الباب العالى قبل نشرها، وتحديد عدد أفراد الجيش المصرى بثمانية عشر ألف جندى وقت السلم، وتقييد حق الخديو فى الاستدانة.

كان مجلس شورى النواب قد توقف عن الانعقاد فى بداية عهد توفيق، وكانت آخر جلساته يوم ٦ يوليو ١٨٧٩، وقد قررت الحكومة وقتها تأجيل اجتماعه إلى أجل غير مسمى حتى يتم النظر فى مشروع الدستور وقانون الانتخاب اللذين وضعهما شريف باشا فى أواخر عهد إسماعيل.. فسعى شريف إلى استمالة توفيق وإقناعه بضرورة إصدار هذا الدستور، وطلب إليه تشكيل مجلس النواب، تنفيذا لما وعد به فى كتابه إليه حين ألف الوزارة.

فخالفه الخديو فى وجهة نظره.. ورفض طلبه متعللا بعدم موافقة قنصلى إنجلترا وفرنسا.. فقدم شريف باشا استقالته. وتعاهد هو وزملاؤه الوزراء على ألا يقبلوا الدخول فى وزارة جديدة إلا إذا أجيب طلبهم وتألف مجلس النواب.. ولقد بر الوزراء بعهدهم ما عدا اثنين منهم هما: محمود سامى البارودى باشا، ومصطفى فهمى باشا.

وبعد أن استقالت وزارة شريف باشا.. ألف الخديو وزارة تولى هو رئاستها، وأعضاؤها هم: منصور باشا يكن للداخلية، وعلى حيدر باشا للمالية، وذوالفقار باشا للحقانية، ومصطفى فهمى باشا للخارجية، ومحمد مرعشلى باشا للأشغال، وعثمان رفقى باشا للحربية والبحرية، ومحمود سامى باشا البارودى للأوقاف، وعلى إبراهيم باشا للمعارف.

وبتأليف هذه الوزارة.. ألغى توفيق (مجلس النظار)، وأصدر مرسوما فى ٤ سبتمبر ١٨٧٩ بإعادة العمل بنظام (الرقابة الثنائية)، كما تقررت من قبل فى مرسوم ١٨ نوفمبر ١٨٧٦، وتعيين السير إيفلين بارنج (اللورد كرومر) مفتشا ورقيبا على الإيرادات، والمسيو (دى بلنيير) رقيبا على الحسابات والدين العمومى، بترشيح من الدولتين الإنجليزية والفرنسية.

وقد نهجت هذه الوزارة. فى مدتها القصيرة. منهج الاستبداد والاضطهاد وكان من أبرز أعمالها المجحفة نفى السيد



توفيق

١٨٧٩ : ١٨٩٢



السلطان عبد الحميد هو الذى أصدر فرمانا بتولى توفيق حكم مصر بعد تدخل فرنسا وانجلترا.

◄◄ زفاف أمينة هانم إلهامى إلى الخديو توفيق

جمال الدين الأفغاني من مصر، بقرار أصدره مجلس الوزراء بتاريخ ٢٦ أغسطس عام ١٨٧٩.

وفي ١٢ سبتمبر ١٨٧٩، عهد الخديو إلى (رياض باشا) بتأليف وزارة جديدة، وأعاد هيئة مجلس النظار بعد إلغائها، واحتفظ لنفسه بحق حضور جلسات المجلس وتولى رئاسته عند الاقتضاء.. ومنذ ذلك الحين جرت العادة بأن تنعقد جلسات المجلس تارة برئاسة الخديو، وتارة أخرى برئاسة رئيس الوزراء.

ويرجع اختيار الخديو لرياض باشا ما عرف عنه من موافقته إياه من الميل إلى الحكم المطلق، وكراهية نظام الشورى، والموافقة على التدخل الأجنبي وازدياد نفوذ الأجانب في البلاد.

وفي ٤ نوفمبر ١٨٨٠ تأسس الحزب الوطني (الأول) من معارضي سياسة رياض باشا، خاصة ما أدى منها إلى تقوية النفوذ الأوروبي في البلاد.. وقد ضم هذا الحزب شريف باشا، وإسماعيل راغب، وعمر لطفي، ومحمد سلطان باشا، وواصف باشا، وأحمد عرابي، وعبدالعال حلمي، وعلي فهمي، ومحمود سامي البارودي، وسليمان أباظة، وحسن الشريعي، وكانوا يجتمعون في منزل سلطان باشا.. ورغم إطلاق تسمية (حزب) على هذا التجمع، فإنه لم يكن حزبا متكامل الأركان بالمعنى الحديث، ولذلك لا يعتبره المؤرخون الحزب الأول في مصر، ولو أنه كان النواة للثورة العرابية في عهد توفيق.

ولقد ترتب على سياسة رياض باشا المعادية للحركة الوطنية وتصفيته لكل أنواع النشاط الوطني السلمي.. أن بدأ دور الجيش الفاعل في الحركة الوطنية، فيما يعرف بالثورة العرابية، نسبة إلى (أحمد عرابي) الذي اختير ليتزعم الأمة في ثورتها على السلطة الخديوية المتهاوية والمستسلمة للنفوذ الأجنبي.

و اخذت الاجتماعات تتوالى سرا بين الضباط (الفلاحين) لبحث أحوال البلاد عامة وحالة الجيش خاصة.. وفي يوم ١٦ يناير ١٨٨١، وعلى إثر سماع هؤلاء الضباط عن مؤامرة جركسية تدبر ضدهم تستهدف إبعادهم عن مواقعهم.. قاموا بالاجتماع في منزل أحمد عرابي لمناقشة موقفهم إزاء تصرفات وزير الحربية الجركسي ضدهم، مثل إصدار أمر بنقل (الأميرالاي) عبدالعال حلمي، قائد آلاي طرة إلى ديوان الوزارة منتقصا من مركزه ودرجته، وتعيين خورشيد بك نعمان الجركسي مكانه، وفصل أحمد بك عبدالغفار قائممقام آلاي الفرسان، وتعيين شاكر بك طمازة بدلا منه.

وحضر الاجتماع عبدالعال حلمي، والبكباشي خضر أفندي خضر، والأميرالاي علي أفندي فهمي قائد الآلاي الأول (آلاي الحرس الخديوي بعابدين)، والبكباشي محمد أفندي عبيد من ضباط الآلاي نفسه، والبكباشي ألفي أفندي يوسف من ضباط الآلاي الرابع بقيادة عرابي، وأحمد بك عبدالغفار.. وقد اتفقوا على اختيار عرابي رئيسا لهم، وعهدوا إليه بالعمل على التخلص من هذا الظلم الواقع عليهم.

وقد تحدث عرابي في مذكراته عن هذا الاجتماع، فقال: "سألتهم ماذا تريدون؟"، قالوا: "إنما جئنا لنرى رأيك"، فقلت: "رأيي أن تهدئوا نفوسكم وتعتمدوا على رؤسائكم وتفوضوا إليهم النظر في مصالحكم، وهم يتخذون من بينهم رئيسا يثقون فيه كل الوثوق ويسمعون له ويطيعون أمره ويحفظونه بمعاضدتكم إذا أرادت الحكومة به شرا". فقالوا كلهم: "إننا فوضنا إليك هذا الأمر فليس فينا من هو أحق به وأقدر عليه منك"، فقلت: "كلا، بل انظروا إلى غيري وأنا أسمع له وأطيع وأنصح له جهدي". فقالوا: "إننا لا نبغي غيرك ونثق فيك ولا نثق إلا بك". فأثبت لهم أن الأمر عصيب ولا يسع الحكومة إلا قتل من يتصدى له، فقالوا: "نحن نفديك ونفدي الوطن العزيز بأرواحنا"، فقلت لهم: "اقسموا على ذلك" فأقسموا.

وهكذا أصبح عرابي زعيما للجيش، ومتكلما باسمه، وكان لجرأته ووطنيته الصادقة أكبر الأثر في التفاف الفئات المدنية الساخطة على التدخل الأجنبي حوله.. وسرعان ما كسب عرابي جولته الأولى ضد توفيق فيما يعرف بحادثتي قصر النيل وعابدين.

كتب عرابي أثناء الاجتماع، عريضة إلى رياض باشا، رئيس الوزراء، يشكو فيها من تصرفات وزير الحربية، ويطالب بعزله، وقد وافق عليها المجتمعون ووقعها معه كل من علي فهمي وعبدالعال حلمي.. ويعتبر هذا الاجتماع البداية الحقيقية للثورة العرابية، التي بلغت ذروتها في مظاهرة عابدين يوم ٩ سبتمبر.

وفي يوم ١٧ يناير.. توجه عرابي وفهمي وحلمي إلى وزارة الداخلية، وقدموا العريضة إلى (خليل باشا يكن) وكيل الوزارة، طالبين تقديمها إلى رئيس الوزراء الذي طلب لقاءهم .. وقد استقبلهم رياض بعد أسبوع، حيث هددهم وحذرهم من تكرار تقديم مثل هذه العرائض.

وفي يوم ٣١ من شهر يناير.. قرر مجلس الوزراء، برئاسة الخديو توفيق محاكمة الضباط

▲▲
الخديو عباس وشقيقه الأمير محمد علي ابنا الخديو توفيق



اللورد كرومر

الثلاثة أمام مجلس عسكرى، وأصدر أمرا لوزير الحربية بالقبض عليهم، وتشكيل المجلس العسكرى للمحاكمة برئاسة الجنرال (ستون) رئيس الأركان، وعضوية الباشوات إسماعيل كامل، وخسرو، ورضا، وشوقى، ولارمى، ودى بلنسن.

وأرسل عثمان رفقى يستدعى الضباط للحضور إلى مقر الجهادية فى قصر النيل فى اليوم التالى، بحجة التشاور معهم فى الاحتفال بزفاف الأميرة (جميلة) شقيقة الخديو، وقد شعر الضباط بالمؤامرة، واتفقوا على الذهاب، ولكن بصحبة بعض ضباط الآلاى الأول الموالى لهم، للوقوف على حقيقة الأمر، وإبلاغ بقية الضباط بأى تطورات.

ووصل الضباط إلى قصر النيل ظهرا، فوجدوا المجلس العسكرى منعقدا لمحاكمتهم.. فلما علم ضباط الآلاى الأول المصاحبون لهم بذلك، أبلغوا الأمر إلى مركز الآلاى (بقشلاق) عابدين، فتجمع جنوده بقيادة (محمد عبيد) للذهاب إلى قصر النيل وإطلاق سراحهم .. وبالفعل قام الجنود بمحاصرة القصر، ثم قاموا باقتحامه، فما كان من الموجودين فيه إلا



حياة المصريين فى عهد الخديو توفيق

أن لاذوا بالفرار، وفى مقدمتهم عثمان رفقى، وقام الجنود بفك قيود الضباط الثلاثة، وعادوا جميعا إلى ميدان عابدين، حيث لحق بهم جنود وضباط آلاى طرة، بقيادة عبدالعالى حلمى، وجدد الجميع طلب عزل ناظر الجهادية، فلم يسع الخديو إلا إجابة طلبهم.

وفى اليوم التالى أجبر الخديو عثمان رفقى على الاستقالة بسبب فشل خطته فى القبض على الضباط الثلاثة: عرابى وحلمى وعبدالعال، وتم تعيين محمود سامى البارودى وزيرا للحربية، إلى جانب وزارة الأوقاف التى كان يتولاها.

وأدى انتصار عرابى على الخديو، بهذه الصورة، إلى ذيوع صيت عرابى فى جميع أرجاء البلاد، وأصبح موضع إعجاب الأمة وأملها المرتقب فى تخليص البلاد من النفوذ الأجنبى، واتصل به العديد من الأعيان والعلماء والتجار ليظهروا له تأييدهم المطلق له ولزملائه من الضباط.. وصارت الاجتماعات التى كانت تعقد فى منزل عرابى غير مقصورة على الضباط، بل انضمت إليهم أعداد وافرة من شتى طوائف الشعب على اختلاف طبقاتهم



ووظائفهم.

ولم يعد الخديو مرتاحا من حركة الضباط الوطنيين، وأخذ يتربص بهم الدوائر، وراح يردد مع قناصل الدول أن (الفوضى) المنتشرة فى الجيش يرجع سببها إلى تشجيع البارودى، ناظر الجهادية للضباط، وكان بذلك يمهد لعزله وتعيين آخر مكانه.. وبالفعل قام بعزله يوم ٤ أغسطس ١٨٨١، وعين مكانه صهره (داود يكن).. وقد أصدر يكن بمجرد توليه وزارة الحربية، أوامره المشددة بعدم اجتماع الضباط مع بعضهم بعضا فى المنازل أو فى أحياء المدينة، وعدم تركهم مراكزهم ليلا أو نهارا، وهدد بأنه إذا ما اجتمع اثنان أو أكثر مع بعضهم بعضا فى المدينة سيجرى ضبطهم بمعرفة رجال الضبطية من رجاله وسجنهم.. وزيادة على ذلك قام بنشر جواسيسه حول منازل الضباط (الأحرار) وفى الطرقات ليغتالوهم غدرا.

وإزاء ذلك.. لم يجد عرابى وسيلة لانتشال البلاد من الحالة السيئة التى وصلت إليها إلا بإسقاط الوزارة القائمة، وتشكيل مجلس نواب يعهد إليه بإصلاح حال البلاد، وتخليصها من النفوذ الأجنبى.

واتصل عرابى برؤساء الحزب الوطنى الأهلى، واتفق معهم على القيام بمظاهرة سلمية لتقديم عريضة إلى الخديو تتضمن عزل وزارة رياض وتشكيل مجلس النواب وبالفعل قدم رياض استقالته، وطلب الخديو من عرابى قبول تعيين على حيدر باشا يكن رئيسا للوزراء، فرفض بسبب صلة القرابة بينه وبين الخديو، ثم عرض عليه تعيين شريف باشا، فوافق، وأسندت الوزارة إلى شريف باشا فى ١٤ سبتمبر.

وكان شريف قد اشترط قبل قبوله ذلك عدم تدخل الجيش فى السياسة، وأن يخضع لأوامر الحكومة حتى لا تقع وزارته تحت ضغط العسكريين الوطنيين، وأن تترك له الحرية فى اختيار وزرائه.. وقد قبل عرابى شروط شريف باشا، وخرج هو وعبدالعال حلمى بفرقتيهما، عرابى إلى رأس الوادى بمديرية الشرقية، وعبدالعال حلمى إلى دمياط.

وتكونت الوزارة الجديدة من شريف باشا رئيسا لها ووزيرا للداخلية، ومحمود سامى البارودى للحربية والبحرية، وعلى حيدر للمالية، وإسماعيل راغب للأشغال، ومصطفى فهمى للخارجية، ومحمد زكى للمعارف والأوقاف، ومحمد قدرى للحقانية.

كما صدر قرار بتعيين بطرس غالى سكرتيرا عاما لمجلس الوزراء، وإبقاء خليل يكن وكيلا للداخلية.

وسارعت وزارة شريف بالعمل من أجل إقامة الحياة النيابية فى البلاد، فصدر أمر الخديو بإجراء الانتخابات فى ٤ أكتوبر، ودعا شريف مجلس النواب للانعقاد فى يوم ٢٤ ديسمبر..!

وقدم أعيان البلاد تقريرين الى شريف باشا، بعد تأليفه الوزارة، احدهما بمثابة ضمان منهم لتعهدات عرابى والضباط (الاحرار) باحترام النظام، والثانى خاص بطلب إنشاء مجلس النواب. وقد دعا شريف باشا فى تقريره الذى رفعه للخديو الى اجراء الانتخابات، طبقا لنظام مجلس شورى النواب القديم يوم ٤ اكتوبر ١٨٨١، وفى نفس هذا اليوم صدر الامر (العالى) من الخديو بإجراء الانتخابات العامة، وتحديد يوم ٢٦ ديسمبر لافتتاح مجلس النواب.

وكان افتتاح المجلس يوما مشهودا من أيام مصر التاريخية، واشتغلت وزارة شريف بوضع (الدستور)، وكان يسمى فى اصطلاح ذلك العصر (اللائحة الأساسية) او (القانون الاساسى)، وقد وضع على احدث المبادئ العصرية، بتضمنه القواعد الرئيسية للنظم البرلمانية، كتقرير مبدأ المسئولية الوزارية امام مجلس النواب.

واعترض وضع الدستور ازمة سياسية خطيرة، عرفت بأزمة (يناير ١٨٨٢)، وترجع الى سوء نية الدولتين انجلترا وفرنسا حيال مصر وتآمرهما على النظام الدستورى، الذى كاد يستقر باعلان اللائحة الاساسية. فقد تدخلت انجلترا وفرنسا فى شئون مصر الداخلية، وأوقعت الفرقة بين الخديو والامة، لكى تتخذا من هذه الفرقة الذريعة للتدخل المسلح واحتلال مصر.

وفى ٢ فبراير ١٨٨٢ قدم شريف استقالته للخديو فقبلها وأسند الى البارودى تأليف الوزارة









الزعيم أحمد عرابى باشا
الذى لعب دورا مهما فى تاريخ
مصر إبان بدء احتلال الإنجليز
وقد توفى عام ١٩١١

عاد أحمد عرابى من منفاه شيخا عجوزا ليجد له أحفادا



شهداء المصريين فى معركة التل الكبير

الجديدة ونزل الخديو بذلك على إرادة الحزب العسكرى. وتألفت وزارة البارودى برئاسته ووزارة الداخلية وأسندت وزارة الحربية والبحرية لأحمد عرابى والمالية لصادق باشا والخارجية والحقانية لمصطفى فهمى باشا والمعارف لعبدالله باشا فكرى والأوقاف لحسن باشا الشريعى والأشغال لمحمود باشا فهمى وتعد هذه الوزارة (وزارة العرابيين).

ولقد عظم شأن عرابى بتقلده وزارة الحربية التى كانت تتطلع إليها الأنظار آنذاك وفيها تتمثل سلطة الحكم وقوة الحركة الوطنية فأصبح عرابى الرئيس الفعلى للحكومة وزاد من مكانته نيله رتبة لواء (باشا) وصار له الأمر والنهى فى كل وزارات الحكومة وأصبح ديكتاتورا محضا وأضحت داره ملجأ طلاب الحاجات وأصحاب الشكايات.

وكان أول ماعنيت به حكومة البارودى اعلان الدستور فاجتمع مجلس الوزراء يوم الثلاثاء ٧ فبراير ١٨٨٢ برئاسة الخديو للنظر فى مشروع الدستور وقام بتنقيحه بعض التنقيح ثم أقره وأرسله إلى مجلس النواب ليبدى رأيه فى هذه التنقيحات واجتمع مجلس النواب فى اليوم نفسه لمناقشة بنود الدستور فأقرها وتم تصديق المجلس على اللائحة الأساسية وقد وقع الخديو المرسوم بصدور الدستور يوم ٧ فبراير ١٨٨٢ واجتمع مجلس النواب فى اليوم التالى وحضر الجلسة البارودى رئيس مجلس الوزراء وقدم الدستور الى المجلس موقعا من الخديو كما تقرر فى الجلسة الماضية وبعد انفضاض الجلسة توجه النواب إلى سراى الخديو ليؤدوا للخديو واجب الشكر ولما مثلوا بين يديه تلقاهم بالبشر والترحاب وألقى سلطان باشا كلمة الشكر بالنيابة عنهم ثم انصرفوا فرحين مسرورين.

ولقد استقبلت الدوائر السياسية الانجليزية والفرنسية اعلان الدستور بالسخط والغضب وبدت هذه المظاهر أظهر ما تكون على شدتها من الرقيبين الأوروبيين وقد كان اعتراضهما الشديد على تخويل مجلس النواب حق تقرير الميزانية وقاما بتحريض حكومتيهما على محاربة النظام الجديد.

ولقد كانت مدة انعقاد مجلس النواب فترة تقدم ونشاط تمتعت مصر خلالها بالهدوء والاستقرار فى ظل النظام الدستورى.

ولم تكد تنتهى الدورة النيابية حتى تلبد جو الصفاء الذى ساد مصر من قبل وأخذت الأحداث تتوالى على البلاد فكان انفضاض المجلس كان نذيرا بالانتكاسة .. ولقد كان من المحتمل لو بقى المجلس منعقدا أن يعالج هذه الأحداث بحكمة وروية ولكن حدث أن اضطرب الأمر وتكهرب الجو بعد انتهاء الدورة البرلمانية فتحملت وزارة البارودى وحدها تبعة معالجة الموقف وواجهت مشكلات داخلية وخارجية وازداد الخلاف واتسع نطاقه بينها وبين الخديو حتى انتهى الأمر باستقالتها.

وأول تلك الأحداث التى وقعت بالبلاد بعد انفضاض مجلس النواب هو مؤامرة الضباط الجراكسة التى دبرت للتخلص من عرابى وزملائه من رؤساء الحزب العسكرى..

ولما اكتشفت المؤامرة قبل تنفيذها ألقى القبض على ٤٨ من الضباط الجراكسة وحوكموا محاكمة سرية أمام مجلس عسكرى وصدر الحكم ضدهم فى ٣٠ ابريل ١٨٨٢ على أربعة منهم بالنفى إلى جنوب السودان مع تجريدهم من رتبهم ونياشينهم وكان من بين هؤلاء الأربعة ناظر الجهادية السابق عثمان رفقى.

وأثار هذا الحكم ثائرة الانجليز والفرنسيين وطلب القنصل الانجليزى من الخديو أن يرفض الحكم وكذلك فعل القنصل الفرنسى الذى نصح الخديو بأن يصدر أمرا بإعادة المحاكمة حتى يصدر فى أثنائها عفوا عن المتآمرين مما أدى إلى قيام نزاع بين الخديو والعرابيين حاول العرابيون خلاله عزل توفيق والتخلص من أسرة محمد على جميعها وإعلان الجمهورية ولكنهم لم يجدوا فى ذلك تأييدا من سلطان باشا رئيس مجلس النواب وبقية أعضاء المجلس الذين ينتمون إلى طبقة الأعيان والذين انحازوا فى هذا الموقف إلى جانب الخديو وأخذوا يعملون على اسقاط حكومة البارودى.

وهكذا تآمر الخديو والجراكسة والأعيان على الثورة العرابية فى الداخل بينما تآمرت ضدها فرنسا وانجلترا من الخارج.

واستفاضت الأنباء فى غضون الخلاف بين الوزارة والخديو عن اعتزام انجلترا وفرنسا إرسال أسطوليهما إلى الاسكندرية إذ عدتا الحالة التى كانت عليها مصر آنذاك حالة ثورة تستدعى التدخل.

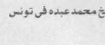
وأفضى اللورد (جرانفيل) وزير خارجية بريطانيا بهذه الفكرة يوم ١٢ مايو ١٨٨٢ إلى الميسو (تيسو). سفير فرنسا فى لندن، قائلا: «إن الحاجة أصبحت ماسة للقيام بمظاهرة بحرية فى مياه الإسكندرية».

وقد لقيت هذه الفكرة قبولا من الحكومة الفرنسية، وبررت الدولتان ذلك بان الغرض من هذا العمل هو حماية رعاياهما من الأخطار التى تستهدفهم.. مع انه لم يكن هنالك أى خطر يتهدد هؤلاء الرعايا، ولكنها كانت حجة مصطنعة ووسيلة باطلة تستر وراءها الغرض الحقيقى، وهو ايجاد ذرائع للتدخل العسكرى فى شئون مصر.

لقد كانت هذه المظاهرة البحرية، المظاهرة الثانية، فقد سبقتها مظاهرة أولى فى شهر أكتوبر ١٨٨١، وكانت لمناسبة حضور الوفد العثمانى الأول إلى مصر، والمظاهرة الثانية هذه كانت أخطر من الأولى، إذ انها لم تكن مجرد مظاهرة، كما ادعوا، ولكنها كانت مقدمة لضرب الاسكندرية والاحتلال البريطانى.

واتفقت الدولتان الانجليزية والفرنسية على ان ترسل كل منهما ست بوارج إلى المياه المصرية، وجاءت الأنباء بان الأسطولين على وشك الحضور، فقوبل الخبر فى مصر بالقلق والانزعاج، وكانت هذه





▲▲
الشيخ محمد عبده فى تونس





الأنباء جديرة بتحذير كل من العرابيين والخديو من عواقب الخلاف بينهما، لأن مجيء الأسطولين الانجليزى والفرنسى كان نذيرا بالتدخل المسلح فى شئون مصر، ولكن الفريقين لم يعتبر بهذا النذير، واستمر كل منهما يكيد للآخر.

ولقد أعلن زوال الخلاف بين الحكومة والخديو ظاهريا يوم الاثنين ١٥ مايو، فى الوقت الذى كانت فيه البوارج الانجليزية والفرنسية تمخر عباب البحر المتوسط قاصدة مدينة الإسكندرية.

وتوجه الوزراء صبيحة يوم الثلاثاء إلى دواوينهم واستأنفوا عملهم المعتاد، لايهام الناس بانتهاء الخلاف لكن العالمين ببواطن الأمور كانوا يعلمون ان الخصام لم ينته وإنما هى هدنة قصيرة لاتلبث ان تنتهى فيتجدد الخصام من جديد، وربما أقوى مما كان.

وفى مساء يوم الاثنين، قابل السير (ادوار ومالت)، قنصل انجلترا العام، والمسيو (ستكفكس)، قنصل فرنسا، الخديو مجتمعين، وأبلغاه بصفة رسمية، بأن الأسطولين سيصلان إلى مياه الإسكندرية صباح الأربعاء ١٧ مايو.

وأذاع السير ادواردمالت منشورا بعث به إلى قناصل حكومته فى القطر المصرى يخبرهم فيه بقرب قدوم الأسطول



الشيخ محمد عبده
فى لندن سنة ١٨٨١
ب



▲▲

الشيخ محمد عبده فى السودن
مع مجموعة من العلماء

الانجليزى، ويعلمهم بان وصوله ليس من شأنه تكدير علائق الدولتين المصرية والبريطانية، وانه جاء «بصفة ودية» وبطريق المسالمة. وأذاع قنصل فرنسا مثل هذا المنشور.. وعلى أثر اذاعة هذين المنشورين أرسل البارودى إلى محافظ الإسكندرية تلغرافا جاء فيه:

«ستحضر إلى الإسكندرية مراكب حربية أجنبية، وحضورها هو بطريقة سلمية، فلا يحصل بجهتكم أدنى توهم ولاتشويش فكر. إن المودة والألفة بين حكومتنا السنية وبين الدول المتحابة أكيدة».

وبدأت البوارج تصل إلى مياه الاسكندرية يوم الجمعة ١٩ مايو ١٨٨٢. ففى أصيل ذلك اليوم جاءت مدرعة إنجليزية، وفى صباح السبت ٢٠ منه، دخلتها سفينتان اخريان، وثلاث سفن فرنسية، وكانت السفن الانجليزية بقيادة الأميرال السير (بوشان سيمور)، والفرنسية بقيادة الأمير كونراد.. ولما كان مجيئها بصفة ودية، كما جاء فى تلغراف البارودى للمحافظ، فقد اطلقت المدافع تحية لقدومها.

وبعد ظهر يوم السبت نزل الأميرالان إلى البر مرتديين ملابسهما الرسمية، وزارا محافظ الاسكندرية فردلهما الزيارة اتباعا للتقاليد المعتادة.

وفى ٢١ مايو جاءت الاسكندرية أيضا سفينتان حربيتان يونانيتان، وبارجة انجليزية أخرى قادمة من مالطة، وفى يوم الاثنين جاءت بارجة انجليزية أخرى إلى الاسكندرية، كما جاءت بارجة فرنسية، وجاءت أيضا بارجة أمريكية.

وماكاد الأسطولان الأجنبيان يرسوان فى مياه ميناء الاسكندرية، حتى أخذت الدولتان صاحبتا الأساطيل، تخاطبان مصر بلغة التهديد فى بلاغات رسمية، فبدأتا بطلب استقالة وزارة البارودى، وخروج عرابى من مصر. وفى يوم الخميس ٢٥ مايو، جاءت تعليمات الحكومتين إلى قنصليهما، ومضمونها تقديم البلاغ النهائى الذى اعداه إلى الوزارة المصرية وانتظار الجواب منها. وبعد ظهر ذلك اليوم قدم القنصلان إلى البارودى بلاغ الدولتين فى شكل مذكرة طلبا فيها استقالة الوزارة وابعاد عرابى عن مصر مؤقتا، مع حفظ رتبته ورواتبه

غير أن الاحوال فى مصر كانت تسير من سىء إلى اسوأ، مما جعل رئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيتها فى نفس الوقت مسيو (فريسينيه) يقترح على (جرانفيل) وزير خارجية بريطانيا عقد مؤتمر دولى للنظر فى المسألة المصرية، ووافق جرانفيل على عقد هذا المؤتمر فى (الاستانة) لكى يعمل من اجل ايجاد حل للازمة المصرية، على اساس المحافظة على حقوق كل من السلطان العثمانى والخديو واحترام الحريات التى ضمنتها الفرمانات للشعب المصرى الصادرة من الباب العالى.

وانعقد مؤتمر الاستانة يوم ٢٣ يونيو ١٨٨٢، بدار السفارة الايطالية فى (ترابيا) بضواحى الاستانة، على شاطئ البسفور، فى الساعة الثالث مساء، وكان اعضاؤه سفراء الدول العظمى الست بالاستانة: انجلترا، فرنسا، المانيا، النمسا، روسيا، وايطاليا. وعقد هذا المؤتمر ثلاثة اجتماعات على ثلاثة ايام اقترح مندوب ايطاليا فى المؤتمر ان تقرر الدول الامتناع عن التدخل المنفرد فى مصر مادام المؤتمر منعقدا.

فاقترح المندوب البريطانى اضافة عبارة «إلا عند الضرورة القصوى»

واستمر المؤتمر يعقد جلساته من غير طائل، وانجلترا تعد العدة للحرب. وقد كان انعقاد هذا المؤتمر مدعاة الى اعتقاد العرابيين أن المسألة المصرية ستحل بطريق المفاوضات بين الدول، وان انعقاد المؤتمر سيمنع انجلترا او غيرها من الدول من التدخل العسكرى فى مصر.

ففى وسط الاضطراب الذى تلا استقالة وزارة البارودى، ووجود السفن الحربية الاجنبية فى مياه الاسكندرية، ورواج الشائعات عن تهديدات العرابيين ضد الخديو وضد الاجانب، كان من السهل على بريطانيا ان تجد الذريعة والسبب المباشر للتدخل المسلح وضرب الاسكندرية، واحتلال مصر، بما دبرته وعرف «بمذبحة الاسكندرية» يوم ١١ يونيو ١٨٨٢.

ولقد بدت نية الانفراد بالعمل العسكرى من الجانب الانجليزى تظهر بمظهر فعلى فيما بعث به أميرال الأسطول البريطانى إلى حكومته يوم ٢٩ مايو ينبئها بأن المصريين ينشئون بطارية مدافع تجاه إحدى بوارج الأسطول ويطلب إرسال المزيد من البوارج فقامت الحكومة البريطانية بتلبية طلبه

ودل هذا العمل على نية انجلترا فى احتلال مصر.







الجيش الإنجليزى أثناء احتلاله الإسكندرية يقيم حفلا لسباق الخيل ابتهاجا بانتصاره



جمال الدين الأفغانى تم نفيه من مصر بقرار أصدره مجلس الوزراء عام ١٨٧٩ .

وكان الخديو قد أرسل إلى السلطان العثمانى وقتها رسالة يخبره فيها عن هياج الضباط عليه فرد عليه السلطان بأنه سوف ينظر فى الأمر ويرسل له لجنة للنظر فى المشكلة.

وفى اليوم الثانى من شهر يونيو شكل السلطان وفدا برئاسة مصطفى درويش باشا للحضور إلى مصر وقد توهم السلطان أن مجرد إنفاذه هذا الوفد السامى سوف تعود الأمور فى مصر إلى نصابها ويحول دون تدخل انجلترا العسكرى .. ومن أجل ذلك رفضت تركيا المشاركة فى المؤتمر الدولى معتقدة بأن عدم اشتراكها فيه سوف يمنع الدول من أن تتدخل أو تبرم أمرا فى المسألة المصرية.

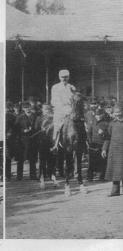
ولم يستطع وفد درويش باشا أن يفعل شيئا أو أن يحول دون التدخل العسكرى البريطانى فى مصر ويكفى لتقدير مدى عجز هذا الوفد عن معالجة الموقف أن مذبحة الاسكندرية المشئومة وقعت ولم يكد يمضى على حضوره بضعة أيام وذلك يوم ١١ يونيو فكانت إعلانا صارخا بإخفاق مهمة المندوب العثمانى وقد حضر ضرب الاسكندرية يوم ١١ يوليو ثم انقلب عائدا إلى الأستانة دون أن يعمل أى عمل يحول دون وقوع الكوارث التى حلت بالبلاد.

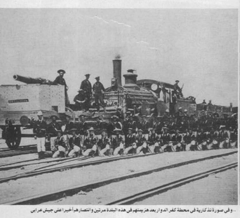
وفى يوم الأحد ١١ يونيو ١٨٨٢ فى نحو الساعة الثانية بعد الظهر وقع حادث مذبحة الإسكندرية وهو الحادث الذى بدأ بمشاجرة بين أحد المالطيين من رعايا الانجليز وبين أحد أهالى الإسكندرية الوطنيين يدعى (السيد العجان)

◂◂

أول صورة فوتوغرافية تنشر لاحتلال الجيوش الإنجليزية لمصر وقد حرص الانجليز على التقاط هذه الصورة لينشروا للعالم انتصارهم واحتلال مصر







..وفى صورة تذكارية فى محطة كفر الدوار بعد هزيمتهم فى هذه البلدة مرتين وانتصارهم أخيرا على جيش عرابى

وكان المالطى هو البادئ فيه بالعدوان فقد كان العجان صاحب حمار إكتراه منه المالطى وأخذ يطوف به طوال اليوم من مقهى إلى آخر وانتهى طوافه عند حانة (خمارة) قريبة من قهوة تقع بآخر شارع (السبع بنات) لصاحبها (القزاز) بالقرب من قسم اللبان.. فطالبه العجان بأجرة ركوبه طوال اليوم فلم يدفع له سوى قرش واحد فجادله فى قلة المبلغ فما كان من المالطى وقد سكر إلا أن قام بطعن العجان بسكين له عدة طعنات دامية مات على إثرها.

وقع هذا الحادث فى المكان الكائن خلف قهوة القزاز فهرع رفاق القتيل إلى ذلك المكان يريدون القبض على القاتل ولكنه هرب واختبأ فى أحد المنازل المجاورة وأخذ المالطيون واليونانيون الساكنون بالقرب من مكان الحادث يطلقون النار على الأهالى من الأبواب والنوافذ ..

فسقط كثير منهم بين قتيل وجريح فثارت نفوس الأهالى تطلب الانتقام لمواطنيهم وتحرك العامة للاعتداء على الأجانب عامة بعصيهم وهراواتهم يضربون كل من يلقونه منهم فى الطرقات أو فى الدكاكين وقاموا بنهب دكاكين شارع السبع بنات وامتد هذا الهياج إلى سائر شوارع المدينة وقد جرح القنصل الانجليزى نفسه جرحا بليغا وجرح أيضا قنصلا اليونان وإيطاليا..

وانتهت الفتنة فى مغرب الشمس فساد المدينة سكون رهيب إذ لزم الناس بيوتهم وخلت الطرقات من المارة وانقضى الليل والناس فى خوف وفزع.

واختلفت الروايات فى تقدير عدد قتلى وجرحى هذه المذبحة من الجانبين ولكن إحصاء اللجنة الطبية الأوروبية كان أدعى للثقة فقد ذكرت هذه اللجنة أن عدد القتلى من الجانبين ٤٩ قتيلا منهم ٣٨ من الأجانب والباقون من الأهالى وعدد الجرحى ٧١ منهم ٣٦ من الأجانب و٣٣ من الوطنيين واثنان من الأتراك.

واجتمع القناصل مساء يوم الحادثة وحضر الاجتماع محافظ الاسكندرية وتداولوا فيما يجب اتخاذه لاعادة النظام وتهدئة الخواطر .. وزاد شعور الناس بخطر الموقف انتقال الخديو فجأة من العاصمة إلى الاسكندرية فسافر يوم الثلاثاء ١٣ يونيو ولقد فسر مجيء الخديو المفاجئ على أنه توقع الخطر على البلاد فأراد أن يكون على مقربة من الأسطولين الانجليزى والفرنسى بالاسكندرية لحمايته وقد استقر مقام الخديو فى سراى رأس التين وجاءه قناصل الدول يزورونه فأبدى لهم أسفه الشديد من وقوع حوادث الاسكندرية ووعدهم أن يبذل كل جهده وعنايته لاخماد الفتنة.

وبقيت البلاد بلا وزارة منذ استقالة البارودى فى ٢٧ مايو ١٨٨٢ فلما وقعت حوادث ١١ يونيو اتجهت الأنظار إلى وجوب تأليف وزارة تضطلع بأعباء الحكم ..

وقد انتهى الاختيار الى اسماعيل راغب باشا رئيسا لهذه الوزارة وأصدر إليه الخديو الأمر بذلك وصدر مرسوم بتأليفها يوم ٢٠ يونيو ١٨٨٢ على النحو





توفيق

١٨٧٩ : ١٨٩٢



مصطفى باشا فهمى



▲▲
مصطفى باشا فهمى رئيس الوزراء فى عهد الخديو توفيق ومعه ابنته صفية هانم زغلول زوجة سعد باشا زغلول

التالى: اسماعيل راغب باشا للرياسة الخارجية وأحمد رشيد باشا للداخلية وعبدالرحمن رشدى باشا للمالية وأحمد عرابى باشا للحربية والبحرية وعلى ابراهيم باشا للحقانية وسليمان أباظة باشا للمعارف ومحمود باشا الفلكى للأشغال وحسن باشا الشريعى للأوقاف.

ولقد قابلت السياسة الانجليزية تأليف تلك الوزارة بالجفاء، وعدم الثقة والحط من قدرتها على إعادة الأمن إلى نصابه وأخذت تضع لها العقبات والعراقيل.

ولقد ضرب الأسطول البريطانى الاسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ وكانت حصون المدينة كلها قديمة لم تمتد إليها يد التعمير أو الترميم والتسليح .. ورغم ذلك فقد دافع الجنود ومن ورائهم الأهالى عن المدينة دفاع الأبطال.

وفى مساء ١٢ يوليو تم انسحاب الجيش المصرى من الإسكندرية فاحتلها الانجليز فى اليوم التالى .. وأصدر الخديو توفيق أمرا فى ٢٠ يوليو بعزل عرابى عن نظارة الجهادية ولكن الشعب تمسك به والتف حوله ولم يعبأ بقرار الخديو وقرروا مواصلة الدفاع عن البلاد بزعامة عرابى حتى النهاية.

وفى أثناء ذلك كان الجيش المصرى قد انسحب إلى كفر الدوار وقام عرابى هناك ببناء الاستحكامات حول تل الناصر ومن هناك استطاع المصريون أن يصدوا هجمات الانجليز نحو خمسة أسابيع ونجحوا فى تعقب قوات الجيش الانجليزى المنسحبة حتى مداخل الإسكندرية .. ولما أخفق الانجليز فى اختراق تحصينات كفر الدوار تحولوا إلى مهاجمة البلاد من ناحية قناة السويس وقد كان من أخطاء عرابى تركه هذه المنطقة مكشوفة اعتمادا على تعهد خادع من فرديناند ديليسيبس بحيدة القناة ودفاع الفرنسيين عنها وكان عليه ردم القناة أو إعاقة السير فيها مؤقتا حتى تنتهى الحرب.. ولو كان عرابى فعل ذلك لما نجحت السفن البريطانية فى الوصول الى مدن القناة.

ورغم احتجاجات ديليسبس اقتحم الانجليز القناة واحتلوا مدينة السويس بأمر من الخديو فى أوائل أغسطس ١٨٨٢ .. ولم يكن أمام الانجليز سوى عمل استحكامات سريعة فى منطقة التل الكبير فقرر عرابى نقل مركز قيادته من كفر الدوار إلى التل الكبير وفى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ اشتبك الانجليز بقواتهم البرية والبحرية فى موقعة التل الكبير وكانت موقعة فاصلة انهزم فيها المصريون بسبب الخيانة.

وفى ١٥ سبتمبر احتل الانجليز القاهرة فكانت بداية الاحتلال البريطانى الذى استمر يرسخ على ظهر مصر مايقرب من ثلاثة وسبعين عاما. ■■

فى الحلقة المقبلة أحمد عرابى ورفاقه ..مشاهد وبطولات

العدد ٨١٠ـ ٢٧ يونيو ٢٠٠٥

أبيض وأسود

مصر فى ١٥٠ سنة

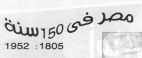


أحمد عرابى ورفاقه



مصر فى 150 سنة

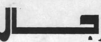
1805 : 1952



















محمد على

ابراهيم

عباس الأول

سعيد

اسماعيل

توفيق

١٨٧٩ : ١٨٩٢

عباس حلمى

حسين كامل

فؤاد الأول

فاروق الأول

رجال في ذاكرة التاريخ

1879 : 1892

"لا جدال فى أن الثورات تتأثر بشخصيات زعمائها، لأنه إذا كان من الحقائق الثابتة أن ظهور الثورات وقيامها يرجع إلى ظهور القادة والزعماء، فإن تطورات هذه الثورات ومصائرها تتبع. إلى حد ما. شخصياتهم ومصائرهم.

من أجل ذلك.. علينا أن نلقى الضوء على السيرة الذاتية لشخصيات الثورة العرابية، لكى نتبين مدى تأثيرها فى مصير تلك الثورة الشعبية العسكرية الخالدة.

والزعماء من شخصيات الثورة الذين نعنيهم، هم فى الحقيقة سبعة، أولهم عرابى، وثانيهم البارودى، وثالثهم محمود فهمى، ورابعهم على فهمى، وخامسهم عبد العال حلمى، وسادسهم محمد عبيد، وسابعهم عبد الله النديم.. ولو تعدينا العدد لأضفنا إليهم كلا من الشيخ محمد عبده، وطلبة عصمت، وعلى الروبى، ويعقوب سام، وسليمان سامى، ومحمد سلطان."

الحلقة الثانية عشرة

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

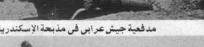
حلقات يكتبها :

أ.د. عطية القوصى



الخديو توفيق





مدفعية جيش عرابى فى مدبغة الإسكندرية



توفيق

١٨٧٩ : ١٨٩٢

لا جدال فى أن ظهور أحمد عرابى، هو الذى بث فى نفوس الضباط روح التضامن والاتحاد للمطالبة بحقوقهم المهضومة، وتقدم الصفوف لعرض مطالبهم جهارا على ولاة الأمور، وكانت هذه المطالب فاتحة الثورة العرابية.

أحمد عرابى ورفاقه

أحمد عرابى «١٨٤١ـ١٩١١»

كان ظهور عرابى من الأسباب المباشرة فى اندلاع الثورة العرابية، فى عهد الخديو توفيق، فليس هنالك من شك فى أنه حامل لوائها وقائد زمامها، وإلى اسمه نسبت، وفى شخصه تمثلت.

والمعلومات الواردة فى سيرته الذاتية تذكر أنه ولد يوم ٣١ مارس عام ١٨٤١، الموافق ٧ صفر عام ١٢٥٧ من العام الهجرى، فى قرية (هرية رزنة)، بالقرب من مدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية.. وكان أبوه (شيخ بلد) بالقرية، وهو من عائلة بدوية استوطنت تلك القرية فى عهد جد عرابى الأكبر.

ولما شب وترعرع.. علمه أبوه مبادئ القراءة والكتابة فى (كتاب) القرية، وعهد إلى رجل يدعى (ميخائيل غطاس)، وكان صرافا فى القرية، فدربه على الكتابة، وعلمه مبادئ الحساب لمدة خمس سنوات، ثم أرسله أبوه عام ١٨٤٩ إلى الجامع الأزهر بالقاهرة لطلب العلم، فمكث فيه أربع سنوات، حفظ خلالها القرآن الكريم، وأتقن علوم اللغة والفقه والتفسير.. ولكنه عاد إلى بلدته دون أن يتم تعليمه الأزهرى، وقد طلب للتجنيد جنديا (نفرا)، لما قرره (سعيد باشا) من تجنيد أولاد العمد والمشايخ من المصريين.

ولإجادة عرابى القراءة والكتابة والحساب.. عين كاتبا بدرجة (بلوك أمين) بالأورطة الرابعة من آلاى المشاة الأول، ثم رقى إلى مرتبة الضباط، حين اعتزم (سعيد باشا) ترقية المصريين فى الجيش، فنال رتبة ملازم من تحت السلاح عام ١٨٥٨-وهو بعد فى السابعة عشرة من عمره، ثم رتبة يوزباشى (نقيب) عام ١٨٥٩، ثم رتبة صاغ (رائد) عام ١٨٥٩، ثم رتبة بكباشى (مقدم) عام ١٨٦٠، ثم رتبة قائممقام (عقيد) عام ١٨٦٠، فى شهر سبتمبر من ذلك العام، وقد حظى برضا سعيد باشا، ورافقه فى زيارته للمدينة المنورة (ياورا) له عام ١٨٦١ وكان سعيد باشا قد قام بإنقاص عدد الجيش، وإلغاء بعض الفرق، وفصل ضباطها من الخدمة، وكان عرابى من بين المفصولين، ثم أمر بإعادتهم قبيل وفاته، وعاد بذلك عرابى مع من عاد إلى سابق رتبته فى الجيش.

فلما توفى سعيد باشا، وخلفه فى الحكم إسماعيل.. فقد عرابى عطف ولى الأمر، لمخالفة إسماعيل لسعيد فى سياسة التعاطف مع الضباط الوطنيين المصريين، وتعاطفه مع الضباط الجركس.. فكان ذلك من أسباب تذمر عرابى، واتجاه أفكاره إلى المطالبة بحقوق الضباط المصريين.

ووقع لعرابى حادث فى عهد إسماعيل، كان له أثر كبير فى اتجاه



▲▲ هزيمة جيش عرابى والتى أدت إلى الاحتلال وكانت النتيجة أن انضم خديو مصر إلى جيش الغزاة ودارت الدائرة على عرابى لأنه كان يواجه فى لحظة من لحظات التاريخ الفاصلة الجيش البريطانى وخديو مصر والخونة فى الداخل

أفكاره ونزعاته السياسية.. ذلك أنه وقعت خصومة بينه وبين اللواء الجركسى (خسرو باشا) أدت إلى تقديمه إلى مجلس عسكرى، والحكم عليه بالسجن واحد وعشرين يوما.. فاستأنف عرابى هذا الحكم أمام المجلس العسكرى الأعلى، فقضى بإلغاء الحكم الابتدائى، وكان وزير الحربية آنذاك (إسماعيل سليم باشا) يرغب فى تأييد الحكم الابتدائى، فسعى لدى الخديو إسماعيل فى فصل عرابى من الخدمة العسكرية.. فتم له ما أراد، وقد جعلت هذه الحادثة عرابى يزداد كرها وبغضا للجراكسة.

ورفع عرابى تظلمه إلى الخديو، وظلت قضيته مهملة مدة ثلاث سنوات، حتى توسط له بعض الخيرين، فالتحق بوظيفة مدنية فى دائرة (الحلمية).. وأثناء ذلك تزوج من ابنة مرضعة الأمير (إلهامى باشا)، وهى أخت حرم الخديو توفيق فى الرضاعة، وتوصل بذلك إلى استصدار أمر من الخديو بالعفو عنه، وإعادته إلى الجيش برتبته العسكرية.

ولقد تجمد عرابى فى رتبة قائمقام مدة تسعة عشر عاما، وهى الرتبة التى نالها فى عهد سعيد باشا، ولا يسمح للضباط المصريين بتجاوزها إلى الرتب الأعلى، ولكن يسمح بذلك للضباط الجراكسة.

لكن عرابى رُقى إلى رتبة أميرالاى (لواء) فى يونيو ١٨٧٩، عند تولى توفيق الحكم، وأصدر أمره بذلك وهو فى الإسكندرية، فتوجه عرابى إلى سراى رأس التين لشكر الخديو، وتقديم فروض الولاء، والدعاء له، فشمله الخديو برعايته، وجعله ضمن ياوره، وعينه (أميرالاى) على آلاى المشاة الرابع، الذى كان بضاحية (العباسية) بالقاهرة.. وظل يشغل هذا المنصب حتى نشوب الثورة.

وإذا حللنا شخصية عرابى.. نجد أنه كان - دون منازع - شخصية جذابة لها تأثيرها الواضح على الأفراد والجماعات، فله من هذه الناحية أخص صفات الزعماء، ولولا هذه الموهبة لما استطاع أن يجتذب إليه حب ضباط الجيش، وجمهور الأمة، وينال ثقتهم ويملى عليهم إرادته.. وكانت له - أيضا - موهبة الخطابة والصوت الجهورى المؤثر، وهذه - دون شك - من مزايا الزعماء التى تحببهم إلى نفوس الجماهير.. ولقد كان لخطبه تأثير السحر فى نفوس سامعيه.

على أنه إلى جانب ذلك.. لم يكن على حظ كبير من الكفاءة السياسية وبعد النظر، ومن هنا جاء شططه فى كثير من المواطن، وعدم تقديره للأمور وملابساتها.. وعرابى له العذر فى ذلك، لأنه لم يحظ بنصيب كبير من الثقافة السياسية وأطوارها، فهو لا يعدو أن يكون ضابطا (من تحت السلاح)، لم يتخرج فى المدارس الحربية، ولم يكن ضمن المبعوثين إلى الخارج، وكان من أنصاف المتعلمين، ولم تكن له من العبقرية ما يغنيه عن الدرس والاطلاع والتحصيل، بل كان محدود الذكاء، قليل التحصيل لا يكفى ما حصله ليكون الرأس المدبر للثورات، القادر على تذليل العقبات وحسن التصرف فيما يعرض للبلاد من أحداث وأزمات، وما يحدق بها من مؤامرات وأخطار.. ويضيف عبدالرحمن الرافعى فى كتابه (الحركة القومية) عن عرابى قوله: ومن نقائض شخصية عرابى، أنه كان على جانب كبير من الغرور والاعتداد بالنفس، إذ كان يعتقد فى نفسه القدرة على تصريف الشئون السياسية كلها، ولو أنه عرف قدر نفسه واستعان برجل من معاصريه من المحنكين سياسيا، أمثال (شريف باشا)، لكان من الممكن للثورة

توفيق

١٨٧٩ : ١٨٩٢





داود يكن باشا

◄◄ الخديو توفيق في زيارة لمدينة الأقصر

◀◀ الخديو توفيق وزوجته وأولاده



▲▲ الخديو توفيق فى محطة قطار بنى سويف

العرابية أن تسير فى سبيل النجاح إلى النهاية، وتحقق الأغراض التى قامت من أجلها، وتنقذ البلاد من النهاية المأساوية التى انتهت إليها.. ولكن على العكس من ذلك، عمل عرابى على التخلص من شريف حتى أقصاه عن الوزارة، فخسرت الثورة الرأس المفكر الذى يستطيع تفهم المواقف والملابسات السياسية، ويقود سفينة البلاد إلى بر الأمان.

كذلك من نقائضه إلى جانب الغرور، وعدم كفاءته السياسية.. أنه كان - أيضا - على غير كفاءة عسكرية، لأنه لم يتلق تعليما عسكريا نظاميا، ولم يتمرن على ضروب القتال، ولا خاض غمار الحروب فى ماضيه قبل الثورة، ولا فى حروب الثورة نفسها، فإنه لم يتول خلالها أى قيادة فعلية، بل كان يندب غيره من القواد ليحمل عبئها فى ميادين القتال.. ففى ضرب الإسكندرية لم يباشر الدفاع عن الحصون، ولما انسحب إلى كفر الدوار عهد بقيادة الجيش المرابط بها إلى (طلبة باشا عصمت)، ولما تحرجت الحال فى الجبهة الشرقية، لم يتسلم زمام القيادة فى معركة (القصاصين)، التى كانت أشد معركة نشبت بين المصريين والإنجليز، بل عهد بها إلى الفريق (راشد باشا حسنى) واللواء (على باشا فهمى)، وترك القيادة فى معركة (التل الكبير) إلى (على باشا الروبى)، ولم يقاتل فى هذه المعركة بصفته قائدا، ولكنه قاتل بصفته (مجاهدا).

ومن نواحى الضعف فى شخص عرابى اهتمامه بشخصه، وبذاته، وحياته، يتضح ذلك من إسقاطه لوزارة شريف باشا، وسعيه إلى خلع الخديو توفيق، وموقفه فى معركة التل الكبير، وموقفه خلال محاكمته، وبعد الحكم عليه، فإن الحرص على الحياة كان رائد عرابى فى كل هذه الأحداث.

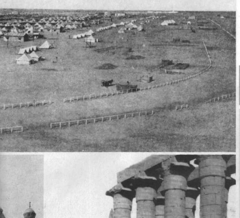
ولقد قام عرابى بالاستسلام بعد معركة التل الكبير، بعد أن رأى أنه لاجدوى من المقاومة، فلم يكن من القوة العسكرية القادرة على الدفاع، ولم يشأ أن يعرض القاهرة لما تعرضت له الإسكندرية من دمار وتخريب.

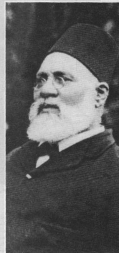
وقد قامت حكومة الخديو بإلقاء القبض على عرابى ورفاقه، وعلى كل من جاءت حوله شبهة الانتماء للعرابيين، ما عدا السيد عبدالله النديم الذى استطاع الهرب والاختباء.

وأصدر الخديو فى ٢٨ سبتمبر ١٨٨٢، أمرا بتأليف المحكمة العسكرية لمحاكمة العرابيين برئاسة (محمد رءوف باشا)، وعدد من خصوم العرابيين ومن المخلصين شخصيا للخديو.

وانعقدت المحكمة يوم ٣ ديسمبر بوزارة الأشغال بقاعة مجلس النواب الساعة التاسعة والنصف صباحا، لمحاكمة







احمد عرابى



▲▲
عائلات جيش الاحتلال في معبد الكرنك

عرابى أولا. فقضت المحكمة عليه الحكم بالإعدام، وتلا عقب صدور الحكم الأمر الخديوى بتغيير حكم الإعدام بالنفى المؤبد خارج البلاد.

ولقد تقرر نفى عرابى إلى جزيرة (سيلان).. وفى ١١ يونيو ١٩٠١، صدر عفو الخديو (عباس حلمى الثانى) عن عرابى.. فبارح الجزيرة وجاء القاهرة أول أكتوبر من نفس العام.. وقد حرص عرابى على تدوين مذكراته التى دونها بخط يده، وجعل عنوانها (كشف الستار عن سر الأسرار) دونها وهو فى المنفى، وذكر أن الفراغ من كتابتها كان يوم ٢٦ يوليو ١٩١٠، الموافق ١٩ رجب ١٣٢٩هـ.

وكانت وفاة عرابى . ليلة القدر . ٢٧ رمضان ١٣٢٩هـ، الموافق ٢٢ سبتمبر عام ١٩١١

البارودى (١٨٤٠ ـ ١٩٠٤)

محمود سامى باشا البارودى، وهو شخصيتان، شخصية أدبية، وشخصية سياسية.

أما شخصيته الأدبية.. فهى شخصية خالدة، إذ هو إمام الشعراء المحدثين دون منازع، وهو باكورة الإعلام فى دولة الشعر الحديث، وهو أول من نهض به وجارى فى نظمه فحول الشعراء الأقدمين، فبعث النهضة الشعرية من سباتها بعد طول رقاد.

أما شخصيته السياسية.. فقد ظهرت على مسرح الأحداث حين شاركت فى حوادث الثورة العرابية، بعد أن ولد عام ١٨٤٠ بأربعين عاما.

وهو محمود سامى، ابن حسن بك حسنى، من ضباط المدفعية فى الجيش المصرى، وحفيد عبدالله الجركسى، أحد الكشاف فى عهد محمد على، وسمى البارودى نسبة إلى بلدة (إيتاى البارود)، التى كانت لأحد أجداده الأمير (مراد البارودى) فى عهد الالتزام.. وقد تلقى العلم أول ما تلقاه على أيدى أساتذة خصوصيين فى سراى والده، المعروفة بسراى



◄◄ القوات الإنجليزية تقيم الخيام فى صحراء العباسية





..ويحتلون القلعة ويتناوبون الحراسة عليها

البارودى بباب الخلق بمدينة القاهرة.. ولما بلغ الثانية عشرة من عمره، انتظم فى المدرسة الحربية، وتخرج فيها عام ١٨٥٥ فى عهد حكم (سعيد باشا).

وذهب البارودى إلى (الأستانة) وتقلد بها إحدى الوظائف، وكان يجيد التركية، وتعمق هناك فى دراسة آدابها، وقال الشعر فيها، ودرس. أيضا . اللغة الفارسية وآدابها، وعاد إلى مصر فى أوائل حكم إسماعيل، والتحق بخدمة الجيش المصرى، ورقى إلى رتبة بكباشى (نقيب)، ثم إلى رتبة قائممقام (عقيد)، فرتبة أميرالاى (لواء).

وشارك البارودى فى حروب ثورة كريت عام ١٨٦٦. وكذلك شارك فى (حرب القرم) مع الجيش الذى أنفذته مصر لمساعدة تركيا فى حربها مع روسيا عام ١٨٧٧، ورقى بعد عودته إلى رتبة (لواء)، وعين مديرا للشرقية عام ١٨٧٩، وكان محافظا للقاهرة حين ألف شريف باشا وزارته الثانية فى أوائل عهد الخديو توفيق، فاختاره فيها وزيرا للمعارف والأوقاف.

ويعد البارودى (رجل الدولة) بين العرابيين، وهو رغم نبوغه اللغوى والأدبى، كانت تنقصه الكفاءة السياسية، والإلمام بخبايا السياسة الدولية، وحقائق المسألة المصرية، وهذا نقص كبير فى مسوغات رجل الدولة.

وكان البارودى طموحا فى السلطة والجاه، فهو حين كان وزيرا للحربية فى وزارة شريف طمحت نفسه إلى رئاسة الوزارة، فانتهز الفرصة (فى أزمة يناير ١٨٨٢)، وأخذ يؤلب العرابيين ضد شريف ويتهمه بالتفريط فى حقوق البلاد، وانتهت الحملة عليه باستقالته وإسناد رئاسة الوزارة إليه.

وأكثر من ذلك.. فقد ظهر ما يدل على طموحه فى الوصول إلى العرش، استنادا إلى أصله النبيل.. وهذا ما أشار إليه عرابى فى مذكراته، وما أبانه الخلاف الحاد بينه وبين الخديو فى مسألة (مؤامرة الضباط الجراكسة).

كذلك.. فإن البارودى رغم نشأته العسكرية، فقد كانت تنقصه الكفاءة الحربية، وقد ظهر ذلك واضحا أثناء ضرب الإنجليز للإسكندرية (١١ يوليو ١٨٨٢)، وتأخره فى نجدة المدينة، ووصوله إليها ليلا بعد انتهاء الضرب، وعاد البارودى حين انسحب عرابى بالجيش من الإسكندرية إلى القاهرة، ولم يشارك فى معارك كفر الدوار، كذلك تخلف عن المشاركة فى معركة (القصاصين) بحجة أنه ضل الطريق بين الصالحية والقصاصين، وأنه وصل بعد الموعد المضروب له.. كذلك لم يشارك فى معركة التل الكبير، بل عاد إلى العاصمة بعد معركة القصاصين.

ولم يقف البارودى . أثناء محاكمة العرابيين . الموقف الذى يتفق وزعامة الثورة، أو شجاعة القائد الحربى، فإنه رغم كونه من أكبر زعماء الحركة العرابية ورئيس وزارة الثورة، فإنه تنصل من تبعات الثورة، وزعم أنه كان مكرها على ما فعل بسبب تهديد ضباط الجيش له، وأنه لم يوقع على قرارات الجمعية العمومية ببقاء عرابى وزيرا للحربية فى وزارته إلا مكرها.. فكان موقفه أثناء المحاكمة، خذلانا للثورة ولزملاء السلاح.

لكن البارودى، راجع نفسه وهو فى المنفى، وندم على ما فرط منه، وأبان ذلك فى أشعاره التى كتبها وهو يقضى فى المنفى سبعة عشر عاما.

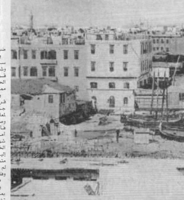
وقد قدم البارودى للمحاكمة مع زعماء الثورة، وفى يوم ٧ ديسمبر ١٨٨٢، اجتمعت المحكمة لمحاكمته هو وزملاؤه طلبة عصمت، وعبدالعال حلمى، وعلى فهمى، فحكمت عليهم جميعا بالإعدام، وتلا رئيس المحكمة أمر الخديو بتعديله إلى النفى المؤبد إلى خارج البلاد، مع تجريدهم من جميع الرتب والألقاب، ومحو أسمائهم من سجلات

مدينة الإسكندرية قبل بناء الكورنيش عام ١٨٩٠



محمود سامى البارودى

عمارات الإسكندرية العريقة فى عهد توفيق



ضباط الجيش المصرى محوا مؤبدا.

وأقام البارودى فى المنفى فى جزيرة سيلان فى حياة ألم وحزن وبؤس وشقاء، واغتراب عن الوطن، وجاءت قريحة البارودى بشعر مؤثر فى الحنين إلى الوطن والحزن على فراقه، مما يعد آية فى البلاغة.

وأصيب البارودى بارتشاح فى قرنيتيه أفقده نور عينيه، وقررت جمعية الأطباء ضرورة عودته لبلده لمعالجته فى المناخ الذى ولد فيه وألفه، وصادق على ذلك حاكم جزيرة سيلان، فأصدر الخديو عباس حلمى الثانى أمرا بعودته إلى مصر، فعاد إليها فى شهر سبتمبر عام ١٩٠٠، وعفا عنه الخديو، ومنحه حقوقه المدنية، ورد إليه أملاكه الموقوفة، وحصل على متجمد ريعها من ديوان الأوقاف، لكنه لم يستعد بصره، وعاش ضريرا حتى وفاته يوم ١٢ ديسمبر عام ١٩٠٤

محمود فهمى (١٨٣٩ . ١٨٩٤)

ولد عام ١٨٣٩ فى قرية (الشنطور) بمركز (ببا) من محافظة بنى سويف.. تخرج فى مدرسة المهندسخانة ببولاق، وتفوق فى الفنون الهندسية والعسكرية، وانتظم فى سلك الجيش، ثم صار أستاذا للاستحكامات والدفاعات العسكرية فى المدارس الحربية على عهدى سعيد وإسماعيل، وعهد إليه الخديو إسماعيل بمهمة تحصين شواطئ مصر الشمالية من أبوقير إلى البرلس، فقام بهذه المهمة خير قيام، وارتقى فهمى فى الرتب العسكرية حتى صار رئيس أركان حرب فى حرب البلقان (١٨٧٦ . ١٨٧٧).

ولما ظهرت الحركة العرابية كان من مؤيديها وناصريها، وتولى وزارة الأشغال فى وزارة البارودى عام ١٨٨٢، واستقال من منصبه مع زملائه احتجاجا على قبول الخديو مطالب دولتى إنجلترا وفرنسا.

ولقد ظهرت كفاءة محمود فهمى فى خطة الدفاع التى وضعها بكفر الدوار، عندما نشبت الحرب مع الإنجليز، فقد كانت من المنعة والحصانة ما استطاعت به من هجوم الإنجليز على تلك الناحية طوال أيام الحرب.. وقد كان من سوء حظ المقاومة أن وقع محمود فهمى فى الأسر فى يد الإنجليز فى الميدان الشرقى، فخسر الجيش بذلك قائدا قديرا فى وضع الخطط وتحصين المواقع.

ولقد نفى محمود فهمى، مع زملائه إلى جزيرة سيلان بعد محاكمته معهم، بعد إخفاق الثورة، وهناك قام بتأليف كتابه، الذى جعل عنوانه: (البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر)، وقد طبع هذا الكتاب بعد وفاته، وقد توفى محمود فهمى فى منفاه بسيلان ليلة ١٧ يوليو ١٨٩٤، الموافق ١٣ من ذى الحجة عام ١٣١١ هجرية.

على فهمى الديب (١٨٨١ . ١٩١١)

هو زميل عرابى وصاحبه يوم واقعة قصر النيل، أول فبراير ١٨٨١، وما كاد يدخل ديوان الوزارة مع زميليه عبدالعال حلمى وأحمد عرابى، حتى صدرت الأوامر بالقبض عليهم، ومحاكمتهم أمام مجلس عسكرى، وعندما شاع نبأ القبض على الضباط الثلاثة وتقديمهم للمحاكمة، زحف (البكباشى) محمد عبيد على رأس جنده إلى قصر النيل، حيث هجموا على ديوان الوزارة، وحطموا أبوابه وأثاثه، وأخرجوا الضباط الثلاثة فى مظاهرة شعبية رائعة.

وقد ظل على فهمى رفيقا لعرابى حتى نهاية الثورة، ويرى الخديو إسماعيل فيه أنه جندى شجاع.. وقد كان على فهى جنديا عاديا، ترقى من تحت السلاح، شأنه فى ذلك شأن عرابى، لم ينل حظا كبيرا من التعليم العسكرى وفنون الحرب والقتال، لكنه أثبت بطولة نادرة فى تاريخ الثورة، فى دفاعه المجيد فى معركة (القصاصين) الثانية التى كان يتولى القيادة فيها، فأدارها كأحسن ما تكون، وصمد ببسالة أمام هجوم الإنجليز.. وقد أصيب على فهمى فى هذه المعركة إصابة بالغة صحبته حتى إنهاء الحرب بهزيمة التل الكبير.

وقد حوكم على فهمى مع زملائه محاكمة عسكرية، وقضت المحكمة الحكم عليه بالإعدام، الذى استبدل به النفى إلى جزيرة «سيلان» إلى الأبد.

وفى ١١ يونيو ١٩٠١ صدر عفو الخديو عباس حلمى الثانى عن على فهمى، فبارح جزيرة «سيلان» فى شهر أغسطس من نفس العام، وجاء إلى القاهرة فى أول سبتمبر، وتوفى بالقاهرة يوم ٢٠ نوفمبر عام ١٩١١

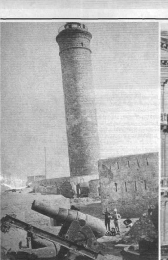
عبدالعال حلمى (١٨٨١ . ١٨٩١)

وهو زميل عرابى، وأحد الضباط الثلاثة الذين كانوا أبطال واقعة قصر النيل (أول فبراير ١٨٨١)، وقد كان أحد زعماء الثورة العرابية، وكان برأس وحدته المرابطة فى مدينة دمياط، وقد شارك فى معركة التل الكبير، وقاد المقاومة بعد الهزيمة، وأصر على مقاتلة الإنجليز، لكنه قام بتسليم نفسه آخر الأمر، وقدم للمحاكمة مع زملائه، وحكم عليه بالإعدام، ثم خفف الحكم إلى النفى المؤبد خارج البلاد، فنفى مع زملائه إلى جزيرة «سيلان» الهندية.. وتوفى حلمى يوم ١٩ مارس عام ١٨٩١ (١٣١٠هـ) بكولومبو، أحد موانى جزيرة «سيلان»، ودفن هناك، ولم يقدر له أن يشمله عفو الخديو عباس حلمى الثانى، فقد عاجله الموت وهو فى المنفى.

محمد عبيد (شهيد معركة التل الكبير ١٣ سبتمبر ١٨٨٢)

هو اللواء (الأميرالاى) محمد عبيد، البطل الذى استحق لقب البطولة لدفاعه المجيد فى معركة التل الكبير واستشهاده فيها.

كان برتبة نقيب (بكباشى) من ضباط الآلاى الأول، وهم آلاى حرس الخديو، قبل



فنارة الإسكندرية عام ١٨٨٢

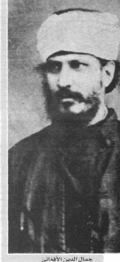








لقطات لميدان المنشية بالإسكندرية بعد دمارها



جمال الدين الأفغانى

نشوب الثورة العرابية.. وهو بطل حادثة قصر النيل التى اندلعت منها شرارة الثورة، ذلك حين اعتقلت وزارة الحربية لعثمان رفقى الأميرالايات الثلاثة عرابى وعلى فهمى وعبدالعال حلمى، ضباط الآلاى الأول فى حكومة رياض باشا، وكان مقر هذا الآلاى فى (قشلاق) عابدين.

وقد قاد محمد عبيد جنوده وزحفوا على قصر النيل لإطلاق سراح زملائهم الثوار.. وقد اعترضه فى هذه الحركة الجريئة رئيسه قائممقام الآلاى (خورشيد بك رسمى)، فلم يكترث لهذا الاعتراض، وأصر على إنفاذ عزمه.

وجاء - أيضا - الفريق (راشد باشا حسنى)، سرياور الخديو، بأمر من الخديو، لكى يمنعه وزملاءه عن الذهاب إلى قصر النيل، فيمتنع.. واستدعاهم الخديو، فلم يستجيبوا.

وقاد البكباشى محمد عبيد جنود الآلاى إلى قصر النيل، حيث كانت وزارة الحربية، حيث كان عرابى وزميلاه معتقلين، ووضع الحصار على الوزارة، وهجم الجند بقيادته، فاقتحموا أبوابها، وأطلقوا سراح الضباط الثلاثة عنوة، وكان هذا اليوم



▲▲ الدمار الشامل فى معظم شوارع الإسكندرية من أثر احتلال مصر عام ١٨٨٢

المشهود أول انتصار للثورة، إذ كان أول نتائجه عزل عثمان رفقى وزير الحربية، وتعيين محمود سامى البارودى مكانه.

وأول ما يرتسم فى الذهن من شخصية محمد عبيد، فى هذا الموقف، شجاعته، ووفاؤه، وقد عرف عرابى له هذه اليد عليه وعلى زميليه، فرقاه إلى رتبة قائممقام ضمن من ترقى من الضباط فى عهد وزارة البارودى، ثم رقى إلى رتبة (أميرالاى)، وظل محافظا على ولائه للثورة حتى كانت معركة التل الكبير.

وفى هذه المعركة قاتل محمد عبيد قتال الأبطال على رأس الآلايين من الجنود حتى قتل معظمهم، وقتل هو معهم، فختم حياته بصفحة مشرفة جعلته بحق آية البطولة فى تاريخ الثورة العرابية.

ومحمد عبيد ينتسب إلى بلدة كفر الزيات، لم يخلف ذرية، وليس له مدفن معروف، ولا يوجد فى منطقة المعركة وميدانها بالتل الكبير أى مدفن له ولزملائه المصريين الذين استشهدوا فى المعركة برغم أن عددهم كان بالآلاف، فى الوقت الذى توجد فيه فى تلك البلدة مقبرة جماعية مشيدة للضباط والجنود البريطانيين الذين صرعهم محمد عبيد وجنوده.

عبد الله النديم (١٨٤٥-١٨٩٦)

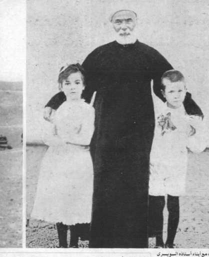
وهو شخصية بارزة من شخصيات الثورة العرابية، عرف بـ"خطيب الوطنية"، اسمه عبدالله النديم بن مصباح بن إبراهيم الإدريسى، وشهرته بـ(النديم)، ولد يوم عيد الأضحى عام ١٢٦١هـ، الموافق ١٠ ديسمبر ١٨٤٥م، بمدينة الإسكندرية، ونشأ الطفل فى قلة من العيش، فى حى المنشية الشعبى المكتظ بأرباب الحرف وأهل الصناعة والتجارة من السكندريين والوافدين عليهم طلبا للرزق.. وما إن شب عبدالله، حتى أرسله أبوه إلى (كتاب) الحى، ثم أدخله المدرسة المعروفة (بمسجد الشيخ إبراهيم باشا)، وكانت فى الإسكندرية تقابل الأزهر بالقاهرة، ومالت نفسه إلى الأدب، وتعلق به، فطالع كتبه، وبلغ من فنونه ما لم يبلغه أحد قبله.. وبدت على النديم، منذ صباه، مخايل الذكاء المفرط وقوة الذاكرة، وظهرت مواهبه فى الترسل فى الكتابة والشعر والزجل، والقدرة على الخطابة، مع خفة فى الروح، وميل إلى الفكاهة، وجرأة وإقدام.

وكانت للنديم مناظرات ومطارحات مع الأدباء أقرانه، وقد اشتد ولعه بالأدب والصحافة والخطابة، ثم بدا له أن يتعلم صناعة يتكسب منها، فتعلم فن التلغراف، ووظف تلغرافيا فى مكتب بنها، ثم نقل إلى مكتب القصر العالى، حيث كانت تسكن السيدة (خوشيار) والدة الخديو إسماعيل، ثم غضب عليه (خليل أغا) صاحب النفوذ فى ذلك العصر، وفصله من عمله، فذهب إلى المنصورة، وحاول الاشتغال بالتجارة، لكنه لم يفلح فيها، ثم ورد إلى طنطا عام ١٨٧٦، ثم عاد إلى الإسكندرية أواخر عهد إسماعيل، وهناك اتصل بطائفة من أهل العلم والفضل من مؤسسى جماعة (مصر الفتاة)، وأخذ يكتب فى صحيفتى (مصر) و(النجاح)، وسعى فى تأسيس جمعية لنشر العلوم وترقية الأفكار، فأسسها جماعة من الأدباء وسموها (الجمعية الخيرية الإسلامية) عام ١٨٧٩، وجعلوه مديرا لها ولمدرستها.

ولما تولى توفيق الحكم.. سعى النديم فى اجتذاب عطفه على الجمعية، فزارها وأعجب بها، وجعلها فى رعاية نجله الأمير عباس حلمى، وكان النديم يدرس فى المدرسة الإنشاء والأدب، ورتبت لها وزارة المعارف إعانة سنوية، وكان يعقد بها الحفلات العامة، فظهرت مواهب النديم الخطابية من ذلك الوقت، وذاعت شهرته بين الناس، وظل يلقى الخطب، ويكتب المقالات فى حض الأهالى على الوئام والاتحاد ونصرة الوطن.

ولما انفصل النديم عن الجمعية الخيرية ومدرستها، أنشأ بالإسكندرية صحيفة أسبوعية أسماها (التنكيت والتبكيت) مزج فيها الجد بالهزل، وظهر أول عدد منها يوم ٦ يونيو ١٨٨١، وخلال ذلك نشأت الثورة العرابية، فانضم إليها، وقد قربه عرابى وزملاؤه إليهم لما رأوا فى قلمه ولسانه أكبر مساعد لهم.

ثم انتقل النديم إلى القاهرة، وغير اسم

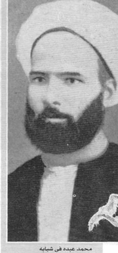


محمد عبده مع أبناء أستاذه السويسرى



توفيق

١٨٧٩ : ١٨٩٢



محمد عبده فى شبابه



تسلق الهرم أمر معروف
أما تسلق أبو الهول فهذا هو الجديد
الصورة التقطت عام ١٨٨٢

جريدته إلى اسم جديد هو (اللطائف).. وقد عرف النديم بلقب (خطيب الثورة العرابية) و(خطيب الشرق).. وصار للنديم منزلة كبرى عند عرابى، وقد أخلص له وللثورة، ولازم عرابى فى كفر الدوار، ثم فى التل الكبير.

وبعد هزيمة التل الكبير.. اختفى النديم نحو تسعة أعوام دون أن تهتدى الحكومة إلى مكانه، وكان آخر اختفاء له ببلدة (الجميزة) مركز (السنطة) فى آخر عهد توفيق، وتم اعتقاله، ثم عفا الخديو عنه مع الأمر بنفيه خارج البلاد، فاختار بلدة (يافا) بفلسطين.

ولما توفى توفيق، وتولى (عباس حلمى الثانى) الحكم، عفا عنه، وأباح له العودة إلى مصر، فعاد إليها، واستأنف جهاده الوطنى ضد الاحتلال، فأنشأ مجلة أسبوعية أسماها (الأستاذ)، ظهر أول عدد منها يوم ٢٣ أغسطس ١٨٩٢، وكانت مجلة علمية اجتماعية فكاهية ذات روح وطنية.. وصار لهذه المجلة تأثير كبير فى الرأى العام.

وقد أدى رواج الصحيفة إلى إيغار صدر (اللورد كرومر)، المعتمد البريطانى فى مصر فعمد إلى تعطيلها، ونفى النديم عن مصر إلى يافا، ومنها ذهب إلى الأستانة، حيث التقى هناك بأستاذه (السيد جمال الدين الأفغانى) المنفى إلى هناك، فتمكنت بينهما الروابط.

وقضى النديم بقية حياته منفيا فى الأستانة حتى مرض بمرض السل،



أبو الهول فى عهد الخديو توفيق

الذى مات بسببه يوم ١١ أكتوبر ١٨٩٦، ودفن بالأستانة بمقبرة يحيى أفندى فى (بشكطاش).

والنديم.. هو الزعيم الوحيد بين العرابيين الذى استمر فى جهاده السياسى ونضاله الوطنى عن مصر فى عهد الاحتلال، وهى ميزة انفرد بها دون بقية الزعماء الذين أثرت فيهم الهزيمة وأطفأت فيهم شعلة الأمل والحماسة والجهاد.

الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥)

لم يكن الشيخ محمد عبده (الأستاذ الإمام) من زعماء الثورة العرابية فى دورها الأول، بل كان من زعمائها المعدودين فى مرحلتها الثانية، فكان علما من أعلامها، ونفى ضمن من نفى من أقطابها.

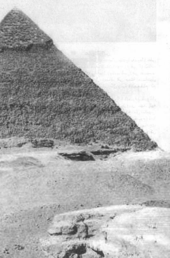
ولد الشيخ فى (محلة نصر)، وهى من قرى (شبراخيت)، بمحافظة البحيرة.. ولد عام ١٨٤٩، من أبوين صالحين، وكان والده مزارعا، له أولاد عدة، كانوا يفلحون معه إلا ابنه محمد الذى توسم فيه الذكاء، فأراد أن يعده من العلماء، فأدخله (كتاب) القرية، وحفظ فيه القرآن الكريم، ثم أرسله إلى الجامع الأحمدى بطنطا عام ١٨٦٣، ليتلقى به العلم، ولبث فيه ثلاثة أعوام، ثم انتقل إلى الجامع الأزهر، فقضى به عامين.

ولما وفد السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر عام ١٨٧٠، وقام بالتدريس فى الأزهر، انضم إلى حلقته، وأخذ عنه علم الكلام والتصوف والأصول وعلوم الرياضة والأخلاق.. وقد قام محمد عبده بنشر مقالاته، وهو لا يزال طالبا فى الأزهر، فى صحف الأهرام ومصر والتجارة، ولما نال شهادة العالمية من الأزهر عام ١٨٧٧، قام بالتدريس فى الأزهر، ثم عين مدرسا فى مدرسة دار العلوم، ومدرسة الألسن، مع استمراره فى التدريس فى الأزهر.

ولقد تولى الشيخ رئاسة تحرير جريدة الوقائع المصرية فى عهد وزارة رياض باشا فى دولة توفيق باشا، الجريدة الرسمية للحكومة.

ولقد انضم محمد عبده لوزارة البارودى.. وصار من ذلك الحين من زعماء الثورة، أى فى مرحلتها الثانية.. ولما فشلت الثورة حوكم ضمن من حوكموا من زعمائها وأنصارها، فحكم عليه بالنفى ثلاث سنوات خارج القطر، فاختار الإقامة فى سوريا، وفى خلال ذلك عاد السيد جمال الدين الأفغانى من منفاه بالهند إلى أوروبا، فاستدعاه واجتمعا فى (باريس)، وهناك أنشأ الاثنان جريدة (العروة الوثقى) لإثارة العالم الإسلامى ضد الإنجليز على إثر احتلالهم مصر.. وصدر أول عدد من هذه الجريدة يوم ١٣ مارس عام ١٨٨٤، ولم يمض على الاحتلال البريطانى لمصر عام ونصف العام، فكانت أول صحيفة قاومت الاحتلال البريطانى، ودعت الأمم الشرقية إلى مناهضة الاستعمار.

عاد الأستاذ إلى




عبد الله النديم

▲▲
ضريح الخديو توفيق

مصر عام ١٨٨٩، وانقطع عن الكفاح السياسى، واختلف فى ذلك وأستاذه الأفغانى، وعين قاضيا بالمحاكم الأهلية، فمستشارا بها، وفى عام ١٨٩٩ تولى منصب مفتى الديار المصرية.. ولقد توفى الإمام عام ١٩٠٥ عن ٥٦ عاما.

طلبة عصمت

وكان من كبار المخلصين لعرابى، لم تكن نشأته نشأة حربية، بل كان موظفا صغيرا بالدائرة السنية حين قامت الثورة العرابية، اتصل بعرابى وزملائه، وأقيل من عمله بسبب ذلك، فازداد تعلقه بالثورة.

التحق بصفوف الجيش فى وزارة البارودى، ورقى إلى رتبة (لواء) فيها، وتولى قيادة موقع الإسكندرية أثناء ضربها، وعهد إليه عرابى بفرقة كفر الدوار، وصمد لقتال الإنجليز، حتى انتهت الحرب، وبعد هزيمة التل الكبير، كان هو وعرابى أول من سلموا للإنجليز، وحكم عليه بالنفى إلى «سيلان»، وعاد إلى مصر فى فبراير ١٩٠٠، وتوفى بها فى نفس العام.

على الروبى

التحق بالجيش جنديا بسيطا على عهد سعيد باشا، وتدرج فى الوظائف حتى صار (بكباشى) فى عهد إسماعيل، وسافر فى حملة إسماعيل إلى الحبشة، ونال رتبة قائممقام، ثم أميرالاى.

انضم إلى الحركة العرابية، ونال رتبة لواء فى وزارة البارودى، عهد إليه قيادة الجيش فى معركة التل الكبير، وحكم عليه بالنفى إلى (مصوع) لمدة عشرين عاما، فقضى بها عامين، اعتلت فيهما صحته، فنقل إلى سواكن بالسودان، وكف هنالك بصره، وتوفى بها يوم ١٩ سبتمبر عام ١٨٩١، ودفن بها، ولا يزال قبره هناك.

يعقوب سامى

من ضباط الجيش، نال رتبة أميرالاى على عهد إسماعيل، عين وكيلا لوزارة الحربية حين تولى عرابى نظارتها، نفى ضمن الزعماء السبعة إلى «سيلان»، وتوفى بها فى أكتوبر عام ١٩٠٠، ودفن فى بلدة كندى بسيلان..! ■■

فى الحلقة المقبلة | عهد الخديو عباس حلمى الثانى

العدد ٨١١ - ٦ يوليو ٢٠٠٥

أبيض وأسود







مصر فى 150 سنة
1805 : 1952


محمد على



ابراهيم


عباس الاول

مصر
فى ظل الاحتلال

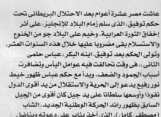
سعيد

اسماعيل

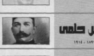



1892 : 1914

توفيق



"عاشت مصر عشرة أعوام بعد الاحتلال البريطانى تحت حكم توفيق، الذى سلم زمام البلاد للإنجليز، على أثر إخفاق الثورة العرابية. وخيم على البلاد جو من الخنوع والاستسلام بقى مضروبا عليها خلال هذه السنوات العشر. وتولى الحكم بعد توفيق، ابنه البكر، «عباس حلمى الثانى»، فى وقت تحالفت فيه عوامل اليأس وتضافرت أسباب الجمود والضعف. وبدأ مع حكم عباس ظهور خيط نور رفيع يدعو إلى الحرية والاستقلال من يد أقوى الدول نفوذا وأوسعها سلطانا على يد جيل كان أقوى من الجيل السابق بظهور رائد الحركة الوطنية الجديد، الشاب (مصطفى كامل). الذى أخذ يثابر على دعوته ويناضل فيها حتى استجابت الامة لندائه، فكانت نهضة، وكانت يقظة، وكانت جهادا."


عباس حلمى
١٨٩٢ : ١٩١٤


حسين كامل

فؤاد الاول


فاروق الاول



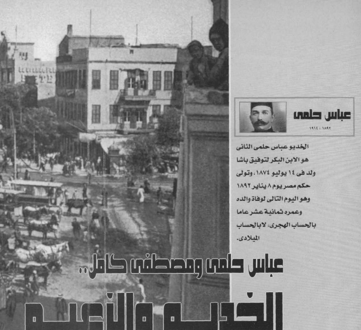
الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :

أ.د. عطية القوصى



الخديو عباس حلمى الثانى



عباس حلمى

١٨٩٢ : ١٩١٤

الخديو عباس حلمى الثانى هو الابن البكر لتوفيق باشا ولد فى ١٤ يوليو ١٨٧٤، وتولى حكم مصر يوم ٨ يناير ١٨٩٢ وهو اليوم التالى لوفاة والده وعمره ثمانية عشر عاما بالحساب الهجرى، لابالحساب الميلادى.

عباس حلمى ومصطفى كامل..

الخديو والزعيم

بلغ عباس وفاة والده وهو فى (فيينا)، عاصمة النمسا، حيث كان يدرس فى كلية (الترزيانوم) التى كان لا يلتحق بها إلا ابناء الملوك والامراء. فبادر الى العودة الى مصر. واتخذت انجلترا من صغر سنة ذريعة لبقاء واستمرار احتلالها مصر، كما كانت تجد لنفسها الذرائع، على الدوام، لتبرير احتلالها بلد تريد استمرار احتلاله. ولقد كتب، وقتها، فى جريدة «الديلى تلغراف» مايفيد ذلك، وجاء نص ماكتب يقول: «لقد اصبحت سلطتنا اكثر ضرورة فى الوقت الذى يجلس فيه على العرش امير شاب ليست له تجارب»

وكتبت جريدة (البول مول جازيت) تقول: «ان ارتقاء الخديو الشاب عرش مصر يجعل بقاء الاحتلال اكثر ضرورة من اى وقت مضى، فلا يجوز، منذ الان، الكلام عن الجلاء عن مصر»

وقالت جريدة (الجلوب): «ان وفاة توفيق قد هدمت اخر حجة عند المصريين للجلاء». وكان الخديو توفيق قد توفى فى قصره بحلوان عن ٤٠ عاما.

ووصل الخديو عباس الى الاسكندرية، ثم الى القاهرة يوم ١٦ يناير عام ١٨٩٢، واخذ يضطلع بمهام الحكم. وكان (مصطفى فهمى باشا) رئيسا للوزارة، منذ اواخر عهد الخديو توفيق. فقدم استقالة الوزارة، اتباعا للعرف الجارى عند تغيير الحاكم. لكن الخديو اقر بقاءها. وبدأ الخديو عباس عهده بالاستمساك بحقوق مصر فى الحكم وادارة البلاد، اول الامر، ومعارضة السيطرة البريطانية الكاملة عليها، والتى كانت فى عهد والده.

ومن الحوادث المهمة فى عهده، ازمة فرمان عام ١٨٩٢، فقد تأخر ورود الفرمان السلطانى المقر باسناد الخديوة المصرية الى عباس الثانى.

ولقد راجت الشائعات حول تأخيره، ثم تبين ان سبب التأخير هو محاولة تركيا تعديل الحدود بين ممتلكاتها ومصر من جهة شبه جزيرة سيناء. وقد أرادت ان تتخلى مصر لها عن ميناء (العقبة)، الذى كان فى الاصل تابعا لولاية الحجاز وصارت تبعيته لمصر منذ ايام محمد على.

وكانت تركيا قد استعادت الميناء عام ١٨٤٠، ثم أعادته لمصر فى عهد الخديو اسماعيل؛ ورخصت لمصر وضع حاميات من الجند لها فى بلاد: الوجه، والمويلح، وضبا، والعقبة، وشبه جزيرة سيناء، لتأمين طريق الحج بالبر، وتأمين وصول المحمل إلى مكة المكرمة.

ولما استعادت تركيا الوجه ومينا والمويلح ارادت استعادة العقبة، فقبل الخديو عباس ذلك، واراد بهذا التساهل ألا يوجد بينه وبين تركيا خلاف فى بداية عهده، مما قد يستفيد منه الاحتلال. فانفرجت ازمة الفرمان مؤقتا، وجاءت الانباء من اسطنبول بأن السلطان قد اعد فرمان التولية بالفعل، وانه عهد به الى المشير (احمد ايوب



▲▲ صورة فوتوغرافية نادرة لميدان العتبة قبل بناء عمارة تورنج وعمارة حلاوة ويظهر فى الميدان موقف عربات السوارس والترام الكهربائى الجديد عام ١٨٩٩

باشا) ان يحضر به إلى مصر.

وبالفعل وصل مندوب السلطان إلى الاسكندرية، ومنها الى القاهرة يوم الاثنين ٤ ابريل ١٨٩٢، اى بعد اكثر من شهرين من ولاية عباس.

واستمرت الازمة قائمة لان الفرمان الواصل من قبل السلطان كانت به صيغة يفهم منها ان تركيا تريد استرداد شبه جزيرة سيناء من تبعية مصر. وبسبب اعتراض بريطانيا على ذلك واصرارها على ضم شبه جزيرة سيناء لمصر فى صيغة الفرمان، انفرجت الازمة، وصدر الفرمان باستمرار شبه جزيرة سيناء تحت ادارة مصر، وتلى الفرمان بذلك يوم الخميس ١٤ ابريل بسراى عابدين.

وكان مصطفى فهمى باشا، يتولى رئاسة الوزارة، حين ولى عباس الثانى الحكم، وهى وزارة موالية وخاضعة للنفوذ الإنجليزى خضوعا تاما فلم يكن مصطفى فهمى يصدر فى اى شىء أو يتصرف فى أى شأن من شئون الحكومة الا عن ارادة السير إفلين بارنج (اللورد كرومر) كما أن الموظفين الإنجليز كانوا هم أصحاب السلطة والإدارة فى وزارات الحكومة ومصالحها وقد ظهر ولاء مصطفى فهمى للإنجليز فى محاولته اقصاء الخديو الجديد عن كل سلطة واعتبار (المعتمد البريطانى) هو الخديو الحقيقى.

وشاءت هذه السياسة الخديو عباس، ووجد ان التعاون بينه وبين رئيس الوزراء بات مستحيلا، فاحتمل بقاءه على رأس الوزارة مدة عام ثم اعتزم اقصاءه عن منصبه بظروف مرضه فأوفد إليه يوم ١٥ يناير ١٨٩٣ محمود شكرى باشا رئيس الديوان الملتركى وأبلغه رغبته فى ان يستقيل مراعاة لصحته لكن فهمى طلب من الخديو ان يتمهل فى الأمر ويستشير فى ذلك اللورد كرومر فزاد ذلك خنق الخديو عليه فما كان منه إلا أن ارسل على الفور له كتابا بإقالته لاعتلال صحته وعهد فى نفس اليوم إلى (حسين فخرى باشا) ناظر الحقانية الأسبق تأليف الوزارة الجديدة فألفها فى اليوم ذاته على النحو التالى:

حسين فخرى باشا لرئاسة الوزارة مع الداخلية وأحمد مظلوم باشا للحقانية وبطرس غالى باشا للمالية، وتيجران باشا للخارجية، ومحمد زكى باشا للأشغال والمعارف ويوسف شهدى باشا للحربية.

كان لهذا التبديل الوزارى دوى كبير فى مصر وفى الدوائر الأجنبية وبخاصة الإنجليزية لأنه تم من غير استشارة اللورد كرومر واطلاعه بل اكتفى الخديو بإبلاغة نبأ تأليف الوزارة بعد أن تم تشكيها وتعيينها بالفعل.

وقد قوبل هذا الانقلاب من المصريين بابتهاج كبير، إذ كانت وزارة مصطفى فهمى مكروهة من الامة بسبب خضوعها لإرادة المحتلين فى الوقت الذى قوبل من اللورد كرومر بالثورة والاحتجاج لأنه كان يعتمد على خضوع مصطفى فهمى وإخلاصه له وانه لم يكن له رأى فى هذا التغيير وان هذا الاجراء من قبل الخديو يعد تمردا منه وخروجا على الحماية المقنعة التى ضربتها انجلترا عن مصر فاعترض على هذا التبديل وأبرق إلى حكومته بما وقع وطلب تعليماتها فى هذا الصدد وفى انتظار منه لهذه التعليمات امر الموظفين البريطانيين فى الحكومة بعدم الاعتراف بالوزارة الجديدة وعدم التعاون معها.

ولما تلقى اللورد كرومر تعليمات حكومته توجه يوم ١٧ يناير ١٨٩٣ إلى سراى عابدين وقابل الخديو وأبلغه صورة البرقية التى وصلته من الخارجية البريطانية بمعارضة الحكومة البريطانية تعيين فخرى باشا ومطالبتها بحقها فى الرقابة على اختيار الوزراء المصريين وأن على الخديو فى حال الامتناع ان يتحمل اخطر العواقب وحدد كرومر للخديو مدة



الخديو عباس والأمير محمد على

الخديو عباس حلمى
مع الأمير عبد الله
أمير شرق الأردن
فى القدس



صورة تاريخية للخديو عباس حلمي الثاني وقد وقف أمام سراي الحاكم العام للسودان عام ١٩٠٢



أربع وعشرين ساعة ليتدبر الأمر.

وانتهت الازمة بحل وسط اتفق عليه الطرفان المصرى والبريطانى وهو ان تستقيل حكومة فخرى، ويعهد لرياض باشا تأليف الوزارة الجديدة.

وتألفت وزارة رياض على النحو التالى: رياض باشا للرئاسة وللداخلية ومحمد زكى باشا للأشغال والمعارف ويوسف شهدى باشا للحربية وتيجران باشا للخارجية، واحمد مظلوم للحقانية وبطرس غالى باشا للمالية.

ولقد كان موقف الخديو فى هذه الأزمة موقفا مشرفا، إذا لم يقبل بقاء وزارة عرفت بالخضوع والولاء لإرادة الاحتلال وبتنفيذ سياسته فأقالها وأستعمل حقه فى تعيين وزارة مستقلة عن سيطرة النفوذ البريطانى، وقد أثار هذا الموقف حماسة الشعب وتأييده والالتفاف حوله.

وحين ذهب الخديو إلى سراى عابدين صبيحة يوم الاربعاء ١٨ يناير ١٨٩٣ أقبلت وفود الأمة من أشراف وعلماء وقضاة وأعضاء مجلس شورى النواب وكبار الموظفين والأعيان والتجار من العاصمة والأقاليم جاءوا يهنئون الخديو على موقفه وقد غصت بهم السراى فاستقبلهم الخديو وشكرهم على عواطفهم واستمرت المقابلات منذ الصباح حتى الساعة الثانية بعد الظهر.

وفى يوم الجمعة ٢٠ يناير، أدى الخديو صلاة الجمعة فى مسجد الإمام الحسين فاستقبله الناس بالحماسة والهتاف واجتمعت الألوف على جانبى الطريق من السكة الجديدة إلى الموسكى إلى العتبة إلى الازبكية، وهتفوا له الهتافات العالية على طول الطريق، وألف طلبة المدارس العالية مظاهرة هتفوافيها له وأيدوه فى موقفه ثم هاجموا مبنى جريدة (المقطم) لنزعتها الاحتلالية وانحيازها إلى اللورد كرومر فى الأزمة.

وفى مساء السبت ٢١ يناير حضر الخديو تمثيل رواية (عايدة) فى الاوبرا، فكانت هناك مظاهرة رائعة شارك فيها الجميع، وهتفوا له هتافا مدويا، ودوى المكان بالتصفيق المتواصل.

ولقد كان لهذه الأحداث رد فعل عنيف لدى الحكومة البريطانية التى اعتبرت إقالة وزارة مصطفى فهمى إهانة كبرى لممثل بريطانيا فى مصر، وقد زادت انجلترا بعد هذه الحوادث عدد جيش الاحتلال فى مصر، استجابة لطلب اللورد كرومر وتأييدا لموقفه.

ولم تكد تنتهى ازمة اقالة وزارة (فهمى) حتى ظهرت ازمة أخرى فى وجه الخديو عباس بينه وبين الإنجليز وتعرف هذه الازمة بأزمة الحدود، ففى يوم ١٨ يناير عام ١٨٩٤ وصل الخديو عباس إلى بلدة (وادى حلفا) بالسودان واستعرض هناك فرقة من فرق الجيش المصرى يتولى قيادتها ضابط بريطانى، وأبدى ملاحظة حول نقص نظام الجنود وسوء تدريبهم وندد بالجيش ونظامه.

وقد اعتبر اللورد (كتشنر) سردار الجيش المصرى ذلك اهانة له وقدم استقالته إلى كرومر الذى سرعان ما أرسل يطلب مشاورة حكومته فى لندن فى هذا الخصوص وقد اعتبرت الحكومة البريطانية ذلك إهانة للقادة الإنجليز ولبريطانيا، وكلفته بالضغط على الخديو لإجباره على الاعتذار للسردار عما بدر منه من ملاحظات وامتداح الضباط الإنجليز، وإقالة (محمد ماهر باشا) وكيل وزارة الحربية المرافق للخديو فى الرحلة، وقد اتخذت الصحف البريطانية لهجة التهديد والوعيد حيال هذه الحادثة واعتبرتها ازمة خطيرة لا حل لها إلا اعتذار الخديو

وكان رياض باشا رئيسا للوزارة آنذاك فبادر إلى نصح الخديو بضرورة الاعتذار والاذعان لمطالب الانجليز.

وانتهت الحادثة باعتذار الخديو للورد كتشنر، مؤكدا ارتياحه للخدمات التى يؤديها الضباط الانجليز للجيش المصرى. ثم قام بابعاد محمد ماهر، وعينه



عباس حلمي

١٨٩٢ - ١٩١٤





مصطفى كامل

عدة لقطات لفترات مختلفة من حياة مصطفى كامل

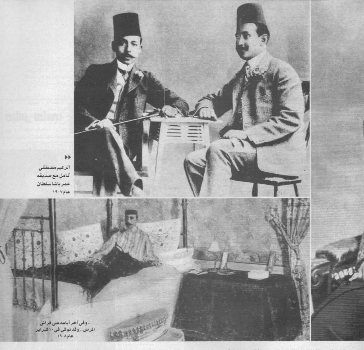
محافظا للقناة. وبذلك تلقى الخديو الشاب صفعة أخرى من صفعات الاحتلال بعد صفعة وزارة مصطفى فهمي.

ولقد اشتد الجفاء بين الخديو ورياض على أثر موقفه من ازمة الحدود واعتقد انه لو وقف موقف الحزم والاخلاص له لما نصحه بهذا الاعتذار المهين. وانتهى الامر باستقالة وزارة رياض باشا وتشكيل وزارة اخرى برئاسة (نوبار باشا) فى ١٦ ابريل ١٨٩٤، على النحو التالى: نوبار باشا رئيس ووزير للداخلية، ومصطفى فهمى للحربية والبحرية، وحسين فخرى للاشغال والمعارف، وبطرس غالى للخارجية، واحمد مظلوم للمالية، وابراهيم فؤاد للحقانية وهى وزارة ذات ميول انجليزية واضحة حيث عين فى عهدها اول مستشار انجليزى للداخلية، كما عين مفتشون إنجليز بتلك الوزارة تضاءلت بجانبهم سلطة مديرى المديريات. كذلك صدر فى عهد هذه الوزارة المرسوم الخديو فى ٢٥ فبراير ١٨٩٥ بانشاء المحكمة المخصوصة لمحاكمة من يتهم بالتعدى على ضباط جيش الاحتلال وجنوده، وهى المحكمة التى كان لها الشأن الكبير فى حادثة دنشواى، كما سيأتى فيما بعد.

وفى ٣ نوفمبر من عام ١٨٩٤، يعين اول مستشار انجليزى للداخلية وهو السير (الدون جورست)، الذى صار عام ١٩٠٧ قنصل بريطانيا العام فى مصر بعد استقالة اللورد كرومر، المندوب السامى البريطانى.

وفى شهر ديسمبر من هذا العام يعود (مصطفى كامل) الى مصر بعد حصوله على شهادة الحقوق من فرنسا، وفى هذه السنة ايضا يصبح كل من سعد زغلول وقاسم امين مستشارا وفى ٢ مارس عام ١٨٩٥ يتوفى الخديو اسماعيل فى منفاه بالأستانة عن ٦٥ عاما، وينقل جثمانه إلى مصر حيث دفن بمدفن العائلة المالكة الملحق بمسجد الامام الرفاعى بالقاهرة.

وكانت حالة الخديو اسماعيل الصحية



الزعيم مصطفى كامل مع صديقه عمر باشا سلطان عام ١٩٠٧

..وفى آخر أيامه على فراش المرض.. وقد توفى فى ١٠ فبراير عام ١٩٠٨

قد سائت فى اوائل عام ١٨٩٥، وارسل إلى حفيده الخديو عباس لكى يأذن له بالعودة إلى مصر مراعاة لصحته وشيخوخته. وكان عباس يميل إلى تحقيق هذه الرغبة، ولكن نوبار رفض ذلك وارتأى ان رجوع اسماعيل من منفاه امر غير مرغوب فيه من جانب قوات الاحتلال. فرفض الموافقة على عودته بحجة ان تلك العودة تخلق لمصر عقبات من جانب الدول التى شاركت فى خلعه. فأسرها عباس فى نفسه، وأخذ المرض يلح على اسماعيل حتى توفى يوم ٢ مارس من ذلك العام.

وقد رغب عباس فى ان يتخلص من وزارة نوبار فى تلك السنة، لكن نوبار كان مؤيدا من سلطات الاحتلال فلم يفكر فى الاستقالة. فأسرها عباس فى نفسه مرة أخرى. واخيرا توصل الى تنفيذ امنية فى اقصاء نوبار، بأن اعلن للورد كرومر عن رغبته فى اعادة مصطفى فهمى باشا، المشهور بولائه للاحتلال الى رئاسة الوزارة.

وكان الخديو قد أخذ، من ذلك الحين، يجنح لمسالمة الاحتلال ويختتم عهد المقاومة واختلاق الازمات مع المحتل الغاصب. فلقيت الفكرة ارتياحا فى نفس اللورد كرومر الذى كان يرغب فى عودة مصطفى فهمى لرئاسة الوزارة

فلما احس نوبار بهذا الموقف قدم استقالته يوم ١١ نوفمبر ١٨٩٥، وألف مصطفى فهمى الوزارة الجديدة فى اليوم التالى. واحتفظ فهمى ببقية الوزراء الذين كانوا فى وزارة نوبار، وأضاف إليهم (محمد العبانى باشا) وزيرا للحربية. وهذه الوزارة هى وزارة الاستسلام التام والولاء المطلق للانجليز، وقد بقيت فى الحكم حتى نوفمبر ١٩٠٨، اى انها دامت ١٣ سنة، كانت خضوعا وتسليما للاحتلال البريطانى. وقد عرفت هذه الوزارة (بالوزارة الطويلة) لانها كانت اطول الوزارات عمرا، واكثرها خضوعا للمحتل البريطانى.

والحوادث التى وقعت فى عهد هذه الوزارة، خلال الثلاثة عشر عاما التى حكمت البلاد خلالها، هى حلقات متصلة مترابطة من التسليم فى حقوق البلاد ومرافقها.

ففى عام ١٨٩٧ يطلب اللورد كرومر تعيين انجليزى (نائبا عموميا) مكان النائب المصرى (حمدالله بك امين)، فأذعن مجلس الوزراء للامر، وعين المستر (كوربت) فى هذا المنصب الخطير. وصارت سلطة النيابة وهيئتها تحت تصرف هذا النائب العمومى البريطانى، كما كانت وزارة الحقانية (العدل) تحت سيطرة المستر (سكوت) المستشار القضائى البريطانى.

وفى عام ١٨٩٨ صدر مرسوم بتأسيس (البنك الاهلى)، وأعطته الحكومة امتياز اصدار اوراق النقد المصرى، فصار بمثابة بنك الحكومة، وهو بنك اهلى شكلا واجنبى فعلا، ومؤسسوه وحملة أسهمه الاولى هم: (السير ارنست كاسل) المالى الانجليزى الشهير، والمسيو (سلفاجو) وشركاه، والخواجة (روفائيل ساويرس) واخوته.

وفى تلك السنة ذاتها قامت هذه الوزارة بعقد صفقة خاسرة، كانت وبالا وخسرانا على مصر. فقد قامت الحكومة ببيع (البواخر الخديوة)بأبخس الاثمان الى شركة (آلين وواندردسبون) الانجليزية.

وبيان ذلك انه كان للحكومة بواخر تعرف ببواخر (البوستة الخديوة)، عددها احدى عشرة باخرة كبيرة، ثلاث منها اشترتها الحكومة حديثا من مصانع انجلترا، وهى: الشرقية، والفيوم، والمحلة، وكانت هذه البواخر قوام الاسطول التجارى المصرى فى البحرين المتوسط والاحمر، والبقية الباقية للبحرية المصرية التى كانت فى قمة ازدهارها فى عهدى محمد على واسماعيل. وكانت هذه السفن تنقل المسافرين والتجار بين مصر وموانى هذين البحرين رافعة فوق صواريها العلم المصرى

الشوارع خالية من المارة .. حيث كان القليل من المصريين يسكنون وسط الصحراء المسماة الآن مصر الجديدة

عباس حلمى

١٨٩٢ : ١٩١٤





إبراهيم الهلباوى المدعى ضد فلاحين دنشواى

الترام يجوب مدينة الأحلام «مصر الجديدة» والصورة هى لشارع عثمان بن عفان بميدان كنيسة البازاليك عام ١٨٠٥





مؤدية مهمتها على أكمل وجه فى مجال نهضة ونشاط الاقتصاد المصري.

وكان يتبع هذه البواخر نشاط أحواض الاسكندرية والسويس فى إصلاح البواخر، ويتبعها ايضا مستودعات المصلحة ومخازنها ومعاملها ومحلات إدارتها، والزوارق التجارية واللنشات.

وقد قدرت قيمة البواخر والملحقات جميعها انذاك بأكثر من ثلاثة ملايين جنيها باعتها الحكومة للشركة الانجليزية بثمن بخس قدره، ١٥٠ الف جنيه. فكانت صفقة خاسرة من جميع الوجوه، لانها اضاعت على البلاد ثروة قومية ضخمة كان من الصعب تعويضها. وقضت على اسطولها التجارى الذى بذلت الملايين فى سبيل انشائه وتكوينه، وانطوت نتيجة هذا الفعل صفحة البحرية المصرية إلى وقت طويل. وقد تم البيع دون مزايدة او اشهار، بل تمت فى الخفاء، وأقر مجلس الوزراء هذه الصفقة الخاسرة دون بحث او تحقيق. وكانت علة الحكومة الظاهرة وراء هذه الصفقة الخاسرة ان مصروفات هذه البواخر تزيد على ايراداتها.

ولقد قضى بهذه الصفقة الخاسرة على اسطول مصر التجارى، كما سبق القضاء على اسطولها الحربى، وظهر الفرق كبيرا بين حالة البلاد البحرية فى عهد الاحتلال وحالتها فى عهد محمد على.

كذلك باعت حكومة الخديو عباس فى هذه السنة (تفاتيش الدائرة السنية)، وكانت املاكها الزراعية تبلغ نحو ٣٠ الف فدان، يتبعها ٩ معامل كبيرة لعصير القصب وتصنيع السكر، باعتها الحكومة إلى شركة (سوارس) مقابل مبلغ ٦ ملايين و٤٠٠ ألف جنيه وهو قيمة الدين الذى كان على الدائرة آنذاك وكانت صفقة خاسرة فيها غبن فاحش على مصر وكسب وربح هائل لرجال المال الأجانب.

وفى عهد وزارة مصطفى فهمى حصلت التجريدة العسكرية على السودان لاستعادته واسترداده من يد الثوار المهديين وتم استرداده ورفعت الراية البريطانية عليه ثم أبرمت (الاتفاقية الثنائية) يوم ١٩ يناير ١٨٩٩ التى بمقتضاها عين اللورد كتشنر حاكما عاما للسودان مع بقائه سردارا للجيش المصرى .. ثم تخلى عن منصبه عام ١٨٩٩ حين اختارته الحكومة البريطانية لقيادة الجيش البريطانى فى (حرب البوير)فصدر الأمر العالى بتعيين السير (ريجنلدونجت) باشا سردارا للجيش المصرى وحاكما عاما للسودان.

وفى يناير عام ١٩٠٠ وقع تمرد فى فرقتين من فرق الجيش المصرى فى السودان على أثر صدور أمر نائب الحاكم العام بتجريد الجيش من سلاحه وذخيرته فأبت الفرقتان إطاعة الأوامر لما فيه من الامتهان لكرامتهما وعدم الثقة فى الجيش.

وقد سجن الضباط المتهمون بالتحريض على التمرد وأحيلوا إلى مجلس تحقيق لمحاكمتهم وانتهت المحاكمة بطرد سبعة من الضباط من خدمة الجيش وتوبيخ الملازمين عثمان عارف ومصطفى محمود الشامى وقد استحضرهم الخديو وعنفهم على ماوقع منهم وأبدى تأييده للسردار (ونجت) باشا.

وفى أواخر عام ١٩٠١ زار الخديو السودان وأقيمت له حفلة ترحيب أمام سراى الحاكم العام حضرها كبار الضباط والموظفين ونخبة من علماء البلاد وأعيانها وألقى السير ونجت باشا سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام خطبة ترحيب بمقدم الخديو ورد عليه الخديو بخطبة تعد فى مجموعها إقرارا لاتفاقية السودان ١٨٩٩ ولنظام الحكم المشترك الانجليزى المصرى للسودان الذى قضت به هذه الاتفاقية.

وفى يوم ٢٧ يناير ١٩٠٦ احتفل اللورد كرومر معتمد انجلترا فى مصر بافتتاح السكة الحديدية التى تصل ميناء بورسودان الذى أنشأته الحكومة الانجليزية بأموال مصر ليكون ميناء السودان على البحر الأحمر بدلا من ميناء سواكن ولم يحضر هذا الاحتفال أحد عن الحكومة المصرية وقد ناب اللورد كرومر عن الخديو فى هذا الاحتفال فكان الاحتفال انجليزيا خالصا تجلت فيه السيطرة الانجليزية فى السودان واستبعدت فيه مصر وحكومتها بشكل مهين.

وفى عهد عباس حلمى الثانى ظهرت شخصية مصطفى كامل الوطنية وقد وجد الخديو فى مصطفى كامل الزعيم الوطنى الشاب الذى استطاع على حداثة سنه أن يحمل علم الجهاد ومحاربة الوجود الأجنبى المستعمر فى البلاد فأعجب بهذه الشخصية النضالية التى وافقت ميوله وآماله فى أوائل حكمه فأمده بالمال والتأييد لبعض الوقت ومن هنا توثقت روابط الود والتعاون بين الخديو والزعيم فى السنوات الأولى من حكم الخديو وبذلك يكون الخديو قد أسهم بماله ونفوذه فى وقت من الأوقات فى الحركة الوطنية.

على أن العلاقة بين الاثنين اعتراها الفتور بعد ذلك ثم التقاطع بسبب عدم ثبات الخديو على مزاج واحد واستماعه إلى الوشايات والدسائس واستجابته إلى ضغوط الانجليز عليه ضد الحركة الوطنية وضد حقوق شعب مصر.

وكانت صلة الخديو قد فترت بالحركة الوطنية وتزعزعت ثقته فيها بعد (حادثة فاشودة)والوفاق الودى بين فرنسا وانجلترا وضعف أمله فى الجلاء.

فأخذ فى التحبب إلى المحتل والنزول على ارادته مما أدى إلى زيادة التباعد بينه وبين مصطفى كامل.

وكان الزعيم يحاول قدر إمكانه عدم وقوع الانقسام بين الأمة والحاكم الأمر الذى يستفيد منه الاحتلال كما استفاد منه حين وقع الخلاف بين توفيق والعرابيين لذلك كان الزعيم يعمل دائما على إيجاد جو التفاهم بين الخديو والأمة ويدعو إلى تعلق الأمة بالعرش على الرغم من اختلاف وجهة النظر بينهما.

عباس حلمى

١٨٩٢ : ١٩١٤







الجيش الانجليزى فى طريقه لقرية دنشواى لتنفيذ الأحكام على الفلاحين

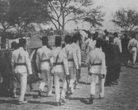


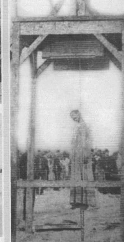
.. والشرطة المصرية تعد المشانق فى نفس موقع الحادث تنفيذا لأمر المحكمة





المتهمون أثناء مثولهم أمام المحكمة





.. أحد الفلاحين الضحايا

جنود الشرطة المصرية يحملون جثث المحكوم عليهم بالإعدام بعد تنفيذ المذبحة

ولم يستطع مصطفى كامل أن يواصل تعاونه مع الخديو الذى أظهر انحيازا تاما بشكل واضح إلى جانب الاحتلال بعد عقد الوفاق الودى فى ابريل ١٩٠٤.

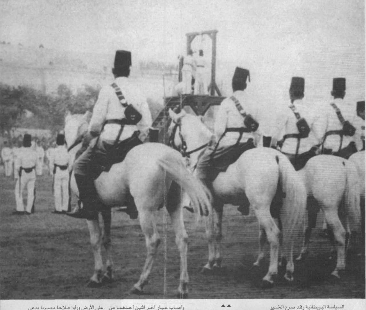
وأعلن الزعيم فى العدد ٢٥ اكتوبر عام ١٩٠٤ من أعداد جريدة (اللواء) لسان الحزب الوطنى أنه اعتزم البعد عن الخديو حتى لايظن أحد أن عليه شيئا من المسئولية فى تعاونه معه فى جهاده السياسى.

ولقد ظهر استقلال مصطفى كامل عن الخديو فى استهجانه احالة (حسن باشا عاصم) رئيس الديوان الخديو إلى المعاش إذ أظهر أسفه على حرمان هذا المنصب السامى من رجل شريف اشتهر بالنزاهة والكفاية مثل حسن عاصم.

كذلك انتقد مصطفى كامل وقوف الخديو تحت العلم البريطانى فى حفل استعراض الجيش الانجليزى بميدان عابدين فى شهر نوفمبر ١٩٠٤.

وكانت آخر مقابلة لمصطفى كامل مع الخديو يوم ٢٧ أغسطس ١٩٠٤ ومن يومها انقطعت علاقته به وقد زاده انقطاعه عنه منزلة ورفعة .

ولما استقال اللورد كرومر فى شهر أبريل ١٩٠٧ وخلفه السير (الدون جورست) اشتد انحياز الخديو إلى



تنفيذ الأحكام على الفلاحين في مذبحة دنشواى عام ١٩٠٦

السياسة البريطانية وقد صرح الخديو لجورست بأنه يرغب فى مشاركته كمعتمد بريطانى فى حكم البلاد حكما مطلقا.

ومن أهم الأحداث التى باعدت بين مصطفى كامل والخديو عباس ومساندته للاحتلال (حادثة دنشواى) يوم ١٣ مايو ١٩٠٦ هذه الحادثة التى كان لها الأثر البالغ فى تطور الحركة الوطنية وفى مركز الاحتلال البريطانى لمصر فهى نهاية عهد استقرار وطمأنينة الاحتلال وبداية القلق والمقاومة والجهاد القومى ضده.

وترجع حادثة دنشواى إلى أن بعض ضباط الاحتلال وبعض الموظفين البريطانيين كانت لهم عادة أن يتجولوا فى بعض قرى الريف المصرى ليصطادوا الطيور ببنادقهم .. وفى يوم الاثنين ١١ يونيو ١٩٠٦ غادرت كتيبة بريطانية تتألف من عدد ١٥٠ جنديا القاهرة متجهة الى الاسكندرية عن طريق البر .. وبعد مسيرة يومين وصلت الكتيبة يوم الأربعاء ١٣ يونيو إلى بلدة (منوف) وعندها توقف خمسة من ضباط الكتيبة وأبلغوا مأمور المركز بأنهم يرغبون صيد الحمام فى قرية دنشواى التابعة لبلدة الشهداء بمركز شبين الكوم والمشهورة بكثرة حمامها.

ولما وصل الضباط الخمسة إلى دانشواى دخل اثنان منهم إلى أجران القمح هناك واتفق أن حمامتين كانتا واقفتين على جرن يمتلكه مؤذن القرية (محمد عبدالنبى) وكان يعمل به أخوه شحاتة فصوب الانجليزى بندقيته على الحمام فأصاب أم محمد زوجة المؤذن فسقطت تتخبط فى دمائها كما أصاب الجرن الذى اشتعلت فيه النار. فهجم شحاتة على الضابط الانجليزى وخطف منه بندقيته وأقبل أهل القرية رجالا ونساء وأطفالا هائجين وهم يصيحون قائلين: «الخواجة قتل المرة وحرق الجرن وأحاطوا بالضباطين».

وجاء بقية الضباط الانجليز لانقاذ زميليهم بينما تكاثرت جموع الأهالى ووصل فى نفس الوقت شيخ الخفر ومعه الخفراء لتفريق الجموع وانقاذ الضباط فتوهم الانجليز أنهم جاءوا يريدون بهم شرا فأطلقوا النار عليهم فأصيب شيخ الخفر فى فخذه وسقط على الأرض وأصاب عيار آخر اثنين أحدهما من الخفراء فصاح الجميع «شيخ الغفر اتقتل .. شيخ الغفر اتقتل» ..

وحملوا على الضباط بالطوب والعصى الغليظة فأصيب قومندان الكتيبة بكسر فى ذراعه وجرح ملازمان بجروح خفيفة وأحاط بهم الخفراء وأخذوا منهم أسلحتهم وحجزوهم فى نقطة البوليس حتى جاء ملاحظ بوليس النقطة وأوصلهم إلى المعسكر.

وقد هرب من مكان الواقعة ضابط يدعى بول وطبيب انجليزى وكان بول قد أصيب إصابة بالغة فى رأسه وأخذ الاثنان يعدوان حتى قطعا نحو ثمانية كيلومترات فى حرارة القيظ إذ كانت الواقعة فى صميم الصيف.

فلم يكد بول يصل سوق (سرسنا) حتى سقط من الاعياء ومات بعد ذلك متأثرا من ضربة الشمس ..

ولما سقط تركه زميله الطبيب وأخذ يعدو حتى وصل إلى معسكر الكتيبة بناحية «كمشوش» على ضفة ترعة الباجورية.

وماكاد نبأ الحادثة يصل إلى بقية جنود الكتيبة الانجليزية فى كمشوش حتى سارعوا إلى سرسنا وظنوا أنها دنشواى وهناك وجدوا ضابطهم ملقى على الأرض ورأوا فلاحا مصريا يدعى سيد أحمد سعيد يقدم ماء إليه حتى ظنوه من الضاربين فقتلوه وهشموا رأسه وذهب دمه هدرا وقد عرف هذا القتيل بشهيد سرسنا.

ولما وصل نبأ هذه الحادثة إلى ولاة الأمور فى القاهرة وعلم بها رجال الاحتلال، وتأكدوا من وفاة (الكابتن بول) وإصابة باقى الضباط، ثارت ثائرتهم وتملكهم الغضب، وصمموا على الانتقام من أهل دنشواى انتقاما ذريعا شنيعا.

وفى ٢٠ يونيو ١٩٠٦، أصدر (بطرس غالى باشا)، وزير الحقانية بالنيابة، قرارا بتشكيل المحكمة المخصوصة لمحاكمة المتهمين فيها برياسة بطرس باشا غالى ذاته، وعضوية كل من المستر (هيئر)، نائب المستشار القضائى، والمستر (بوند) وكيل محكمة الاستئناف الأهلية، والقائمقام (لادلو)، القائم بأعمال المحاماة والقضاء بجيش الاحتلال، وأحمد فتحى زغلول باشا، رئيس محكمة مصر الابتدائية. وأن يكون انعقادها فى شبين الكوم يوم الأحد ٢٤ يونيو، وعين عثمان بك مرتضى، رئيس أقلام وزارة الحقانية سكرتيرا



عباس حلمى

١٨٩٢ ـ ١٩١٤



أحـمـد فـتـحى زغلـول وكـيل وزارة الحقانية والشقيق الأكبر لسعد باشا زغلول .

بناء خزان أسوان عام ١٩٠٨ فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى

للمحكمة، وبلغ عدد من قدمتهم الادارة لمحاكمتهم فى هذه الحادثة ٥٢ متهما، قدموا جميعا مقبوضا عليهم، وتغيب سبعة عن الحضور حُكم عليهم غيابيا.

وقد انعقدت المحكمة المخصوصة بهيئتها يوم الأحد ٢٤ يونيو بسراى مديرية شبين الكوم الساعة العاشرة صباحا، واستمرت المحاكمة منعقدة مدة ثلاثة أيام.

وفى صباح اليوم الرابع (الاربعاء ٢٧ يونيو) صدر حكم المحكمة، على أربعة من المتهمين بالاعدام شنقا وهم: حسن على محفوظ، ويوسف حسن سليم، والسيد عيسى سالم، ومحمد درويش زهران، والحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة على كل من: محمد عبدالنبى، مؤذن القرية، وأحمد عبدالعال محفوظ.

وبالأشغال الشاقة لمدة ١٥ عاما على أحمد محمد السيس، وبالأشغال الشاقة لمدة سبع سنوات على كل من: محمد على أبوسمك، وعبده البقلى، وعلى على شعبان، ومحمد مصطفى محفوظ، ورسلان السيد على، والعيسوى محمد محفوظ، وبالحبس والشغل لمدة سنة على كل من: حسن إسماعيل السيسى، وإبراهيم حسنين السيسى، ومحمد الغباشى السيد على.

والجلد لكل واحد منهم خمسون جلدة، على أن ينفذ الجلد أولا بقرية دنشواى.

كذلك حُكم بالجلد خمسون جلدة بقرية دنشواى على كل من: السيد العوفى، وعزب عمر محفوظ، والسيد سليمان خير الله، وعبدالهادى حسن شاهين، ومحمد أحمد السيسى.. مع تكليف مدير المنوفية بتقفيذ الحكم على الفور.

وكان تنفيذ الحكم بطريقة وحشية

بناء المتحف الإسلامى بميدان باب الخلق عام ١٩٠٥ ..دار المحفوظات حاليا

زادت فظاعة المحاكمة، وكان التنفيذ فى اليوم التالى لصدور الحكم فى المكان الذى مات فيه (الكابتن بول). وفى مثل الساعة التى وقعت فيها الحادثة، فى منتصف الساعة الثانية بعد الظهر.. ونفذ الحكم فى المشنوق علنا على مرأى ومسمع من أهله وذويه وبين صياح النساء ونواحهن، وبقى معلقا، بينما نفذ حكم الجلد فى اثنين، ثم شُنق الثانى بنفس الطريقة، تلاه جلد اثنين آخرين، وهكذا تمت المجزرة.

وكان المؤرخ الكبير (عبدالرحمن الرافعى)، مؤرخ الحركة القومية المصرية، معاصرا لحادثة دنشواى، وقد قرأ ماجاء فى وصف المحاكمة، التى عُقدت للفلاحين الأبرياء على لسان (أحمد حلمى) المحرر وقتئذ بجريدة اللواء.

يقول الرافعى: «وقد كنت حينما وقعت الحادثة طالبا بالسنة الثانية من مدرسة الحقوق، وكنت أطالع نبأها فى اللواء، فأدهش لمخالفة منهج التحقيق والمحاكمة فيها لما كنا نتلقاه من أصول المحاكمات الجنائية التى تقضى بها القوانين، وتساءلت مافائدة ما نتلقاه من الدروس والقواعد القانونية إذا كانت لاتطبق على الناس كافة، ولما قرأت وصف التنفيذ فى اللواء اقشعر بدنى من هول ماقرأت، وأدركت مبلغ هوان المصرى فى نظر الاحتلال، وتحققت ألا كرامة لأمة ولا لأى فرد من ابنائها بغير الاستقلال».

وكان مصطفى كامل فى أوروبا حين صدر حكم المحكمة المخصوصة فى قضية دنشواى، وقد بلغته أنباء المحاكمة والتنفيذ وهو فى باريس، طلبا للاستشفاء، فلم تكد تصله تلك الأنباء حتى ثارت نفسه وتحرك قلبه الكبير للعمل والجهاد، ونهض بكل قوته يسمع العالم صوت مصر ويندد بالظلم الذى وقع على الفلاحين الأبرياء، على يد المحتل الغاشم، ويعلنها حربا شعواء على الاحتلال وسياسته، فكتب فى جريدة (الفيجارو) مقالا كبيرا عرض فيه الحادث على الضمير الإنسانى فى العالم، فكانت من أقوى وأبلغ ماكتب الزعيم بلسان مصر. وقد استطرد فى المقال إلى جهاد المصريين فى سبيل الاستقلال وأظهر ان حادثة دنشواى قد قضت على مزاعم اللورد كرومر فيما كان يروجه من أكاذيب من ان المصريين محبون للاحتلال البريطانى.

ولقد جاءت اقالة اللورد كرومر من منصب المعتمد البريطانى فى مصر نتيجة لهذا المقال، وقد قام مصطفى كامل بعد ذلك، بمغادرة باريس وقصد لندن مستمرا فى نضاله ورفع صوت مصر فى عاصمة الدولة المحتلة لها فوصلها يوم ١٤ يوليو، وفى لندن قابل مصطفى كامل رجال السياسة وأعضاء البرلمان البريطانى والصحفيين وحادثهم عن حادث دنشواى ومطالب المصريين.

وغادر مصطفى كامل لندن صيف ١٩٠٦، وقصد إلى (فيشى) للاستشفاء، ولكن الزعيم لم يخلد للراحة وظل يندد بما وقع فى دنشواى حتى دمعه الأخير. وقد أثمرت جهود مصطفى كامل فى هذا السبيل فنتج عن ذلك: اشتداد ساعد الحركة الوطنية، واهتمام الصحف العالمية بالمسألة المصرية، وتغيير ساسة الاحتلال، فضلا عن إقالة اللورد كرومر، وتأسيس الجامعة المصرية، وتعيين (سعد زغلول باشا) وزيرا للمعارف.

وعاد مصطفى كامل إلى مصر يوم ٧





▲▲ .. وتبيع شركات البواخر المصرية

عباس حلمى

١٨٩٢ : ١٩١٤





بطرس غالى

أكتوبر ١٩٠٧، واستقبله الشعب استقبالا حافلا، وقام بتأسيس (الحزب الوطنى) وعُقدت أول جمعية عمومية له يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧. واشتدت العلة بمصطفى كامل قبل وفاته بثلاثة أشهر ولكنه كان يغالب المرض، إلى أن أسلم الروح فى الساعة الرابعة من عصر يوم الاثنين ١٠ فبراير ١٩٠٨ عن ٣٤ عاما.

وما كاد يُذاع نعيه حتى عم الحزن أرجاء مصر جميعها. فكان له فى كل نفس مناحة وفى كل قلب مأتم، وكانت جنازته يوما مشهودا فى تاريخ الحركة الوطنية. ودُفن الفقيد بمدافن الفقيد بمدافن الإمام الشافعى، وشارك فى جنازته ربع مليون نفس، عدا الألوف الذين كانوا على جانبى طريق الجنازة وفى نوافذ المنازل والفنادق وشرفاتها وفوق أسطحها وفى المنعطفات المترامية الأطراف.

وجملة القول ان الشوارع الواقعة بين دار اللواء وقبر الفقيد كانت العين لاتقع فيها إلا على أجسام متراصة من المشيعين، أو كتعبير (المسيو ريمون كولرا) مدير جريدة (إيجيبت) فى وصف الجنازة: «إن شوارع القاهرة فيما بين دار اللواء وقبره كانت مفروشة بيساط أحمر» إشارة إلى الطرابيش الحمراء التى كانت فوق رءوس المشيعين. ومع اشتداد هذا الزحام الذى لم يسبق له نظير، كان النظام مستتبا والسكون شاملا رهيبا، ولم يكن يُسمع أثناء سير الجنازة سوى بكاء الباكين والباكيات وزفراتهم ونواحهم الصادر من أعماق قلوبهم، وكلهم يبكى شباب الزعيم ووطنيته، فكان هذا الاحتفال الرهيب أعظم وأروع جنازة فى تاريخ مصر الحديث. ولقد رثى الفقيد فى قصائدهم كل من صديقه الحميم والشاعر الكبير إسماعيل صبرى باشا، وشاعر النيل حافظ إبراهيم، وأمير الشعراء أحمد شوقى، والشاعر خليل مطران، والشاعر أحمد محرم.

وكان للزعيم مصطفى كامل أصدقاء وأنصار فى الشرق والغرب، أولهم مدام (جوليت آدم)، فهى التى عرّفته بأقطاب السياسة فى فرنسا وأيدته فى جهاده، ومن كتاب الغرب (بيير لوتى) الأديب الفرنسى الشهير، ومن أصدقائه الشعراء الشاعر اللبنانى الشهير (شكرى غانم)، وكان الزعيم صديقا لـ(طلعت حرب باشا)، رائد النهضة الاقتصادية فى مصر.. وكانت علاقته بالزعيم سعد زغلول علاقة ودية، ثم تحولت إلى موقف انتقاد نزيه وخصومة شريفة تبعا لما اقتضاه الدفاع عن مصالح الوطن العامة. ■■

فى الحلقة المقبلة نواصل إنجازات وإخفاقات عهد عباس حلمى الثانى

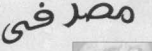
العدد ٨١٢ ـ ١٣ يوليو ٢٠٠٥

أبيض وأسود

مصر فى ١٥٠ سنة

محمد فريد.. زعيما وطنيا لمصر





1952 :1805

سياسة الوفاق بين الخديو والاحتلال

1914 : 1892

"كما كانت الفترة الثانية من حكم عباس حلمى (الثانى) فترة تركيز استعمارى كبرى حاول المحتل الغاصب خلالها تثبيت أقدامه فى البلاد وبذل جهده لوقف مسار الحركة الوطنية التى قادها «زعيم الأمة» مصطفى كامل، فإن الفترة المتبقية من حكم هذا الخديو شهدت ظهور زميل مصطفى كامل فى الكفاح وفى الحركة الوطنية البطل «محمد فريد» فقد تسلم فريد الراية من أخيه ليكمل مسيرة الكفاح ويسير على دربه ويتصدى للمستعمر الجاثم على صدر الوطن ويترصد خطاه."

محمد على
ابراهيم
عباس الاول
سعيد
اسماعيل
توفيق
عباس حلمى
1892 : 1914
حسين كامل
فؤاد الاول
فاروق الاول

الحلقة الرابعة عشرة

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :
أ.د. عطية القوصى



الخديو عباس حلمى الثانى



عباس حلمى

١٨٩٢ : ١٩١٤

رغم تعاون الخديو مع الاحتلال، ورغم استسلامه التام لمقدراته وتسليم مهام الأمور لجلاديه.. فإن هذا لم يرضه، فقامت إنجلترا بعزله عن الحكم وخلعه، وكان فى زيارة (الأستانة)، وتولية (حسين كامل) العرش. وهو أكبر الأمراء من سلالة محمد على وإطلاق لقب (السلطان) عليه.

محمد فريد.. زعيما وطنيا لمصر

وأصدرت انجلترا بيانا تبرر فيه هذا الإجراء، تضمن انحياز عباس حلمى إلى أعداء انجلترا فى الحرب العالمية الأولى، وإعلان أن انجلترا أخذت على عاتقها وحدها مسئولية الدفاع عن مصر.

كان عهد (اللورد كرومر) المعتمد البريطانى فى مصر عهد مشادة مستمرة وخلاف دائم بينه وبين الخديو عباس حلمى الثانى، وكان من نتائج هذا الخلاف مناصرة الخديو للحركة الوطنية. فلم يكن الخديو يكتم تأييده لتلك الحركة وإظهار شعوره بالرضا نحوها، وقد دافع عنها فى حديثه لجريدة فرنسية عام ١٩٠٧، حين اتهم أعداء هذه الحركة بالتعصب الدينى ومعاداة الأجانب.

كتب الخديو فى دفاعه يقول: «لقد أخطأ القائلون بأن المطالب الوطنية قد أخذت شكل حركة عدائية للأجانب وحركة تعصب دينى، وإنى أنكر ذلك بكل قواى. فإن الشعب المصرى شعب طيب بفطرته، نزيه مجد، ومعتدل متسامح، ومتى عومل برقة ورعاية يعرف كيف يجيب عن هذه الثقة».

ولكن موقف الخديو قد تبدل وتغير إلى النقيض بعد إقالة اللورد كرومر فى أبريل ١٩٠٧، وتعيين السير (إلدون جورست) خلفا له، وأخذ التفاهم يبدو من الجانبين، وبدأت من ذلك الوقت سياسة الوفاق بين الخديو والاحتلال.

وظهر تحول الخديو إلى هذا التفاهم فى حديثه مع المستر (ديسى) الذى نشرته جريدة (الديلى تلغراف) فى مايو ١٩٠٧ قبل وفاة الزعيم مصطفى كامل بنحو ثمانية أشهر، إذ نفى عن نفسه تهمة العمل ضد الاحتلال، وذكر اللورد كرومر بالخير، وصرح بأن المعتمد البريطانى لا يستطيع وحده حكم مصر، وأنه مستعد للتعاون معه، وأنه لا فائدة للمصريين من استبدال احتلال باحتلال آخر، وأن الاحتلال البريطانى لمصر أفضل من أى احتلال آخر.

ومعنى هذا الحديث فى مجموعه أن الخديو قد جهر بأنه يرغب فى إشراك المعتمد البريطانى فى حكم البلاد حكما مطلقا، فلم يحجم مصطفى كامل عن أن ينتقد هذا الحديث انتقادا صريحا حازما، رغم صدوره على لسان الخديو المفروض أن يكون الرئيس الأعلى للدولة والحامى لحماها.

وقد ورد على لسان الزعيم فى هذا الصدد قوله: «مما يجب علينا إعلانه والجهر به أمام الملأ كله، أن كل مصرى صادق الوطنية لا يقبل على الإطلاق أن يكون حكم مصر بيد سمو الخديو بمفرده أو بيد المعتمد البريطانى أو بيد الاثنين معا، بل يطلب أن يكون حكم هذا الوطن العزيز بيد النابغين والصادقين من أبنائه، وأن تكون نظامات الحكومة دستورية ونيابية».

وقد استقرت سياسة الوفاق، بين الخديو والاحتلال، بعد وفاة مصطفى كامل إذ قصد الخديو إلى لندن صيف ١٩٠٨، بعد أن مكث مدة طويلة لا يقصدها بسبب الجفاء الذى كان واقعا بينه وبين الحكومة البريطانية.



▲▲ الخديو عباس حلمى فى افتتاح الجامعة المصرية

وكان يصحبه فى هذه الزيارة (بطرس غالى باشا) وزير الخارجية، والذى وضعت على يديه قواعد هذه السياسة.

فتم التفاهم بين الخديو وسلطات الاحتلال، وعاد إلى مصر متنكرا للحركة الوطنية منضما إلى الاحتلال فى مقاومتها.

وقد أبدى عباس استياءه من اتساع دعاية الحزب الوطنى للدستور، واستمراره فى التوقيع على العرائض العامة بطلب المجلس النيابى، لما رأى فى هذه الحركة ما يعارض سياسة الوفاق. وأخذ يتنكر (لمحمد فريد) ذاته، بعد أن كان يتظاهر بارتياحه لانتخابه رئيسا للحزب الوطنى.

ولقد تغير مسلك الخديو عباس، بعد ذلك بإزاء الحركة الوطنية، فلما أيقن (محمد فريد) أن التحالف قد تم بين الخديو والاحتلال لم ير بدا من أن يتصدى لمقاومة القوتين معا، ولم يبال لغضبهما ولا لتحالفهما، وقد برهن ذلك على قوة إيمانه وشجاعته وثباته ومواصلة كفاحه للاستعمار وجهاده ضده وأخذ يكتب مقالات شديدة اللهجة تحت عنوان «ماذا يقولون» عرض فيها بالخديو وسياسته الجديدة، وذكره بأحاديثه القديمة فى النصرة للدستور والحركة الوطنية.

وكان محمد فريد قد تصدى لجهاد الاستعمار ونذر نفسه لتخليص البلاد من الاحتلال، وكان فى المرحلة الأولى من جهاده مؤمنا بالمبدأ الوطنى الذى اتخذه مصطفى كامل أساسا للحركة الوطنية وهو الجلاء، وظل مثابرا عليه مناضلا عنهم مرافقا للزعيم طيلة حياته، لا يقبل فيه ترددا ولا هوادة.

وفى المرحلة الثانية من مراحل جهاده فى عهد الخديو عباس الثانى، هى مرحلة زعامته للحركة الوطنية بعد رحيل مصطفى كامل، إذ كان الزعيم قد رشحه قبل وفاته لهذا الموقع الخطير، وأوصى بانتخابه رئيسا للحزب الوطنى من بعده، فعمل الوطنيون بهذه الوصية وانتخبوه رئيسا للحزب، خلفا لمؤسسه العظيم يوم ١٤ فبراير ١٩٠٨، وكان فريد وكيلا للحزب عند وفاة الزعيم.

وحمل محمد فريد عبء الزعامة بكل ما أوتى من قوة وصبر وشجاعة وإخلاص وتضحية، وخلف فريد الزعيم فى رئاسة تحرير ثلاث صحف كان يصدرها الحزب، وهى جريدة اللواء بالعربية، وجريدة بالفرنسية هى (لى تندار اجبسيان)، وجريدة بالانجليزية هى (إجبشيان ستاندرد).

وكان أول عمل لمحمد فريد عقب وفاة الزعيم، إصدار بيان إلى الأمة تحت عنوان (رثاء الحزب الوطنى لرئيسه فقيد الوطن والشرق)، وقد اجتمعت اللجنة الإدارية للحزب يوم ٢٤ فبراير ١٩٠٨، وقررت المطالبة بإلغاء المحكمة المخصوصة التى تألفت لمحاكمة من يتهم من الأهالى بالتعدى على ضباط وجنود جيش الاحتلال، والتى حاكمت ضحايا حادثة دنشواى، وذلك بمناسبة ذكرى تأسيسها يوم ٢٥ فبراير ١٨٩٥ ورفع محمد فريد هذا الطلب إلى الخديو فى خطاب جاء فيه:

«مولاى، أتشرف بأن أرفع إلى مقامكم السامى أن اللجنة الإدارية للحزب الوطنى كلفتنى فى جلستها المنعقدة بتاريخ أمس أن نلتمس من سموكم باسم الحزب الوطنى إصدار أمركم العالى بنسخ الدكريتو الصادر فى ٢٥ فبراير ١٨٩٥ بتشكيل المحكمة المخصوصة التى لها فى نفوس المصريين ألم وقع، خصوصا بعد حادثة دنشواى المشئومة، حتى يمحى ذكرها ويزول أثرها، وقد شمل عفوكم الباقين من شهدائها على قيد الحياة، فليكن فى إلغائها بعض السلوى والعزاء لأقارب من شنقوا بناء على حكمها فتندمل كلومهم وترتاح نفوسهم، وبكل أدب واحترام أرفع هذا الالتماس إلى مقامكم الرفيع، ومازلت المخلص لعرشكم السامى».

وقد أقام الحزب حفل تأبين للزعيم الراحل مصطفى كامل، فى ذكرى



عباس حلمى



١٨٩٢ : ١٩١٤



الخديو عباس والأمير محمد على

◂◂ التشريفة الخديوية لعباس حلمى فى الإسكندرية



..وموكب الخديو فى شوارع القاهرة

الأربعين لوفاته يوم ٢٠ مارس ١٩٠٨، وفى هذا العام (فى نفس الشهر) اقترح أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى انقاص جيش الاحتلال فى مصر والهند وجنوب أفريقيا. فأجاب اللورد (هلدين)، وزير الحربية بأنه فيما يختص بمصر فالأمر خاضع لرأى وزارة الخارجية التى تعارض فى أى إنقاص، بسبب احتمال وقوع اختلافات جنسية أو دينية فى مصر، مما يستدعى بقاء جيش الاحتلال بها.

وسرعان ما احتج فريد على هذه التصريحات التى تعارض قضية الجلاء، وأرسل، على الفور، يوم ٢١ مارس التلغراف التالى لوزير الحربية البريطانى: "يحتج الحزب الوطنى بشدة" ضد ما ادعيتموه من إمكان حدوث اختلافات جنسية أو دينية فى مصر، ويصرح بأنه لا يخشى أبدا حدوث أمر من هذا القبيل، وأن الأمة كلها متحدة فى طلب الجلاء عن البلاد".

ولقد تجددت مسألة (النصائح البريطانية) فى عهد المعتمد البريطانى (جورست) الذى خلف كرومر، فسأل أحد أعضاء مجلس العموم وزير الخارجية البريطانى فى شهر أبريل من عام ١٩٠٨، عن سلطة المستشارين الانجليز فى مصر، وعن مدى ما يبدونه من نصائح لحكومة الخديو عباس، فأجابه الوزير بأنه فى حالة وقوع خلاف بين المستشارين ووزراء حكومة الخديو، يرجع الأمر فى حسم هذا الخلاف إلى المعتمد البريطانى، الذى يطلب التعليمات اللازمة بدوره من حكومته.

فكتب، على إثر ذلك محمد فريد مقالة طالب فيها الوزراء بتقديم استقالاتهم من مناصبهم احتجاجا على هذه التصريحات، لأنهم حسب رأيه يكونون (نظارا لوزارة) مجرد موظفين انجليز تحت سيطرة المستشارين الأجانب الذين يصدرون لهم الأوامر وما عليهم إلا أن يقوموا بتنفيذها مقابل الراتب الذى يتقاضونه آخر كل شهر.

ومن أجل الأعمال التى قام بها محمد فريد، عقب ولايته الزعامة الوطنية، توجيه الأمة إلى مطالبة الخديو بالدستور، وذلك بمناسبة رد مجلس الوزراء فى وزارة مصطفى فهمى باشا، على ما طلبته الجمعية العمومية، للحزب الوطنى فى شهر مارس ١٩٠٧، من إنشاء المجلس النيابى، وادعاء الحكومة فى ردها بأن الوقت لم يحن بعد لتشكيل مجلس نواب يرجى منه النفع العام الذى ينتظر من المجالس النيابية، والاكتفاء بتوسيع اختصاص مجالس المديريات فى الوقت الحالى.

فكان هذا الجواب إهانة للأمة، واتهاما لها بعدم كفاءتها لممارسة النظام الدستورى، فاعتزم فريد رد هذه الإهانة للحكومة ببعث حركة اجماعية من الأمة للمطالبة بالدستور يتوجه بها إلى الخديو، وبالفعل أعد الحزب الوطنى عرائض لتقديمها إلى الخديو يطلب إنشاء المجلس النيابى للدفاع عن القضية الوطنية، كما كان يفعل الزعيم، فعرج على فرنسا وانجلترا وسويسرا، ونشر المقالات والأحاديث فى الصحف الأوروبية تعريفا للرأى العام الأوروبى، بالمسألة المصرية ودفاعا عنها، والتقى فريد بكثير من رجال السياسة والقلم فى فرنسا، ونشر بينهم الدعاية للحركة الوطنية، وكذلك فى انجلترا التقى بساستها ومفكريها وبين لهم أكاذيب المعتمد البريطانى عن مصر والمصريين. وقد



محمد فريد



تمسك فى حديثه مع هؤلاء وهؤلاء بمبدأ الجلاء الذى كان ينشده فى محادثاته معهم.

وعاد فريد إلى مصر، بعد شهر ونصف الشهر قضاهما فى أوروبا، فى منتصف يوليو ١٩٠٨، وعلى أنه لم يعلن عن موعد مجيئه، فقد قوبل من الشعب مقابلة حماسية رائعة فى محطات البلاد، وأظهرت الأمة له دلائل تقديرها لكفاحه وإعجابها بجهوده المتواصلة فى مصر وأوروبا.

ولقد ألقى فريد عدة خطب حماسية فى مناسبات مختلفة. فألقى خطبة يوم ١٥ أغسطس ١٩٠٨ بمسرح (زيزينيا) بالإسكندرية. وألقى خطبة أخرى فى مسرح عباس يوم ١٤ سبتمبر بمناسبة ذكرى احتلال العاصمة.

وقد قام طلبة الحقوق بمظاهرة كبرى يوم ٩ نوفمبر ضد وقوف الخديو تحت العلم البريطانى فى ميدان عابدين عند استعراض الجيش البريطانى فى الميدان.

محمد فريد حكم عليه بالسجن ستة أشهر لأنه اشترك فى كتابة مقدمة لديوان شعر للغاياتى ويظهر فى الصورة الأولى فى فناء سجن الاستئناف بباب الخلق.. وفى الصورة الثانية تذكرة السجين محمد فريد وفيها بيانات التهمة ونوع العقوبة وسببها ورقم الزنزانة التى حبس فيها وتاريخ الإفراج عنه فى ١٨ يوليو عام ١٩١١

وفى ١١ نوفمبر ١٩٠٨، قدم رئيس الوزراء مصطفى فهمى استقالته ونسبها لاعتلال صحته، فعهد الخديو إلى بطرس غالى باشا تأليف الوزارة الجديدة فى اليوم التالى، ولم يدخل فيها من أعضاء الوزارة السابقة سوى بطرس غالى نفسه وسعد زغلول باشا، ودخلها أربعة وزراء جدد هم: محمد سعيد باشا، وحسين رشدى باشا، وإسماعيل سرى باشا، وأحمد حشمت باشا.. وقد أسند إلى بطرس غالى وزارة الخارجية إلى جانب الرئاسة، وسعد زغلول للمعارف، وحسين رشدى للحقانية ، ومحمد سعيد للداخلية، وإسماعيل سرى للأشغال والحربية والبحرية، وأحمد حشمت للمالية.

وفى ١١ فبراير ١٩٠٩.. كانت الذكرى الأولى لوفاة مصطفى كامل، فوقعت فى ذلك اليوم مظاهرة قومية رائعة تجلى فيها تقدير الشعب للزعيم الراحل وتمسكه بمبادئه.. وأعد الحزب الوطنى موكبا هائلا فى ذلك اليوم تجلت فيه

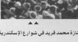


صورة تذكارية نادرة تمثل أول جمعية وطنية مصرية تأسست فى لندن عام ١٩٠٨ وهى تحتفل بزيارة محمد فريد لها



.. ومحمد فريد يتوسط لفيفا من الشباب المتطوع للعمل مع الأتراك عام ١٩٠٩





.. جنازة محمد فريد فى شوارع الإسكندرية

معانى الوفاء والوطنية، وقد سار الموكب من دار اللواء بشارع الدواوين حتى مدفن الزعيم الفقيد، وقد ألقى الشاعر (حافظ إبراهيم) قصيدة رائعة يرثى بها الزعيم، وقد وقف على قبره.

وقد تجدد هذا الموكب فى الذكرى الثانية لوفاة الزعيم يوم ١١ فبراير عام ١٩١٠.. كما أقيمت الاحتفالات بإحياء ذكراه فى كثير من عواصم المديريات والأقاليم.. ولقد صنع تمثال لمصطفى كامل فى فرنسا، وجىء به ونصب فى الميدان المسمى باسمه فى شهر يناير عام ١٩١٤

ولقد اتخذت الوزارة الجديدة موقفا معاديا من الحركة الوطنية، وكان أول سلاح شهرته ضدها لتحقق هذه الغاية، هو تقييد حرية الصحافة، فأصدر مجلس الوزراء يوم ٢٥ مارس ١٩٠٩ قرارا بإعادة العمل بقانون المطبوعات القديم، الذى يقيد حرية الصحافة، والصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ إبان الثورة العرابية، وكان قد بطل العمل به منذ زمن بعيد.. ولقد أرسل محمد فريد احتجاجا إلى الخديو على قرار المجلس، وطالب ببطلانه وإلغائه حتى لا تقوم وزارة الداخلية بمقتضى هذا القرار بتعطيل الصحف أو إلغائها بدون محاكمة.

وفى اليوم التالى.. تخرج أول مظاهرة ضد القانون، ويتجمع عدة آلاف من الطلبة والعمال فى حديقة (الجزيرة)، وألقيت الخطب، ثم سار الجمع فى مظاهرة حاشدة طافت بالشوارع حتى انتهت فى ميدان (الأوبرا).

وتنشر جهريدة (الأهرام) فى اليوم التالى، بيانا باسم (حزب العمال) نحتج فيه على القانون، جاء فيه: (بالنيابة عن حوالى خمسين ألفا من العمال تحتج على ظهور قانون المطبوعات القاتل للحرية، وتطلب إلغاءه فورا، وأن مجلس إدارة الحزب سيعقد اجتماعا عاما بكل العمال، ثم يشكل مظاهرة كبرى سلمية تكون احتجاجا فعليا إذا لم تتدارك الحكومة الأمر وتحترم إرادة وصوت الشعب).

وتستمر المواجهة وتتجدد المظاهرات يوم ٣١ مارس وأول أبريل، ويصطدم البوليس بالأهالى بقيادة حكمدار العاصمة (هارفى باشا)، ويلقى القبض على بعض الطلبة ويحكم على بعضهم بالحبس، كما حكم على الصحفى (أحمد حلمى) بالحبس ستة أشهر بتهمة إهانة الحكومة فى خطبة فى المتظاهرين.

وفى يوم ٢٩ أكتوبر دعا الحزب الوطنى الحكومة إلى استشارة الأمة فى مشروع مد امتياز قناة السويس أربعين سنة أخرى بعد سنة ١٩٦٨، قبل البت فيه.. وكانت حكومة بطرس غالى على وشك الموافقة على المد، لولا حصول محمد فريد على نسخة من المشروع ونشره فى جريدة (اللواء) والاعتراض عليه.. الأمر الذى جعل الحكومة تضطر إلى مناقشة المشروع فى الجمعية العمومية بسبب المعارضة الوطنية الصلبة له بزعامة محمد فريد.

ولقد ذهب محمد فريد إلى (الأستانة). لأول مرة فى حياته. فى أبريل ١٩٠٩، وقد وصلها يوم ١٢ من الشهر نفسه، وفى اليوم التالى وقعت الفتنة الرجعية التى قامت ضد الانقلاب العثمانى، وانتهت بعزل السلطان (عبدالحميد).. وكان أهم ما قام به فريد فى (الأستانة) تعريف أحرار تركيا بمقاصد الحركة الوطنية المصرية، وإحباط مساعى إنجلترا فى حمل تركيا على الاعتراف بمركز الاحتلال فى مصر.. وقد نجح فى مسعاه، إذ امتنعت الحكومة التركية عن هذا الاعتراف.

وقد انتهز محمد فريد

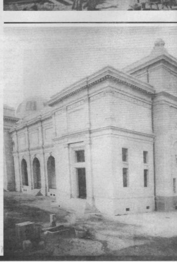


بناء المتحف المصرى للآثار فى ميدان الإسماعيلية «التحرير حاليا» عام ١٩٠٢

حفيظة هانم والدة الزعيم مصطفى كامل

أثناء بناء المتحف المصرى عام ١٩٠٢





فرصة وجود الخديو بالأستانة، فأرسل إليه رسالة رقيقة ناشده فيها إصدار الدستور، وأعرب عن أمله فى أن تنال الأمة دستورها فى عهده.. وعاد فريد إلى مصر فى أوائل أغسطس، ثم سافر فى سبتمبر إلى سويسرا لحضور مؤتمر جنيف.

وفى جنيف، ألقى فريد خطابا فى مؤتمر الشبيبة المصرية فى شهر سبتمبر ١٩٠٩. وقد قرر المؤتمر الذى واصل انعقاده لمدة ثلاثة أيام، الاحتجاج على الاحتلال، والمطالبة بالجلاء والدستور، فنحا بذلك نحو الحزب الوطنى فى مبادئه ومطالبه.

وبعد المؤتمر.. سافر فريد إلى باريس ثم إلى لندن، وعاد إلى مصر فى أكتوبر ١٩٠٩

وفى يوم ٢٠ فبراير عام ١٩١٠ وقع حادث قتل سياسى راح ضحيته بطرس غالى رئيس الوزراء، فقد أطلق عليه الرصاص شاب يدعى (إبراهيم ناصف الوردانى) فأصابه إصابات قضت عليه، وقد قبض على القاتل، واعترف بجريمته، وقد قرر الوردانى أن دافعه للقتل هو ما عده خيانات من تصرفات رئيس الوزراء، وأخصها توقيعه لاتفاقية السودان عام ١٨٩٩، ورئاسة المحكمة المخصوصة فى حادث دنشواى، وإعادة قانون المطبوعات، ثم سعيه إلى تنفيذ مشروع مد امتياز قناة السويس أربعين عاما أخرى.

وقد قدم الوردانى للمحاكمة، أمام محكمة جنايات مصر، وصدر الحكم عليه يوم ١٨ مايو بالإعدام، ورفض الطعن المقدم من محاميه أمام محكمة النقض، ونفذ فيه الحكم.

ولقد عهد الخديو عباس، بعد مقتل بطرس غالى، إلى محمد سعيد باشا، الذى كان وزيرا للداخلية فى وزارة غالى، بتأليف الوزارة الجديدة، فألفها يوم ٢٣ فبراير ١٩١٠، وقد تألفت من أعضاء الوزارة السابقة، ولم يزد عليهم سوى يوسف سابا باشا، الذى أسندت إليه وزارة المالية.

وبالرغم من أن الآمال كانت معقودة على مسايرة الوزارة الجديدة للحركة الوطنية لما عرف عن رئيسها، محمد سعيد، من ميول وطنية، قبل توليه الوزارة، فإن وزارته كانت شرا على الحركة الوطنية، أكثر من شر وزارة بطرس غالى عليها.

وفى شهر مارس ١٩١٠ وقع خلاف على ملكية جريدة (اللواء) بين بعض ورثة المرحوم مصطفى كامل، طرح أمره على القضاء، فعين (يوسف المويلحى) حارسا قضائيا على (اللواء)، وأراد أن يتدخل فى تحريرها وتوجيه سياستها، فرفض محمد فريد ذلك رفضا قاطعا، وأنشأ جريدة أخرى جعل اسمها (العلم) لسان حال الحزب الوطنى بدلا من اسم (اللواء)، ولكن الوزارة حاربت هذه الصحيفة منذ صدورها، وأصدرت فى ٢٠ مارس ١٩١٠ قرارا بإيقافها مدة شهرين، وكان هذا أول قرار اتخذته حكومة محمد سعيد ضد الحركة الوطنية.

ولقد رأى فريد ألا يسكت صوت الحزب الوطنى مدة شهرين، فأصدر فى اليوم التالى لقرار الإيقاف جريدة (الاعتدال)، ثم (الشعب)، ثم (العدل)، ثم (الاعتدال) ثانية، ثم عادت الشعب إلى الظهور يوم ٢٥ مارس إلى أن انتهت مدة إيقاف (العلم)، فعادت (العلم) إلى الظهور فى ٢٠ مايو ١٩١٠

ولقد كان من الطبيعى آنذاك أن تزداد سياسة العداء بين الخديو وفريد، بسبب ازدياد سياسة الوفاق رسوخا بين الخديو والاحتلال.. ولقد جاهر الخديو بعدائه لفريد حين رماه وأنصاره بالتسرع فى حديث له مع المسيو (جان رود) مراسل جريدة (الكان) الباريسية فى أبريل ١٩١٠، وتمجيده فى شخص المعتمد البريطانى (جورست).. فرد محمد فريد فى جريدة (الشعب) على حديث الخديو ردا عنيفا سفه فيه رأى الخديو.. وازداد الجفاء بين الفريقين، وسارت الوزارة فى طريقها معتزمة تأييد (سياسة الوفاق).

وأمعنت الوزارة فى محاربة الحركة الوطنية، ووضعت قانونا يقضى بإحالة تهم الصحافة إلى محكمة الجنايات بعد أن كانت من اختصاص محاكم الجنح، وذلك إرهابا للصحفيين.

كذلك سنت الوزارة قانونا آخر بتعديل بعض نصوص قانون العقوبات لمعاقبة الاتفاقات الجنائية ولو لم يتوافر فيها أركان الاشتراك فى ارتكاب الجريمة، وذلك لما رأته من براءة المتهمين بالاشتراك فى اغتيال بطرس غالى لعدم توافر ركن الاشتراك، وليس من شك فى أن هذا القانون قد وضع لمحاربة الحركة الوطنية وحدها، وهو من التشريعات الاستثنائية الخطيرة، لما فيه من إفساح المجال لتلفيق التهم للأبرياء، والتعسف فى إسناد نيات إجرامية إليهم دون أن يبدو منهم أى عمل ما.

وتناول التعديل ـ أيضا ـ منع نشر المرافعات فى القضايا الجنائية، إذ رأت المحكمة أن فى نشرها بوساطة الصحف إضرارا بالنظام العام، ثم تقرير المسئولية الجنائية على مديرى الصحف بالنسبة لما ينشر فيها، ولو لم تتوافر فيهم أركان الاشتراك الجنائى.

وليس هنالك من شك فى أن صدور هذه التشريعات الرجعية، كان نتيجة لتحالف الخديو والوزارة من ناحية، والاحتلال من ناحية أخرى على الحركة الوطنية، وصدى لحديث الخديو فى الجريدة الفرنسية.

وتدخلت الوزارة ـ أيضا ـ فى التمثيل والمسرح، فمنعت تمثيل الروايات التى وردت فيها ألفاظ الحرية والاستقلال.

وسافر محمد فريد فى أوائل مايو ١٩١٠ إلى أوروبا ليدافع عن القضية المصرية، فكان يلقى خطبه فى باريس، وليون، ولندن، واستوكهلم، وينشر مقالاته وأحاديثه فى صحف تلك البلاد، وشارك فى المؤتمرات الدولية، حتى صارت المسألة المصرية موضع العناية والنقاش فى

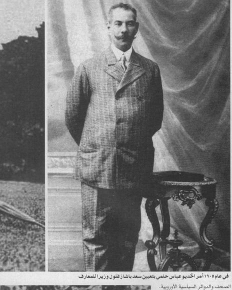


عباس حلمى

١٨٩٢ : ١٩١٤



مصطفى باشا فهمى



فى عام ١٩٠٥ أمر الخديو عباس حلمى بتعيين سعد باشا زغلول وزيرا للمعارف

الصحف والدوائر السياسية الأوروبية.

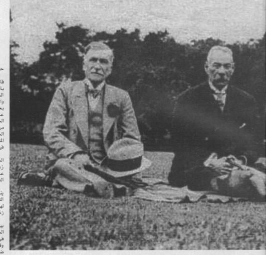
ثم عاد الزعيم إلى مصر، وبلغ الإسكندرية يوم ٢٨ ديسمبر ١٩١٠، بعد أن تنقل فى أوروبا مدة ثمانية أشهر، مجاهدا ومدافعا عن القضية المصرية.

وكانت المكافأة التى أعدتها حكومة الخديو، بعد عودته من أوروبا، هى تقديمه إلى المحاكمة بتهمة كتابته هو والشيخ عبدالعزيز جاويش مقدمة لديوان شعر لأحد محررى اللواء يدعى (على الغاياتى)، وكانت جميع القصائد التى احتواها الكتاب قد سبق نشرها فى حينها، وبرغم أن النيابة لم تجد فيها ما يستدعى المحاكمة، فإن الوزارة، أخذا بقوانين الصحافة الجديدة، وبسياسة الشدة التى انتهجتها حيال الحركة الوطنية أوعزت للنيابة بالتحقيق فيما ورد بالكتاب، فأمرت بمصادرته، وأخذت تحقق مع مؤلفه، وإذ كان فريد، أثناء التحقيق، فى أوروبا يدافع عن قضية مصر، فقد أرجأت التحقيق معه حتى يعود، وأخذت تحقق مع الشيخ جاويش والشيخ الغاياتى، ثم أقامت عليهما الدعوى العمومية بتهمة تحبيذ الجرائم، والتحريض على ارتكابها، وإهانة هيئات الحكومة، وأحالتهما إلى محكمة الجنايات.

وأصدرت المحكمة حكمها على الغاياتى بالحبس سنة مع الشغل، وعلى جاويش بالحبس ثلاثة أشهر مع النفاذ.. ولما قدم محمد فريد للمحاكمة، حكم



سعد زغلول إلى جوار الخديو عباس حلمى الثانى فى أحد الاحتفالات العامة



مصطفى فهمى مع زوج ابنته سعد زغلول

عليه بالسجن ستة أشهر مع النفاذ.

وبعد بضعة أسابيع قضاها الزعيم فى السجن، زاره (عثمان بك غالب) موفدا من قبل الخديو ليعرض عليه مسالة العفو، ورغب إليه أن يقدم للخديو طلبا بذلك.. فرفض الزعيم ولام الدكتور عثمان على مسعاه فى هذا الصدد، وقال له: (أنا لا أطلب العفو، ولا أسمح لأحد من عائلتى بطلبه عنى، وإذا صدر العفو فأنا لا أقبله).

وقضى الزعيم مدة حبسه الطويلة فى سجن الاستئناف بباب الخلق، قضاها صابرا ثابتا، وكان يقطع الوقت بقراءة القرآن الكريم، ومطالعة الكتب، ودراسة اللغة الألمانية.. وقضى فريد الأشهر الستة المحكوم عليه بها، وخرج من السجن يوم الثلاثاء ١٨ يوليو ١٩١١، خرج أقوى ما يكون، ثابتا على الجهاد، وعازما على الكفاح من أجل مصر.

وحدث خلال سجن الزعيم أن تعرضت (سياسة الوفاق) بين الخديو والمندوب السامى البريطانى للتصدع، بعد وفاة (إلدون جورست) المعتمد البريطانى فى ١٢ يوليو ١٩١١، وتعيين اللورد (كتشنر) مكانه، وقد تصرف كتشنر منذ مجيئه إلى مصر تصرف الحاكم المطلق، ولم يبد أى تعاون مع الخديو، وأخذ كتشنر يتولى بنفسه افتتاح المشاريع العامة، ويرأس حفلاتها، ويطوف فى البلاد، ويقابل وفود الأعيان مقابلة الملوك لهم، فكان ذلك إيذانا بانقضاء عهد سياسة الوفاق، وعودة سياسة السيطرة الإنجليزية السافرة، التى كانت سائدة من قبل أيام اللورد كرومر.

وفى ٢٢ مارس ١٩١٢، انعقد المؤتمر الوطنى السنوى للحزب الوطنى، وألقى الزعيم خطبة ضافية عن الحركة الوطنية وتطورها فى العام السابق.. ولم يكد يمضى يومان على خطبة الزعيم، حتى شرعت الحكومة فى تلفيق تهمة له، وتقديمه للمحاكمة، للمرة الثانية، بتهمة التحريض على كراهية الحكومة وازدرائها.. وعقدت الجلسة لمحاكمته يوم الثلاثاء ٣٠ أبريل ١٩١٢، أمام محكمة الجنايات، ومحاكمة كل من إسماعيل حافظ وعلى فهمى كامل، لنشرهما خطبة الزعيم فى جريدتى (العلم) و(اللواء)، وحكم على الزعيم بالحبس لمدة سنة (غيابيا)، وبالحبس ثلاثة أشهر لكل من على وإسماعيل.

ولقد أدرك - خاصة أصدقاء الفقيد - أن نية الحكومة تتجه إلى شل حركة الزعيم وإبقائه رهن السجون بواسطة سلسلة لا تنتهى من المحاكمات، بحيث إذا خرج من سجنه تخلق له تهمة جديدة يسجن ثانية بسببها.. وعلم هؤلاء الأصدقاء عند بدء التحقيق معه يوم الاثنين ٢٥ مارس أنه سيصدر الأمر بالقبض عليه فورا، قبل انتهاء التحقيق، لذا رأوا ضرورة هجرة الزعيم إلى المنفى لإحباط هذه المؤامرة التى دبرها الاحتلال مع الحكومة.

وبالفعل تم تهريب الزعيم إلى خارج البلاد والتجأ إلى الأستانة فوصلها يوم ٣١ مارس ١٩١٢ وقد طابت له الإقامة هناك، أول الأمر، حتى إنه أرسل واستدعى أسرته للإقامة معه فوفدت إليه واستأجر منزلا على البسفور.. لكن هذه الحال لم تدم، فقد تبدل موقف الحكومة التركية منه ومن كل المصريين، فلما أدرك ذلك ارتحل من الاستانة يوم ٢٠ أغسطس إلى باريس بالقطار، ومنها قصد جينيف لحضور مؤتمر السلام هناك وعرض المسألة المصرية.

وقد ساد البلاد بعد نفى الزعيم جو من الإرهاب، تعددت فيه وسائل الضغط وكثرت الوشايات، وسعت الحكومة فى مطاردة رجال الحركة الوطنية وضرب نطاق التجسس حولهم.. وكان مما اتخذته للتنكيل بهم أنها لجأت إلى المحاكمات الرهيبة لتلقى الرعب فى قلوبهم وتبعث الفزع إلى نفوسهم.

وفى ٣١ أغسطس ١٩١٢ تصدر الوزارة قرارا بتعطيل جريدة اللواء نهائيا، وبذلك تنتهى إحدى الحلقات المهمة فى تاريخ الصحافة المصرية لعبت فيها «اللواء» دورا حيويا فى الدفاع عن حقوق مصر والمصريين.

وفى أول يوليو عام ١٩١٣ يصدر قانون إنشاء الجمعية التشريعية، ويعرف باسم "القانون النظامى".. وتحل هذه الجمعية محل مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية، وتتكون من أعضاء بحكم مناصبهم، وهم الوزراء، و ٦٦ عضوا منتخبا، و ١٧ معينين.. وتعين الحكومة رئيس الجمعية وأحد وكيليها من بين الأعضاء المعينين، بينما تنتخب الجمعية الوكيل الآخر من بين الأعضاء المنتخبين.. وكان رأى الجمعية استشاريا فيما عدا مسألة زيادة الضرائب فقط.

وفى ١٣ ديسمبر تجرى انتخابات الجمعية التشريعية، وينتخب (سعد زغلول) عضوا بها عن القاهرة، مع عبدالخالق مدكور، وعبدالرحيم الدمرداش، وحسين واصف.

وتبدأ أحداث عام ١٩١٤، يوم ٢٢ يناير، بافتتاح جلسات الجمعية التشريعية، وتعيين (أحمد مظلوم) رئيسا لها، وعدلى يكن وكيلا.. وفاز سعد زغلول بمنصب الوكيل المنتخب.

وألقى الخديو عباس خطبة الافتتاح.. بينما احتج الحزب الوطنى على انشاء الجمعية لأنها لا تلبى المطالب الشعبية فى الدستور والحكم النيابى الكامل.. وقد نظم الحزب الوطنى مظاهرة ضخمة على طول الطريق بين مقر انعقاد الجمعية فى أول شارع قصر العينى وقصر عابدين، مسكن الخديو ومقر الحكومة.. وهتف المتظاهرون، لحظة مرور ركب الخديو، مطالبين بالدستور.

وفى يوم ٣٠ مارس ١٩١٤، يقام احتفال بوضع حجر أساس الجامعة المصرية على مساحة ٦٠٠ فدان تبرعت بها لبناء الجامعة الأميرة (فاطمة) ابنة الخديو اسماعيل، وقد تعطل البناء لبعض الوقت بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى فى نفس العام.

ولقد قدم محمد سعيد باشا استقالة وزارته إلى الخديو يوم الجمعة ٣ أبريل عام ١٩١٤، وترجع أسباب هذه الاستقالة إلى أن الخديو نقم على سعيد باشا انحيازه التام إلى المعتمد البريطانى (اللورد كتشنر) ومسايرته له فى سلطانه المطلق الذى استحوذ عليه، حتى صار الحاكم بأمره فى مصر.. وانزوى الخديو فى قصره بعيدا عن كل سلطة.. ولم يكن سعيد باشا يطلعه على أوامر اللورد كتشنر ونواهيه، بل كان يعمل بها دون الرجوع إليه.. وبلغ الخديو عنه أنه ذكر فى مجالسه الخاصة أن مركزه لا يستند إلى رضا الخديو بل على رضا المعتمد البريطانى، فحنق عليه.. وجاءت حادثة سكة حديد مريوط التى كان يملكها الخديو وبيعها بسعر بخس، سببا لزيادة حنقه على سعيد.. فأخذ الخديو يعمل على





دخول الترام إلى مصر عام ١٨٩٨

إسقاطه واتفق مع اللورد كتشنر على إحلال مصطفى فهمى باشا مكانه.. والخديو يعلم أن فهمى عميل للإنجليز وتعيينه يرضى المعتمد البريطانى فوافقه على ذلك.. وقد اعتذر فهمى عن عدم تولى رئاسة الوزارة لاعتلال صحته فاختار الخديو (حسين رشدى باشا) لرئاستها، ووافق كتشنر على ذلك.. وتم تأليف وزارة رشدى يوم ٥ أبريل على النحو التالى: حسين رشدى للرئاسة والداخلية، وإسماعيل سرى باشا للأشغال والحربية والبحرية، وأحمد حلمى باشا للمعارف، ويوسف وهبة باشا للمالية، ومحمد محب باشا للأوقاف، وعدلى يكن باشا للخارجية، وعبدالخالق ثروت باشا للحقانية، واسماعيل صدقى باشا للزراعة.. وقد عد سقوط وزارة محمد سعيد مهارة سياسية من الخديو.

وقام الخديو على إثر ذلك بجولة فى محافظات الوجه البحرى، ليسترد شيئا من نفوذه الذى فقده بانزوائه فى قصره وتركه سلطة الأمر والنهى للورد كتشنر.. فكانت هذه السياحة سلسلة من الحفلات والمظاهرات التى أقيمت لشخصه لتقوية نفوذه الأدبى فى البلاد.

وقصد الخديو إلى استانبول فى صيف ١٩١٤، لزيارة السلطان محمد رشاد، وبينما هو خارج من مبنى رياسة الوزراء، عقب زيارته للصدر الأعظم يوم ٢٥ يوليو، أطلق عليه شاب مصرى يدعى محمود مظهر، يدرس بمدرسة البحرية العثمانية، وهو ابن أحمد بك مظهر، رئيس محكمة بنى سويف، أطلق عليه أربع رصاصات أصابت ذراعه وساعده الأيسر، وخده الأيسر، وأصيب بذلك إصابات بليغة ظل يعالج منها حتى شفى من جراحه فى منتصف سبتمبر. وقد أطلق البوليس التركى

خط الترام من العتبة إلى ميدان المحطة



.. ودخول الترام مدينة السويس



اللورد كرومر

الترام فى ميدان العتبة.. كان الإقبال عليه ضعيفا بسبب الخوف من الكهرباء

النار على الطالب فأرداه قتيلا، وقد قيل إن البوليس التركى كان على علم بالجريمة قبل أن ترتكب فأجهز على القاتل لكى يدفن سره معه.. وقيل إنه كان للصدر الأعظم التركى (رئيس الوزراء) الأمير سعيد حليم يد فى الجريمة لأنه كان يطمع فى عرش مصر بعد الخديو.. ولكن الحقيقة طمست بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى فى أعقاب الحادثة.

وكان محمد فريد فى جنيف حين أعلنت الحرب بين إنجلترا وألمانيا فى شهر أغسطس عام ١٩١٤ وكان الخديو عباس يسعى لمصالحة فريد، وأوفد إليه رسله لهذه الغاية.. فلما أعلنت الحرب جدد هذا المسعى فقبل فريد الصلح معه على أساس إعلانه الدستور للبلاد.. وأرسل فريد للخديو، وهو يعالج باستانبول، خطابا فى ٢٢ أغسطس يهنئه فيه بنجاته من حادث الاعتداء، وينصحه بمنح الأمة الدستور.. ثم قصد استانبول، والتقى به هناك، وتم الصلح بينهما على هذا الأساس، ووعد الخديو باصدار مرسوم يعلن فيه الدستور بمجرد اكتمال شفائه وعودته إلى مصر.. وقد أبدى الخديو لخاصة رجاله اغتباطه بالصلح مع فريد، وامتدحه فى حديثه معهم، ومما قاله عنه: "إنه رجل مبادئ لا يتغير مهما قاسى فى سبيل الحفاظ على مبادئه".

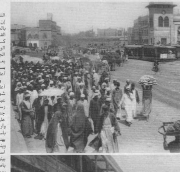
وفى ١١ نوفمبر ١٩١٤، أصدر الخديو عباس منشورا إلى الأمة المصرية باعلان الدستور الكامل فى مصر، وكان يسعى بذلك للصلح مع الحركة الوطنية ومواجهة نفوذ الانجليز.. وقد انتهز فرصة نشوب الحرب وانشغال الانجليز فيها، فأقدم على هذه الخطوة التى عجلت بخلعه عن العرش.

وقد اضطربت الأحوال فى مصر اضطرابا كبيرا بسبب نشوب الحرب العالمية، وقد وقفت الحكومة، بتأثير وجود الاحتلال البريطانى، مع الدول المتحارية موقف المستعمرات البريطانية، مما كان له وقع أليم فى نفوس الوطنيين.

وأول عمل اتخذته فى هذا الصدد القرار الذى أصدره مجلس الوزراء فى ٥ أغسطس ١٩١٤، بشأن الدفاع عن القطر المصرى أثناء الحرب القائمة بين ألمانيا وبريطانيا العظمى.. ويحتوى هذا القرار على أمر منع التعامل مع ألمانيا ورعاياها، والأشخاص المقيمين فيها ومنع السفن المصرية من الاتصال بأى ميناء ألمانى، وحظر التصدير إلى ألمانيا، وتخويل القوات البريطانية الحربية والبحرية حقوق الحرب فى الأراضى والموانى المصرية، وحجز السفن الألمانية فى موانى مصر.

وأعلن الجنرال (مكسويل)، قائد جيش الاحتلال فى مصر، الأحكام العرفية فيها بموجب القرار الذى أصدره يوم ٢ نوفمبر ١٩١٤ ووضعت الرقابة على الصحف كنتيجة لإعلان الأحكام العرفية.

وفى ١٨ ديسمبر أعلنت انجلترا حمايتها على مصر، ونشرت (الوقائع المصرية) فى اليوم نفسه إعلان الحماية، وهذا نصه: "اعلان بوضع بلاد مصر تحت حماية بريطانيا العظمى"، "يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر إلى حالة الحرب التى سببها عمل تركيا قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته، وأصبحت من الآن فصاعدا من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية، وبذلك قد زالت سيادة تركيا على مصر.. وستتخذ

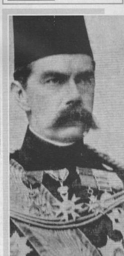








بناء كوبرى الانجليز فى عصر عباس حلمى، كوبرى الجلاء حاليا.



اللورد كتشنر



..وبناء كوبرى شبرا الذى تم هدمه فيما بعد وحل محله نفق شبرا

حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها ومصالحها" (القاهرة فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤).

وفى اليوم التالى (١٩ ديسمبر ١٩١٤) أعلنت الحكومة البريطانية خلع الخديو عباس حلمى الثانى وتولية الأمير (السلطان) (حسين كامل) عرش مصر، ونشر إعلان ذلك فى العدد ١٩ لشهر ديسمبر عام ١٩١٤، وهذا نصه: إعلان بخلع سمو عباس حلمى باشا عن منصب الخديوية وارتقاء صاحب العظمة السلطان حسين كامل على عرش السلطنة المصرية".

"يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر لإقدام سمو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق على الانضمام لأعداء الملك، فقد رأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوية.. وقد عرض هذا المنصب السامى مع لقب سلطان مصر على سمو الأمير حسين كامل، أكبر الأمراء الموجودين من سلالة محمد على فقبله" (القاهرة فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤).. ولقد تلقى الخديو عباس خبر هذا الخلع، وهو لايزال يعالج فى الأستانة، وقد عاش الخديو عباس بقية حياته فى المنفى قرابة ثلاثين عاما، إذ جاءت وفاته عام ١٩٤٤ بجنيف.. وقد دون الخديو عباس مذكرات مطولة، قبل وفاته، عن حياته وسنى حكمه، وقد نشرت صحيفة (المصرى) فصولا منها عام ١٩٥١.

وكما قدر للخديو عباس أن يموت فى المنفى، قدر أيضا للزعيم محمد فريد أن يموت فى المنفى، فقد توفى يوم ١٥ نوفمبر ١٩١٩ فى مدينة برلين بألمانيا، بعد سبع سنوات قضاها فى المنفى بعيدا عن الوطن.. وسارت جنازته إلى مقبرة المسلمين ببرلين، وهناك حفظ التابوت الذى به جثمانه بكنيسة بالقرب من المقبرة لكى ينقل إلى مصر، ووضع بجوار جثمان الأمير محمد عبدالقادر، نجل الخديو عباس، وبقى التابوت وديعة لدى حارس الكنيسة إلى أن نقل إلى مصر فى يونيو ١٩٢٠.. وبوفاة محمد فريد تطوى صفحة مجيدة ناصعة من تاريخ مصر. ■■

فى الحلقة المقبلة عهد السلطان حسين كامل

أبيض وأسود
العدد ٨١٣ - ٢٠ يوليو ٢٠٠٥

مصر فى ١٥٠ سنة

نجل السلطان حسين يرفض التوريث



مصر فى 150 سنة
1805 : 1952

السلطان حسين كامل
رجل الانجليز

1914 : 1917

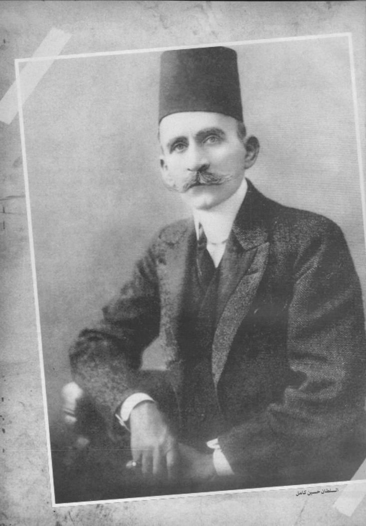
محمد على
ابراهيم
عباس الاول
سعيد
اسماعيل
توفيق
عباس حلمى
حسين كامل
1914 : 1917
فؤاد الاول
فاروق الاول

"فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ تعلن الحماية البريطانية على مصر، وتزول رسميا السيادة التركية عليها، بعد أن استمرت تلك السيادة اسمية منذ عام ١٨٨٢.. وفى اليوم التالى تعلن إنجلترا خلع عباس حلمى (الثانى) من حكم مصر، وتولية (حسين كامل)، وهو أكبر الأمراء من سلالة محمد على، وإطلاق لقب (السلطان) عليه.. وأصدرت إنجلترا بيانا تبرر فيه هذا الإجراء، تضمن انحياز عباس حلمى إلى أعداء إنجلترا عند نشوب الحرب العالمية الاولى بين إنجلترا وفرنسا من جانب وألمانيا وتركيا من جانب آخر، واعلان إنجلترا أنها أخذت على عاتقها وحدها مسئولية الدفاع عن مصر وأن سيادة تركيا عليها قد زالت.. ولم تطل مدة حكم السلطان، فمات والعالم كله فى حرب عالمية، ومصر تستعد لثورة شعبية كبرى هى ثورة ١٩١٩."

الحلقة
الخامسة عشرة

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :
أ.د. عطية القوصى



السلطان حسين كامل





حسين كامل

١٩١٤ : ١٩١٧

شاءت إرادة الله أن يكون عرش مصر من نصيب أكبر أبناء الخديو إسماعيل، من أسرة محمد على، وهو حسين كامل إسماعيل، الذى صار هو المرشح للعرش ووليا للعهد بعد وفاة الخديو عباس حلمى الثانى.

نجل السلطان يرفض التوريث

كان عباس حلمى قد تم خلعه عن العرش عام ١٩١٤، فاختارت انجلترا حسين كامل حاكما على مصر فى ظل اعلان حمايتها عليها، وكان المستحق للعرش (الامير محمد فهمى) شقيق الخديو اسماعيل، لو كان حيا، لكن المنية وافته وهو صغير فصار حسين كامل هو اكبر ابناء عائلة محمد على المستحق للعرش.

وكان الامير محمد فهمى بدين الجسم، وفى يوم كان عائدا من الاسكندرية فى القطار، وعند كوبرى كفر الزيات طلب ايقاف القطار لخوفه من مسير هذا القطار على الكوبرى، وطلب فصل العربة التى كانت تقله لكى يسحبها رجال الحاشية الخديوية بالحبال، واثناء سحب العربة وهى فى منتصف الكوبرى ينقطع الحبل الذى كانت تجر به وتسقط العربة من فوق الكوبرى فى الماء، فيغرق فهمى ويلقى حتفه، وبذلك تختص العناية الإلهية حسين كامل، أكبر ابناء الخديو بولاية العهد، ثم بالسلطنة.

وقد اعلنت الحكومة البريطانية هذا الامر ونشرته فى الوقائع المصرية بالنص الآتى :

«إعلان بخلع سمو عباس حلمى باشا عن منصب الخديوية وارتقاء صاحب العظمة السلطان حسين كامل على عرش السلطنة المصرية».

«يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى انه بالنظر لإقدام سمو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق على الانضمام لأعداء الملك، فقد رأت حكومة جلالته خلعه عن منصب الخديوية، وقد عرض هذا المنصب السامى مع لقب سلطان مصر على سمو الامير حسين كامل اكبر الامراء الموجودين من سلالة محمد على فقبله».. القاهرة فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤.

وفى نفس اليوم الذى قبل فيه الامير حسين كامل العرش، وجهت إليه الحكومة البريطانية تبليغا على لسان السير «مالن شيتهام» القائم بأعمال المعتمد البريطانى اوضحت فيه الاسباب التى ادت الى إحداث هذا الانقلاب، وحددت النظام الذى فرضته على البلاد فى عهد الحماية، جاء فيه :

«يا صاحب السمو.. كلفنى ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أن اخبر سموكم بالظروف التى سببت نشوب الحرب بين جلالته وبين سلطان تركيا، وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير فى مركز مصر، ولدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على أن سمو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق قد



▲▲ الجيش الأسترالى عند الهرم

انضم انضماما فعليا الى أعداء جلالته منذ نشوب الحرب مع ألمانيا، وبذلك تكون الحقوق التى كانت لسلطان تركيا وللخديو السابق على بلاد مصر سقطت عنهما وآلت الى جلالته..

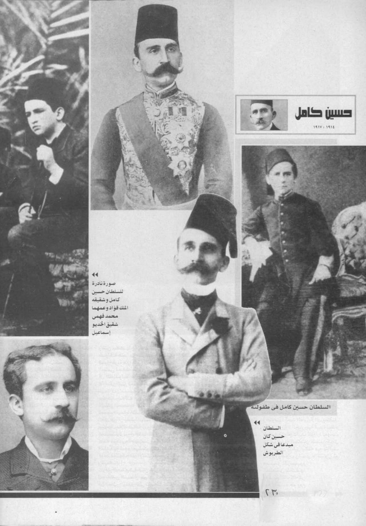
وقد رأت حكومة جلالته أن أفضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بالمسئولية التى عليها نحو مصر ان تعلن الحماية البريطانية اعلانا صريحا، وأن تكون البلاد تحت هذه الحماية بين أمير من امراء العائلة الخديوية طبقا لنظام وراثى يقرر فيما بعد.

بناء عليه قد كلفتنى حكومة جلالة الملك أن ابلغ سموكم أنه بالنظر لسن سموكم وخبرتكم، فقد رئى فى سموكم أكثر الامراء من سلالة محمد على أهلية لتقلد منصب الخديوية مع لقب «سلطان مصر» وانني مكلف بأن أؤكد لسموكم صراحة عند عرضى على سموكم قبول عبء هذا المنصب أن بريطانيا العظمى اخذت على عاتقها وحدها كل المسئولية فى دفع أى تعد على الأراضى التى تحت حكم سموكم، مهما كان مصدره، فقد فوضت لى حكومة جلالته ان اصرح بأنه بعد اعلان الحماية البريطانية يكون لجميع الرعايا المصريين أينما كانوا الحق فى أن يكونوا مشمولين بحماية حكومة جلالة الملك، وبزوال السيادة العثمانية تزول ايضا القيود التى كانت موضوعة بمقتضى الفرمانات العثمانية لعدد جيشكم وللحق الذى لسموكم فى الإنعام بالرتب والنياشين».

وفى الحقيقة فإن هذا التبليغ البريطانى للسلطان حسين كامل هو من اخطر الوثائق التى تضرب مثلا فى نقض العهود والمواثيق وسلب الشعوب حقوقها فى الاستقلال والدستور.

ولقد قوبل هذا التبليغ من الشعب بالسخط والألم، كما قوبل اعتلاء السلطان حسين كامل عرش مصر على أساس هذا التبليغ بالدهشة والمرارة، إذ رأى الشعب فى تنصيبه سلطانا على مصر بمجرد خطاب موجه إليه من المعتمد البريطانى اول مظهر للحماية الاجنبية الفعلية، واول مظهر من مظاهر ضياع الاستقلال، وتاكيد الاحتلال وترسيخه. وادرك الشعب بفطرته السليمة، أن السلطان الذى تعينه دولة محتلة لا يمثل سيادة مصر بل يمثل سيادة هذه الدولة المحتلة، ومن ثم يكون تعيينه بهذه الطريقة اهدارا للاستقلال وامتهانا لكرامة الامة والعرش والبلاد جميعا.

وفى نفس اليوم الذى اعلنت فيه الحماية على مصر، وهو نفس اليوم الذى خلع فيه الخديو عباس حلمى الثانى وتولى الحكم السلطان حسين كامل.ابن الخديو اسماعيل، وهو يوم ١٩ ديسمبر ١٩١٤ تألفت وزارة (حسين رشدى باشا) التى كانت تتولى الحكم من قبل، وبقى الوزراء فى الوزارة الجديدة، مع تعديل يسير فى مناصبهم، وتغيير خطير فى نظام الحكم، إذ صارت البلاد وحكومتها تحت الحماية البريطانية، وألغيت وزارة الخارجية تبعا لنظام الحماية، وتم تاليف الوزارة بموجب كتاب أرسله السلطان حسين كامل إلى حسين رشدى يكلفه فيه بتأليف الوزارة وجواب رشدى بالقبول، ثم صدر المرسوم السلطانى بتاليفها وقد تم ذلك كله فى يوم واحد هو يوم



صورة نادرة للسلطان حسين كامل وشقيقه الملك فؤاد وعمهما محمد فهمى شقيق الخديو إسماعيل

السلطان حسين كامل فى طفولته

السلطان حسين كان مبدعا فى شكل الطربوش

السلطان حسين كامل وسعد زغلول أثناء زيارة السلطان لوزارة المعارف عام ١٩١٥





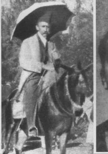
١٩ ديسمبر.

ولقد حاولت حكومة حسين كامل اجتذاب طبقة خاصة اليها والى حكومة رشدى، فاختصتهم بألقاب ميزتهم عن باقى الرتب والالقاب، كتلقيب الوزراء بأصحاب المعالى، بعد أن كانوا «أصحاب سعادة»، ويلقب رئيس الوزراء بصاحب دولة، بعد أن كان «صاحب عطوفة»، وأن يشمل لقب صاحب السعادة للحائزين على رتبة (باشا) أو رتبة (لواء) من العسكريين.

كما عمد السلطان حسين الى السخاء فى منح ألقاب الباشوية والبكوية لكثير من الاعيان والوجهاء والموظفين، فكان لهذه الوسيلة اثرها فى كسر حدة السخط العام والمعارضة، فاجتذبت الحكومة بذلك ولاء طبقة الأعيان والمثقفين فى مختلف العواصم والمديريات.

لكن تلك السياسة لم تنطل على الوطنيين المخلصين الذين رأوا فى فرض الحماية على البلاد ترسيخا للاحتلال، وقد ظهر أول قرار وطنى للاحتجاج على سياسة الحكومة اعلان أمين بك الرافعى رئيس تحرير جريدة الشعب فى عدد ٢٧ نوفمبر ١٩١٤، احتجاب الجريدة حتى إشعار آخر، وقد وقع هذا الاحتجاب لهذه الجريدة التى أبى اصحابها اعلان اخبار الحماية على البلاد فيها، فى وقت بلغت فيه هذه الصحيفة ذروتها من حيث الرواج والانتشار، إذ كانت اوسع الجرائد انتشارا وأكثرها توزيعا، وكان الجمهور يتلقفها بلهفة زائدة ليتعرف منها على أنباء الحرب العالمية ويتحسس فيها اتجاه الشفافية الوطنية.

وأعلنت الاحكام العرفية فى البلاد اثناء الحرب، وكان اول عمل لها اضطهاد الحزب الوطنى ومطاردة رجاله وتشتيت أعضائه، واعتقال الكثيرين منهم فى سجن الاستئناف وفى السجون الاخرى والمعتقلات، ونفى أعداد كبيرة منهم الى اوروبا ومالطة، وقد لبث







إحدى جوارى السلطان حسين

السلطان حسين كامل وزوجته السلطانة عين الحياة يوم زفافهما عام ١٨٨٥

صورة فوتوغرافية نادرة تجمع السلطان حسين وشقيقه فؤاد والخديو عباس حلمي وبنات الخديو إسماعيل الأميرة فاطمة والأميرة زينب والأم جشم افت





.. وصورة لجاريات بلاط السلطان حسين كامل عام ١٩١٤

كثير منهم وقتا طويلا فى المنفى الى ما بعد الهدنة عام ١٩١٨.

واعتزم السلطان حسين يوم ١٨ فبراير ١٩١٥، زيارة معاهد العلم، فزار بعضها، ولما جاء دور زيارته لمدرسة الحقوق اتفق معظم طلبتها على الامتناع عن الحضور فى ذلك اليوم، ونفذوا اتفاقهم، ولاحظ السلطان ذلك فكان هذا الاضراب شبه مظاهرة صامتة ضد الحماية، فطلب السلطان التحقيق فى الامر ومعاقبة المسئولين عن هذه المظاهرة المدبرة. وقد تم التحقيق بالفعل مع عدد كبير من طلبة الحقوق ففصل اربعة وخمسون طالبا منهم، وحرم ثلاثة عشر طالبا من أداء امتحان آخر السنة عام ١٩١٥، وحرم ثمانية عشر طالبا من أداء امتحان آخر السنة مع ايقاف التنفيذ.

ثم صدر عفو سلطانى عن الطلبة المفصولين والمحرومين من أداء الامتحان فى شهر مارس، ماعدا سبعة عشر طالبا أثبت التحقيق انهم كانوا المحرضين لزملائهم على التظاهر، ثم عفى فى السنة المكتبية التالية عن السبعة عشر طالبا وعادوا الى المدرسة.

ولقد تجاوز سخط







قطار الأمير أحمد رفعت الذى سقط من فوق كوبرى كفر الزيات وأدى إلى مصرعه



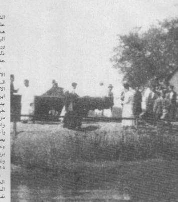


السير مالن شيتهام .. القائم بأعمال المعتمد البريطانى

التجهيزات للحرب العالمية الأولى فى مصر يتولاها الجيش الاسترالى



النقود المعدنية فى عصر السلطان حسين كامل





الشعب على الحماية الى السخط على السلطان حسين، الذى ارتضى هذا النظام، وارتضى أن يتولى عرش البلاد فى ظل الحماية البريطانية، وربما كانت حجة السلطان فى قبول ذلك أنه ينقذ بهذا القبول عرش جده محمد على ويحفظه لأسرته.

ولقد كان من مظاهر هذا السخط الاعتداء مرتين على السلطان بقصد قتله والخلاص منه، وكانت المرة الاولى بالقاهرة يوم الخميس ٨ ابريل عام ١٩١٥، إذ اطلق عليه شاب يدعى محمد خليل، وهو تاجر خردوات من المنصورة، رصاصة وقت مرور موكبه بشارع عابدين، فأخطأه واصاب العربة التى كانت تقله وأحدثت ثقوبا فى جلدها دون أن يصاب أحد، وقبض على الجانى وحوكم أمام مجلس عسكرى بريطانى وحكم عليه بالإعدام شنقا، ونفذ فيه الحكم يوم ٢٤ ابريل عام ١٩١٥.

وبعد مرور شهرين على هذا الحادث، وقع اعتداء آخر على السلطان يوم الجمعة ٩ يوليو من نفس العام، بينما كان السلطان سائرا بموكبه فى الإسكندرية قبيل ظهر ذلك اليوم من قصر رأس التين متوجها الى مسجد (سيدى عبدالرحمن بن هرمز) لأداء فريضة صلاة الجمعة، ألقيت عليه قنبلة من نافذة أحد المنازل المطلة على شارع رأس التين، فسقطت القنبلة على ظهر جواد من خيول المركبة السلطانية، ثم تدحرجت على الارض ولم تنفجر.

وقد استغرق التحقيق فى هذه الحادثة وقتا طويلا لصعوبة الكشف عن مدبريها، وأسفر التحقيق والبحث عن اتهام تسعة من الشباب بتدبير الحادث، ثم استقر رأى النيابة على إدانة اثنين منهم هما محمد نجيب الهلباوى ومحمد شمس الدين وحوكما أمام مجلس عسكرى بريطانى، فحكم عليهما بالاعدام شنقا، وصدق القائد العام للقوات البريطانية على الحكم، ولكن السلطان حسين طلب التخفيف لهما، فخفف الحكم إلى الاشغال الشاقة المؤبدة.

ويدخل فى هذا السياق حادث الاعتداء على وزير الاوقاف على ابراهيم فتحى باشا، ففى مساء ٤ سبتمبر ١٩١٥، بينما كان الوزير واقفا على رصيف محطة القاهرة متوجها للسفر بقطار الصعيد، اعتدى عليه شاب يدعى صالح عبداللطيف، وهو موظف بوزارة المالية، بأن طعنه بخنجر ثلاث طعنات احدثت جروحا بليغة فى كتفه، ولكنه شفى منها فيما بعد، وحوكم هذا الشاب أمام مجلس عسكرى بريطانى، فحكم عليه بالاعدام شنقا، ونفذ فيه الحكم يوم الثالث من شهر اكتوبر.

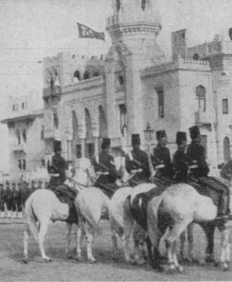
ولقد رأت السياسة البريطانية، قبيل دخولها الحرب ضد ألمانيا، تعطيل الجمعية التشريعية فى شهر يونيو ١٩١٤، فلما نشبت الحرب عطلت اجتماعها، تفاديا لأن تصدر قرارات قد يكون فيها معنى الاحتجاج على الحماية البريطانية، فصدر أمر عال فى ١٨ اكتوبر ١٩١٤ بتأجيل ابتداء دور الانعقاد الثانى الذى كان محددا له اول نوفمبر من ذلك العام الى اول يناير من العام التالى، ثم اجل الاجتماع الى اول فبراير، ثم الى اول نوفمبر، ثم اجل الى أجل غير مسمى، بموجب المرسوم الصادر فى ٢٧ اكتوبر ١٩١٥، ولم تدع بعد ذلك الى الاجتماع، وظلت البلاد محرومة من اية هيئة نيابية او شبه نيابية مدة عشرة اعوام كاملة حتى اعلن الدستور سنة ١٩٢٣.

وفى ١٧ اغسطس يتم اعتقال عدد من الوطنيين، منهم عبدالرحمن الرافعى، وأخوه امين الرافعى، واحمد لطفى السيد، وعلى فهمى كامل، واحمد وفيق، وعبداللطيف الصوفانى، وعبداللطيف المكباتى، وذلك بموجب قانون الطوارئ.

ولقد كثر تدفق الجيوش من مختلف انحاء الامبراطورية البريطانية على مصر حيث اتخذت قاعدة حربية عامة للحلفاء فى الشرق الأوسط وقد استفاد الحلفاء خاصة انجلترا، من هذا الموقف فوائد حربية وسياسية مهمة كان لها اثرها فى تحقيق انتصارهم.

وقد صدرت من كثير من هؤلاء الجنود تصرفات منكرة فى مدن مصر وموانيها وقراها التى حلوا بها، فوقعت منهم اعتداءات كثيرة على الاهالى فى اموالهم وأملاكهم، بل اعتدى بعضهم عليهم بالضرب والقتل، الامر الذى زاد من كراهية وسخط الناس للاحتلال وللحماية البريطانية على البلاد.

ولقد اخذت السلطة العسكرية البريطانية، منذ بداية الحرب، فى جمع قدر ما تستطيع من العمال والفلاحين بالاكراه لتسخيرهم فى بلاد بعيدة عن بلادهم فيما تحتاج إليه جيوشها وجيوش الحلفاء، وبلغ عدد العمال والفلاحين والهجانة المصريين الذين سخروا من مصر فى الاعمال العسكرية لمصلحة الحلفاء، اكثر





حسين كامل

١٩١٤ - ١٩١٧



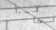
السردار السير لى ستاك .. سردار الجيش المصرى وحاكم السودان

من مليون عامل، مات الكثير منهم، وكانوا عونا كبيرا لانجلترا فى إحراز نصرها على اعدائها.

واستولت السلطة العسكرية على دواب المصريين اللازمة لأعمال النقل لقواتها وقوات الحلفاء، كذلك اخذت قوت الشعب من قمح وحبوب ومؤن لجنودها، وعلف مواشيها، كذلك استولت على معظم اشجار الخشب فى البلاد للاستفادة من خشبها.

ولقد كانت جميع موارد مصر فى خدمة السلطة العسكرية البريطانية كذلك كان جميع رجالها عمالها وفلاحيها وموظفيها يعملون بلا انقطاع لتقديم كل المساعدات اللازمة للجيوش البريطانية، حتى إن بعض المصالح خصصت نفسها لهذا العمل مهملة شئون وظيفتها الاصلية، كذلك استهلكت هذه السلطة وأرهقت السكك الحديدية بالبلاد بحركات النقل، وتلفت بسبب ذلك أعداد كبيرة من القاطرات والعربات والمهمات.

وفى ٢٠ يناير عام ١٩١٦ أصدر اسماعيل سرى باشا، وزير الحربية قرارا بناء على ترخيص مجلس الوزراء، باستدعاء الاحتياطيين من



ترام الهرم الوسيلة الوحيدة لنقل الجنود من الهرم للقاهرة أثناء الحرب العالمية الأولى



السلطان حسين أمام قصره فى مصر الجديدة .. مدرسة مصر الجديدة الثانوية للبنات حاليا



الجنود المصريين (الرديف) لتستخدمهم السلطة العسكرية فى الاعمال الحربية، استجابة لطلب قائد الجيش البريطانى بمصر، وقد بلغ عدد من جمعوا من الرديف، تنفيذا لهذا القرار نحو ١٢ ألف مجند.

ولما كان جمع الرديف قد تم بطريق القسر، وقع تذمر شديد بين افراده لسوء معاملتهم، ورداءة الغذاء الذى كان يقدم لهم.

فوقعت مظاهرة منهم أمام سراى عابدين يوم ٢٩ يناير ١٩١٦، إذ اجتمع المجندون منهم بثكنات عين شمس، وساروا فى شكل مظاهرة الى ميدان عابدين، وهناك احتشدوا واعتصموا، فاستدعى رئيس الوزراء على عجل الى سراى عابدين، والتقى بمندوبين عن الرديف ووعدهم بنظر الحكومة فى شكواهم، وطلب منهم العودة الى ثكناتهم فعادوا.

وتجددت المظاهرة فى اليوم التالى فى نفس المكان، وكانت الحكومة قد اتخذت احتياطات أمنية فى الميدان وحول القصر، فوقع صدام بينهم وبين رجال الشرطة، وأصيب بعض الجنود باصابات بالغة.

وكان السلطان حسين كامل فى بداية حكمه على وفاق تام مع الانجليز ومستشاريهم فى الحكومة المصرية.. وكان دائم الاعتراف بفضلهم عليه فى اختياره لاعتلاء كرسى الحكم، فكان تابعا امينا لهم، لكنه لم يلبث أن اخذ فى التغير عليهم، وبدت منه فى أحاديثه بعض الانتقادات لتصرفات الموظفين الانجليز فى مصر، كذلك بدت منه طعون فى السياسة البريطانية فى مصر.

ولقد انصبت أكثر انتقادات السلطان على السير «هنرى ماكماهون» المندوب السامى البريطانى، الذى خلف اللورد كتشنر فى منصبه، ولم يكن بنفس شدته وصرامته مع الخديو فوقع الجفاء بينهما.

وكان كبار الموظفين البريطانيين يعزون هذا التطور فى نظرة السلطان للانجليز، الى ان شخصية السير ماكماهون لم تكن من القوة بحيث يحسب لها السلطان حسابا كبيرا، وكانوا يعزون ذلك الى قلة إلمام المعتمد الجديد بدقائق الاحوال فى مصر، ولعدم سبقه العمل فى مصر قبل ان يشغل منصب المندوب السامى البريطانى فيها، فلم يكن فى هذه الناحية فى مثل مكانة من سبقه فى تلك الوظيفة فى مصر، امثال اللورد كرومر، والسير جورست، واللورد كتشنر.

ولما وقعت الجفوة بين السلطان وماكماهون فكرت الحكومة البريطانية فى تغيير ماكماهون برجل آخر من رجالها يكون قد سبق له العمل فى مصر، والوقوف التام على أحوالها، حتى لا يفلت زمام الامور فى مصر من انجلترا.

ولذلك بادرت الحكومة البريطانية فى شهر نوفمبر عام ١٩١٦، بتعيين السير (ريجونالد ونجت باشا) سردار الجيش المصرى والحاكم العام فى السودان مندوبا ساميا لبريطانيا فى مصر بدلا من السير ماكماهون.

وكان ونجت باشا فى عاصمة السودان الخرطوم، حين تم هذا الاختيار، فجاء الى مصر اواخر شهر ديسمبر من عام ١٩١٦، ليشغل منصبه فيها.

وقد احيط مجىء السردار بمظاهر الفخامة والعظمة، لما كان له من سابق صلة





حسين كامل

١٩١٤ : ١٩١٧



فؤاد الأول.. شقيق السلطان حسين كامل والذى تولى من بعده الحكم

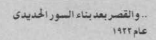
بكبار ضباط الجيش المصرى، ولعلاقته بكبار الأعيان فى البلاد، ولاستناده على الحماية والاحتلال، ما جعله يفرض شخصيته ونفوذه على الحكومة والسراى.

وقد تملك (ونجت) زمام الامور فى البلاد، وصار إليه الامر والنهى فى شئون الحكومة عامة، دون حسيب او رقيب، وأخذ فى زيارة الوزارات والمصالح زيارة صاحب البلاد وحاكمها، وفى عهد (ونجت) هذا وقعت مقدمات ثورة ١٩١٩.

وقد أبقى (ونجت) لنفسه الاشراف على الجيش المصرى وحكومة السودان، بعد تعيينه مندوبا ساميا لانجلترا فى مصر، وعين السير (لى ستاك) باشا نائبا للسردار ونائبا لحاكم السودان العام الى أن عين سردارا فى اول ابريل عام ١٩١٩.

وفى اوائل شهر اكتوبر عام ١٩١٧، اشتد المرض بالسلطان حسين كامل، ولزم الفراش، ويئس الاطباء من شفائه، واخذت العلة تلح عليه، حتى وافاه الاجل المحتوم يوم ٩ اكتوبر عام ١٩١٧، وشيعت جنازته فى موكب مهيب، حيث نقل جثمانه من قصر عابدين حيث أسلم الروح، الى مدافن الاسرة المالكة فى مسجد الرفاعى.

وكان السلطان حسين قد عرض قبل وفاته على نجله الوحيد الامير (كمال الدين حسين) ليخلفه فى الحكم من بعده، ولم يكن قد تقرر بعد نظام لوراثة العرش تحت



..والقصر بعد بناء السور الحديدى عام ١٩٢٢

بناء السور الحديدى الخارجى لقصر عابدين بأمر السلطان حسين كامل عام ١٩١٥

الحماية، ولكن الامير رفض ولم يقبل، وأرسل الى والده كتابا يوم ٨ اكتوبر عام ١٩١٨، قبل وفاته بيوم واحد، يعتذر له عن عدم قبول وراثة العرش كتب فيه:

«ياصاحب العظمة السلطانية، ذكرتمونى عظمتكم بما اتفقتم عليه مع الحكومة البريطانية الحامية وقت ارتقاء عظمتكم عرش السلطنة المصرية من تأجيل وضع نظام وراثة العرش السلطانى إلى ما بعد بحثه، وقد تفضلتم عظمتكم فأعربتم لى عن رغبتكم فى ان تكون وراثة عرش السلطنة المصرية منحصرة فى الاكبر من الأبناء، ثم بعده لأكبر ابنائه، وهكذا على هذا الترتيب.

وإنى لاذكر لعظمتكم هذه المنة الكبرى لما فى هذه الرغبة من التشريف لى، على انى مع إخلاصى التام لشخصكم الكريم وحكمكم الجليل، مقتنع كل الاقتناع بأن بقائى على حالتى الآن يمكننى من خدمة بلادى بأكثر مما يمكن ان أخدمها به فى حالة اخرى، لذلك ارجو من حسن تعطفاتكم ان تأذنوا لى بأن اتنازل عن كل حق او صفة او دعوى كان من الممكن لى أن أتمسك به فى إرث عرش السلطنة المصرية بصفتى ابنكم الوحيد، وانى بهذه الصفة اقر الآن بتنازلى عن جميع ذلك، وانتى مازال لعظمتكم السلطانية النجل المخلص والعبد الكثير الاحترام».

كمال الدين حسين
القاهرة فى ٨ أكتوبر ١٩١٧

وبعد أن اعتذر الامير كمال الدين حسين ارتقى السلطان الملك احمد فؤاد الاول عرش مصر يوم ٩ اكتوبر عام ١٩١٧ وارسل اليه السير ريجونالد ونجت المندوب السامى البريطانى تبليغا من الحكومة الانجليزية فى هذا الصدد.

وقد جاءت ترجمة هذا التبليغ كالآتى:

«ياصاحب العظمة السلطانية.. بأمر جناب وزير الخارجية لحكومة صاحب الجلالة البريطانية أتشرف بأن أعرب لعظمتكم عن فائق الاسف الذى شمل حكومة جلالة الملك حينما وصل الى علمها نعى المغفور له صاحب العظمة السلطان حسين كامل الذى أكبرت الامة العربية جميعها إخلاصه لكل ما فيه خيرها اخلاصا لا يعتريه فتور، وقدرته حق قدره، فكانت وفاته لديها كارثة وطنية، وإننى أتشرف بابلاغ عظمتكم السلطانية انعطاف حكومة جلالة الملك لما اصاب شخصكم الكريم من دواعى الحداد، هذا واننى مكلف فى الوقت نفسه بأن احيط علم عظمتكم بأنه لما كان نظام الوراثة على عرش السلطنة المصرية لم يوضع للآن، وكنتم عظمتكم بعد طبقة البنين الوارث المتعين طبقا لوراثة العرش، فإن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعرض على عظمتكم تبوء هذا العرش السامى، على ان يكون لورثتكم من بعدكم، حسب النظام





جنازة السلطان حسين كامل فى ميدان العتبة عام ١٩١٧

حسين كامل

١٩١٤ : ١٩١٧



السلطان فؤاد الأول يتوج سلطان على مصر بعد على مصر بعد وفاة السلطان حسين كامل وأول يوم للسلطان فؤاد يدخل فيه قصر عابدين عام ١٩١٧

الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبين عظمتكم.

وإن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تريد أن تجدد لعظمتكم بهذه المناسبة التأكيدات التى أعطتها لسلف عظمتكم عند ارتقائه العرش، وهى مقتنعة أن فى استطاعتها بأن تعتمد فى العمل مع عظمتكم على تلك الصداقة التى كانت شعارا لحكم السلطان المرحوم، وعادت ثمراتها على البلاد بازدياد الرفاهية والتقدم، ذلك الامر الذى له من المكانة فى نفس الحكومة البريطانية ما لا يقل منزلته لدى عظمتكم.

وانى أنتهز هذه الفرصة فاقدم لعظمتكم السلطانية أجل احتراماتى».

ريجونالد ونجت

القاهرة فى ٩ اكتوبر عام ١٩١٧

وقد تم الاحتفال بتنصيب السلطان فؤاد يوم ١٠ اكتوبر عام ١٩١٧، وانتقل فى موكبه من قصر البستان الى سراى عابدين حيث استقبل المهنئين. ■■



عهد فؤاد الأول

العدد ٨١٤ ـ ٢٧ يوليو ٢٠٠٥

أبيض وأسود





مصر فى 150 سنة
1805 : 1952

عرش السلطان فؤاد

1917 : 1936

" فى التاسع من شهر أكتوبر عام ١٩١٧، تدرك الوفاة السلطان حسين كامل، بعد مرض أودى بحياته، بعد حكم لم يستمر لأكثر من ثلاث سنوات، ويقوم الإنجليز بتولية شقيقه الأصغر (أحمد فؤاد)، بن الخديو اسماعيل وأصغر أبنائه الاثنى عشر، وذلك بعد اعتذار الامير كمال الدين حسين ابن السلطان المتوفى، وصاحب الحق فى الحكم بعد أبيه، عن أن يخلف والده فى السلطة.

يتولى فؤاد عرش مصر ومصر لاتزال تغلى بسبب فرض الحماية البريطانية عليها، واستمرار الأحكام العرفية فى البلاد، والعالم كله مازال متأثرا بوقائع الحرب العالمية الأولى، ودفع الكثير من ماله ودماء أبنائه خلال هذه الحرب وبات ينتظر ثمن ذلك ممن غنموا هذه الحرب. "

الحلقة السادسة عشرة

محمد على
ابراهيم
عباس الاول
سعيد
اسماعيل
توفيق
عباس حلمى
حسين كامل
فؤاد الاول
١٩١٧ : ١٩٣٦
فاروق الاول

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :
أ.د. عطية القوصى



أول صورة رسمية للملك فؤاد عام ١٩١٧



فــؤاد الأول

١٩١٧ : ١٩٣٦

كانت مصر طلبت أن يكون الاستقلال نصيبها بعد أن قدمت وضحت بالكثير للحلفاء، ولكن دعاة التحرر رفضوا الحرية لمصر وتنكروا لما قدمه أبناؤها لهم من تضحيات، فكانت الغضبة الكبرى والثورة العظمى التى قام بها شعب مصر بجميع طبقاته ثورة ١٩١٩

البداية ضد الاحتلال الانجليزى

تولى فؤاد عرش مصر يوم التاسع من شهر اكتوبر عام ١٩١٧، وورث لقب «السلطان» الذى منحته بريطانيا لأخيه حسين كامل، وظل هذا اللقب ملازما له حتى عام ١٩٢٢، فصار «الملك فؤاد الاول»، وذلك بمقتضى صدور تصريح ٢٨ فبراير فى هذا التاريخ، من جانب بريطانيا التى اعترفت فيه باستقلال مصر لأول مرة مع التحفظات الاربعة، التى تحفظت عليها شرط الاستقلال، وهى : تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية فى مصر، والدفاع عن مصر ضد اى اعتداء اجنبى، وحماية المصالح الاجنبية والاقليات، ومسألة السودان.

والامير فؤاد هو أصغر أبناء الخديو اسماعيل ويأتى ترتيبه الثانى عشر بينهم، ولد فى مصر وتركها وهو فى سن الحادية عشرة ليعيش فى المنفى مع والده فى إيطاليا واسرته، وهناك كانت الاسرة فى ضيافة ملك إيطاليا امبرتو الذى خصص فيللته المفضلة فى نابولى لاقامة إسماعيل واسرته.

وسافر فؤاد وهو صغير إلى جنيف بسويسرا وهناك تعلم فى مدارسها، ثم عاد إلى إيطاليا والتحق بالكلية الحربية الإيطالية فى مدينة تورينو، وتخرج فؤاد فى الكلية برتبة ملازم اول فى سلاح المدفعية بالجيش الإيطالى.

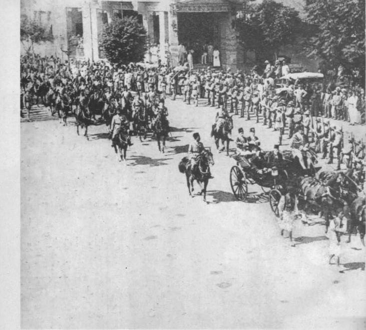
وعاد فؤاد إلى مصر عام ١٨٩٥ ليساعد ابن عمه الحاكم الخديو عباس حلمى الثانى، وقد قام الخديو بتخصيص راتب شهرى لفؤاد، دون ان يلتحق بعمل او وظيفة.

ولقد خدمت الظروف الامير فؤاد بتوليه حكم مصر، يوم أن مات ابن عمه الخديو، واعتذر ابنه كمال الدين عن عدم تولى العرش، وفضل العيش حرا طليقا دون قيود الحكم.

ولقد بدا فى طريقة ولاية السلطان فؤاد العرش كما بدا فى ولاية السلطان حسين كامل من قبل، مبلغ التدخل البريطانى فى أعظم المهام الداخلية شأنا، إذ جعلت الحكومة البريطانية نفسها مصدر ولاية العرش، بقولها فى بلاغها له: «إن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعرض على عظمتكم تبوء هذا العرش السامى»، وهذا تكرار وتأكيد لما ذكرته فى كتابها إلى السلطان حسين كامل كنتيجة لإعلانها الحماية على مصر، ولم يكن هنالك بد من ان يقابل الشعب هذا التدخل البريطانى وأساليبه بالسخط والنفور.

وقد تم الاحتفال بتنصيب السلطان فؤاد على كرسى العرش يوم العاشر من اكتوبر عام ١٩١٧، وانتقل فى موكبه من قصر البستان حيث كان يقيم إلى مقر الحكم بسراى عابدين.

وكان الملك فؤاد قبل تنصيبه سلطانا قد تزوج من ابنة عمه الاميرة شويكار عام ١٨٩٣، واستمر هذا الزواج خمس سنوات، انتهى بالطلاق وباعتداء الامير احمد سيف الدين أخو الاميرة على الامير فؤاد بالرصاص، فى نادى



▲▲ منظر عام للموكب الملكي للملك فؤاد الأول في شوارع مصر

محمد على واصابة فؤاد فى رقبته وصدره وقدمه اليمنى، وقد تم استخراج رصاصتين من جسد فؤاد، ولم ينجح فريق الاطباء فى استخراج الرصاصة التى أصابته فى عنقه واستقرت ملازمة له فى حنجرته حتى وفاته بسببها وما أحدثته له من مضاعفات، وقد رزق الملك فؤاد من زوجته الاولى بالاميرة فوقية قرينة محمود فخرى باشا الوزير المفوض.

ولقد قام السلطان فؤاد بإقرار وزارة حسين رشدى باشا فى الحكم، وعدم تغييرها، برغم انها قد حلت بوفاة السلطان حسين، وعهد إلى رشدى بتأليفها من جديد.

ولقد استجاب رشدى لطلب السلطان، وألف الوزارة على النحو الذى كانت عليه من قبل يوم ١٠ اكتوبر على النحو التالى:

حسين باشا رشدى لرئاسة الوزراء، والداخلية، واسماعيل سرى باشا للأشغال والحربية والبحرية، واحمد حلمى باشا للزراعة، ويوسف وهبة باشا للمالية، وعدلى يكن باشا للمعارف، وعبدالخالق ثروت باشا للحقانية، وإبراهيم فتحى باشا للاوقاف.

ثم حصل تعديل وزارى فى شهر ديسمبر ١٩١٧، إذ استقال إبراهيم فتحى من الاوقاف، وحل مكانه احمد زيور باشا، واستمرت الحالة على ما كانت عليه واعباء السلطة العسكرية ينوء بها كاهل البلاد.

وقامت السلطة العسكرية بحركة مصادرة الابل والدواب، فاستولت على جميع الابل والبغال والحمير الصالحة للأعمال العسكرية بأبخس ثمن، ولم يبق منها فى البلاد إلا ما لا يصلح للخدمة بناء على تقرير الاطباء البيطريين.

ولقد قامت الحكومة المصرية بالتنازل عن ثلاثة ملايين ونصف المليون جنيه للحكومة البريطانية اقترضتها من مصر خلال الحرب اعترافا بجميل بريطانيا العظمى التى حمت البلاد من خطر غارات الحرب.

ولقد أراد مجلس الوزراء بذلك ان يشير - من وجهة نظره - إلى فضل الحماية البريطانية على مصر.

ولقد انتهت الحرب العالمية الاولى بهزيمة ألمانيا وحلفائها، وفى ١١ نوفمبر ١٩١٨ عقدت الهدنة بين ألمانيا والحلفاء، وانتهت هذه الحرب الضارية بانتصار إنجلترا وحلفائها.

وبعد أن انفصل السلطان فؤاد عن زوجته ابنة عمه بالطلاق، كان اول أمر شغله بعد أن تولى الحكم البحث عن زوجة جديدة وكانت هذه الزوجة (نازلى صبرى) ابنة عبدالرحيم صبرى باشا وزير الزراعة السابق، وكانت تبلغ من العمر تسعة عشر عاما.

وكانت نازلى من سلالة سليمان باشا الفرنساوى الذى تزوج من ابنة شريف باشا رئيس الوزراء السابق فى عهد اسماعيل وتوفيق، وتم الزواج فى قصر عابدين، فى احتفال بسيط يوم ٢٤ مايو ١٩١٩، وقد رزق الملك فؤاد من نازلى بابنه فاروق، ثم بالأميرات فوزية وفايزة وفائقة وفتحية.

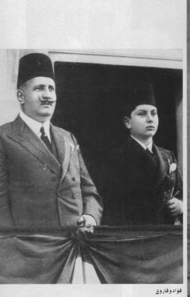
وفى ١٣ نوفمبر ١٩١٨، تبدأ حلقة جديدة من المواجهة المصرية البريطانية، حيث يقابل سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية، وعبدالعزيز فهمى وعلى شعراوى عضوا الجمعية المندوب السامى البريطانى السير «ريجونالد ونجت» لطلب السماح لهم بالسفر إلى لندن لحضور مؤتمر الصلح المنعقد هناك، ولعرض المطالب المصرية على الحكومة البريطانية.

ثم قابل الثلاثة رئيس الوزراء، حسين رشدى وأبلغوه بمطلبهم، فأبلغهم بأنه سوف يرفع خطابا إلى السلطان



الملك فؤاد

◄◄ زفاف فؤاد وابنة عمه شويكار



فؤادوفاروق

فؤاد، بشأن ذلك يستأذنه هو فى السفر إلى لندن مع وزير المعارف عدلى باشا يكن، ثم قابل بعد ذلك المعتمد البريطانى وأبلغه باعتزامه السفر إلى لندن.

وقد أبدى المعتمد البريطانى لرئيس الوزراء دهشته فى تحدث ثلاثة اشخاص فقط نيابة عن أمة بكاملها دون ان تكون لهم الصفة التى تؤهلهم لذلك، فرد عليه رئيس الوزراء بأن لهم الصفة التى تؤهلهم فهم أعضاء الجمعية التشريعية التى انتخبها الشعب.

وبعد هذه المقابلات، اتفق سعد زغلول وزميلاه على تشكيل هيئة رسمية باسم (الوفد المصرى) لعرض المسالة المصرية على مجلس الصلح فى لندن، وطلب الاستقلال وإلغاء الحماية البريطانية، وان تحصل هذه الهيئة على توكيلات من الامة تعطيها الصفة الرسمية بأنها وفد مصر الشرعى المطالب باستقلالها، وقد تكون هذا الوفد من خمسة اعضاء فى الجمعية التشريعية برئاسة سعد زغلول وكيل الجمعية وهم : شعراوى، وفهمى، ومحمد محمود باشا، وعبداللطيف المكباتى، ومحمد على علوبة، واثنين من غير أعضاء الجمعية أحدهما أحمد لطفى السيد.

وفى اليوم التالى (١٤ نوفمبر) يضع اعضاء الوفد صيغة توكيل يوقعها المواطنون بإنابة الوفد عنهم بالتفاوض فى مؤتمر الصلح بخصوص حصول مصر على استقلالها استقلالا تاما لا مماطلة فيه.

وقد جاءت صيغة التوكيل كالآتى :

«نحن الموقعين على هذا قد أنبنا عنا حضرات... (أسماء الوفد).... ولهم ان يضموا إليهم من يختارون، فى ان يسعوا بالطرق السلمية المشروعة، حيثما وجدوا للسعى سبيلا، فى استقلال





الزعيم سعد زغلول فى صورة نادرة بدون الطربوش بعد عودته من المنفى

سعد زغلول ورفاقه فى منفاهم بجزيرة سيشل



مصر استقلالا تاما».

وقد طبعت صيغة هذا التوكيل ليلا بأعداد كبيرة، سافر بها إلى جميع أنحاء مصر مئات من الشباب لجمع توقيعات الشعب عليها، وقد تم التوقيع على آلاف التوكيلات جمعت جميعها لدى الوفد المقترح للتفاوض.

وفى يوم ٢٠ نوفمبر تقدم سعد زغلول، بصفته رئيس الوفد، من سلطات الاحتلال، بموجب إعلان الأحكام العرفية، السماح له ولاعضاء الوفد بالسفر إلى لندن، وتلقى سعد الرد فى اليوم التالى، بأن قيادة الجيش الانجليزى سوف تنظر فى الطلب فى أقرب وقت ممكن.

ولقد انضم إلى اعضاء الوفد عضوان هما : مصطفى النحاس وحافظ عفيفى، فصار عدد الوفد تسعة أعضاء، ثم انضم لهم اعضاء جدد آخرون من بينهم : اسماعيل صدقى، وحمد الباسل، ومحمود ابوالنصر، وواصف غالى، وحسين واصف.

ولقد أقلقت مسألة جمع توقيعات الامة على العرائض سلطات الاحتلال، فأصدر مستر «هينز» مستشار الداخلية اوامر بمنعها، فيرسل سعد إلى رئيس الوزراء (حسين رشدى) احتجاجا على ذلك، وتتصل رشدى من مسئولية ذلك وألقاها على المستشار

خطبة ملتهبة للزعيم سعد قبل نفيه

الإنجليزى.

ولما أرسل سعد يستعجل السلطة العسكرية الانجليزية النظر فى طلب سفره والوفد، تلقى الرد يوم ٢٩ نوفمبر يفيد بوجود صعوبات حالية تحول دون السماح للوفد بالسفر، وانه بعد ان تزول هذه الصعوبات المزعومة، سوف يسمح للوفد بالسفر، فما كان من سعد إلا أن أرسل إلى المعتمد البريطانى يرجوه استخدام نفوذه عند السلطة العسكرية لتسهيل أمر سفره والوفد

ولكن الرد النهائى جاء من المعتمد «اول ديسمبر» برفض التصريح له وللوفد بالسفر، وما كان من سعد إلا أن رد على رد المعتمد بالاعتراض على رفض السماح له وللوفد بالسفر لعرض مطالب الامة على مؤتمر الصلح فى باريس، وارسل كذلك يبلغ رئيس الوزراء بهذا الرفض، ويطلب منه استخدام سلطاته فى هذا الامر، كذلك أرسل سعد احتجاجا إلى «لويد جورج» رئيس الوزراء البريطانى.

ويرسل الوفد إلى ممثلى الدول الاجنبية بالقاهرة يخبرهم بتكوين الحزب واهدافه، وموقف سلطة الاحتلال منه، كما ارسل برقية إلى مؤتمر الصلح بباريس، حدد فيها المطالب المصرية وهى الاستقلال، وقبول مصر عضوا فى عصبة الأمم، وتمثيلها فى مؤتمر الصلح، وضمان حرية الملاحة فى القناة وحيادها.

وقد جاء توقيت إرسال هذه البرقية إلى مؤتمر الصلح بباريس، مع ارسال مذكرة اخرى إلى المؤتمر مماثلة فى طلباتها، أرسلها الزعيم محمد فريد وهو يعالج فى سويسرا.

وقد قام سعد زغلول بإلقاء أول خطبة له بعد تشكيل الوفد، وكانت فى منزل حمد الباسل بشارع الداخلية (ضريح سعد حاليا) أمام منزل سعد، وشرح سعد فى خطابه ظروف تكوين الوفد، وظروف منعه من السفر، ووافق الحاضرون على اقتراح منه بارسال برقية إلى الرئيس الامريكى «ولسون» للاعراب عن الاعجاب بمبادئه التى اعلنها ولعرض قضية مصر عليه.

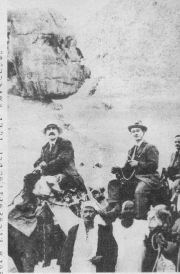
وغادر المعتمد البريطانى مصر متوجها إلى لندن، بناء على استدعاء حكومته له لاطلاعها على تفاصيل الحالة فى مصر، هذا وقد كان ذلك آخر خروج «لونجت» من مصر، حيث حل مكانه فى منصبه اللورد اللنبى.

ولقد جاء أول تضامن للوزارة مع الوفد، فى العاشر من شهر فبراير، حيث تقدم حسين

الزعيم سعد زغلول مع أعضاء البرلمان الانجليزى فى منطقة الأهرامات


الأمير أحمد سيف الدين


المجموعة الكاملة
من المصريين
الذين وضعوا
دستور ١٩٢٤





رشدي إلى السلطان باستقالته، وكان قد سبق له ان تقدم بالاستقالة قبل ذلك في شهر ديسمبر، لكن السلطان لم يقبلها وطالبه بالانتظار، وفي هذه المرة قبل السلطان استقالة الوزارة في اول شهر مارس بعد أن أصر رشدي عليها، رافضا محاولة انجلترا استمالته إلى جانبها بالموافقة على سفره مع عدلي يكن دون سعد وزملائه.

ويقوم شباب الوفد بطبع عدة آلاف من النسخ من صيغة توكيل الشعب للوفد، وتوزع هذه النسخ على نطاق واسع في جميع ارجاء البلاد، بعد أن منعت الرقابة نشرها بالصحف.

ووصل الصدام إلى حدته بين سلطات الاحتلال ورجال الوفد حين استدعى الميجور جنرال «واطسون» قائد قوات بريطانيا في مصر سعد زغلول، ورجال الوفد إلى مركز القيادة العسكرية بفندق «سافوى» بميدان سليمان باشا، وابلغهم، وهم وقوف ودون أن يسمح لهم بالجلوس، انذارا بأن استمرارهم في معارضة الحماية البريطانية يعرضهم لعقوبات شديدة بموجب فرض الاحكام العرفية على البلاد، وحين اراد سعد الرد على الميجور أشار إليه بالسكوت قائلا: لا مناقشة.. وتركهم وانصرف، ثم سلمهم نسخة من الانذار.

وخرج الوفد من هذا اللقاء الجاف إلى منزل سعد، وهنالك اتفقوا على ان يرسلوا برقية سريعة إلى رئيس وزراء انجلترا، يطلبون فيها معاودة النظر في الموقف حتى تهدأ نفوس المصريين التي كانت تغلي بالحقد على المحتل.

وتصل قمة المواجهة إلى ذروتها حين تقوم سلطات الاحتلال باعتقال سعد وحمد الباسل واسماعيل صدقي من منازلهم في يوم السبت في الساعة الثالثة بعد الظهر، وقد وضعوا في ثكنات الجيش الانجليزي بقصر النيل، حيث قضوا ليلتهم هناك.

وفي اليوم التالي (٩ مارس) ينقل سعد ورفاقه الى ميناء بورسعيد لتقلهم بحرا إلى جزيرة مالطة وما كان من بقية اعضاء الوفد إلا أنهم اجتمعوا برئاسة على شعراوي وأرسلوا مذكرة احتجاج شديدة اللهجة إلى السلطان فؤاد وإلى رئيس وزراء بريطانيا وإلى رئيس مؤتمر الصلح بباريس.

وبداية من يوم ٩ مارس ١٩١٩، تندلع الثورة في البلاد بخروج الشعب في مظاهرات عارمة يعبر فيها عن غضبه وحقده على المحتل الغاشم، وقد كانت هذه المظاهرات سلمية في بدايتها، قام بها طلبة المدارس العليا، إلا أنها سرعان . حين ووجهت بالعنف من سلطات الاحتلال . ماالتهبت لدرجة شديدة وشارك فيها جميع افراد الشعب من مختلف الطبقات، وشملت البلاد من أقصاها إلى أدناها، تعبيرا عن وحدة الأمة وتضافر أبنائها جميعا.

ولقد شاركت النساء الرجال في هذه المظاهرات، وكانت اول مظاهرة لهن قد ضمت ٣٠٠ سيدة، ومظاهرة ثانية توجهت الى بيت الامة، حملت خلالها النساء لافتات كتب عليها » نحتج على سفك دماء الأبرياء» و«نطالب بالاستقلال التام».

ولقد حضر الجنرال اللنبي إلى مصر ليتسلم مهام منصبه يوم ٢٥ مارس، وليواجه ثورة شعب مصر العارمة.

خلال شهر مارس تشكلت لجنة للثورة في مدينة زفتى بمحافظة الغربية برئاسة يوسف أحمد الجندي أعلنت استقلال المدينة واعلان الجمهورية بها.

وتستمر الثورة ضد الاحتلال، ويستمر الصدام بين الشعب ورجال الاحتلال، ويقع بعض القتلى بين الجانبين،وعبثا حاول السلطان حسين ايقاف الثورة بدعوته للأمة بالتزام الهدوء والسكينة والكف عن التظاهر.

واضطرت قوات الاحتلال، تحت تأثير الثورة، إلى اطلاق سراح سعد ورفاقه، فأعلن اللورد اللنبي قرار الافراج عنهم يوم السابع من ابريل، والسماح بسفرهم إلى باريس لعرض القضية المصرية على مؤتمر الصلح، وقد حدد الانجليز من وراء هذا الإفراج اربعة اهداف هي: التمكن من تشكيل وزارة تساعدهم على القبض على زمام الامور في البلاد، والثاني إنقاذ ماء وجههم في مؤتمر الصلح، والثالث امتصاص غضبة الثورة، والرابع تهيئة الجو السياسي المناسب لاجراء المفاوضات.

وفي يوم الثامن من ابريل يعبر الشعب عن ابتهاجه بالعفو عن سعد ورفاقه بتنظيم مظاهرة جماهيرية كبرى سارت من ميدان محطة مصر حتى وصلت إلى ميدان عابدين ثم إلى بيت الامة.

وفي اليوم التالي يشكل حسين رشدي الوزارة، محتفظا بها بمنصب الرئاسة ووزارة المعارف، ويعين فيها يوسف وهبة للمالية، وعدلي يكن للداخلية، وعبدالخالق ثروت للحقانية، وجعفر والي للاوقاف، واحمد مدحت يكن للزراعة، وحسن حسيب للاشغال والحربية والبحرية.

وأخيرا تصرح الحكومة البريطانية لأعضاء الوفد بالسفر إلى مؤتمر الصلح بباريس، حتى تمتص غضب الشعب المصري، ودبرت في نفس الوقت كيفية إفشال مهمة هذا الوفد في باريس، فسافر يوم ١١ ابريل ١٩١٩ اعضاء الوفد من القاهرة إلى بورسعيد للابحار منها إلى جزيرة مالطة، ومنها إلى باريس، وانضم لهذا الوفد كل من مصطفى النحاس، وحافظ عفيفي، ومحمود أبوالنصر، وعبدالخالق مدكور، ومحمد على علوبة، وجورج خياط، وسينوت حنا.

وقد وصل الوفد إلى باريس بعد اسبوع من إقلاعه. حيث يصدم هناك باعتراف الرئيس الامريكي ويلسون



بالحماية البريطانية على مصر.

وقد اذاع الانجليز يوم ٢٢ ابريل نص اعتراف الرئيس الامريكى ويلسون بالحماية البريطانية على مصر، وهو ما أدى إلى خيبة امل المصريين فى المبادئ التى اعلنها ويلسون، من عدم جواز حكم الشعوب إلا بارادتها ورغبتها، وفى أن يترك لكل شعب الحق فى تقرير مصيره.

ولم يتقبل الوفد المصرى فى باريس قرار الرئيس ويلسون، فقدم احتجاجا إلى رئيس مؤتمر الصلح يحتج فيه على الاعتراف بالحماية، وقد جاء فى رسالة الاحتجاج رفض المصريين فى أن يكونوا ضحية تقدم هدية لاتفاق الدول العظمى.

ولم تستمر وزارة رشدى طويلا، فتستقيل بعد ايام من تشكيلها بسبب عجزها عن إقناع عمال الترام لانهاء اضرابهم وقد تشكلت وزارة مكانها برئاسة محمد سعيد باشا قوبلت بالرفض والمظاهرات المعادية.

وفى تلك الاثناء التى تعم الاضطرابات فيها البلاد، يتم السلطان فؤاد زواجه من نازلى كريمة وزير الزراعة عبدالرحيم صبرى، فى حكومة محمد سعيد، كذلك فى الوقت الذى توقع فيه الدول العظمى معاهدة «فرساى» يوم ٢٨ يونيو، متضمنة الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر، وقد قابل الشعب ذلك بالحزن والاسى، فى الوقت الذى اطلقت فيه الحكومة مائة طلقة مدفع فرحا وابتهاجا وقررت أن يكون يوم التوقيع يوم عطلة رسمية فى البلاد تعطل فيه الوزارات والمصالح.

ولقد قررت الحكومة البريطانية يوم ٢٢ سبتمبر تشكيل لجنة عرفت باسم (لجنة ملنر) وزير المستعمرات البريطانية لرئاسته هذه اللجنة التى تكونت من خمسة أعضاء انجليز للتحقيق فى الاحداث الجارية فى مصر، ولمعرفة اسبابها، وكيفية مواجهتها.

وفى يوم ١٥ نوفمبر ١٩١٩ يفارق الزعيم محمد فريد الحياة فى برلين، وكان الفقيد يشكو من مرض الكبد الذى اعتراه وهو فى سن الشباب، وكان يذهب من وقت لآخر إلى فيشى بايطاليا للاستشفاء، ولما هاجر من مصر إلى اوروبا، تأثرت حالته الصحية بسبب الغربة وتنقله فى البلاد الاوروبية، واجهاد نفسه فى العمل المتواصل من الكتابة فى الصحف والمجلات، والخطابة فى المحافل والمؤتمرات، ومقابلاته للمصريين والشرقيين والاوروبيين، لشرح القضية المصرية، ورحلاته المستمرة لرفع صوت مصر والدفاع عن حقوقها، فأثرت فيه



عبد الخالق ثروت رئيس وزراء مصر عام ١٩٢٢



▲▲
بناء الجامعة المصرية عام ١٩٢٣

الملك فؤاد فى مكتبه
بجامعة فؤاد الأول

كل هذه الجهود المضنية. وزاد من تأثيرها جو أوروبا البارد فى فصل الشتاء، الذى لم يكن معتادا عليه.

وزادت علته فى سنة ١٩١٩ بسبب حدوث استسقاء له فى البطن بسبب تليف الكبد، ثم حدثت له غيبوبة كبد وأسلم الروح فى الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء يوم السبت ١٥ نوفمبر ١٩١٩.

وشيع اخوانه المصريون الموجودون فى برلين جنازته، ودفن فى مقبرة المسلمين هناك، حتى نقل الجثمان إلى مصر فى شهر يونيو عام ١٩٢٠، ودفن بمدفن العائلة بجوار السيدة نفيسة.

ولقد تجددت المظاهرات فى مصر، مطالبة بالاستقلال وسقوط لجنة ملنر، وهاجم المتظاهرون قسمى عابدين والموسكى، واستدعى الجيش الانجليزى للتصدى لهم، فقتلوا ١٣ وجرحوا ٧٩. وشيعت فى اليوم التالى جنازة الشهداء فى موكب مهيب سار من المستشفى العباسى بعابدين حتى مدافن الإمام الشافعى.

وفى الاسكندرية خرجت المظاهرات يوم الجمعة من مسجد المرسى ابوالعباس، وتصدى لها البوليس المصرى بقيادة البكباشى الانجليزى بلتز الذى أصدر أوامره باطلاق النار على المتظاهرين، لكن أحد العساكر المصريين امتنع عن الاطلاق فأرداه الانجليزى قتيلا برصاصة من مسدسه.

ولما عجزت الوزارة القائمة عن وقف المظاهرات، قدم محمد سعيد رئيس الوزراء استقالته لتتشكل مكانها وزارة أخرى برئاسة يوسف وهبة باشا وهو قبطى مصرى، ولم تستمر هذه الوزارة لأكثر من ستة أشهر، فتقدم استقالتها لتخلفها وزارة جديدة يرأسها توفيق نسيم باشا، كذلك لم تستمر هذه الوزارة طويلا، فيقدم توفيق نسيم استقالته، لتتألف وزارة برئاسة عدلى يكن باشا.

وفى ابريل من عام ١٩٢١ يعود سعد زغلول إلى مصر بعد غياب عنها لمدة سنتين، ويستقبل استقبالا حافلا فى الاسكندرية، وفى طول الطريق بالقطار إلى القاهرة، ثم فى شوارع القاهرة.

وقد أدلى سعد لدى وصوله بتصريح لجريدة الاهرام حدد فيه الشروط التى يجب على وزارة عدلى يكن التفاوض على اساسها، وهى إلغاء الحماية والاعتراف





الملكة نازلى قبل زواجها من الملك فؤاد

بسيادة مصر، ومراعاة تحفظات الامة على مشروع ملنر، وإلغاء الاحكام العرفية والرقابة على الصحف قبل الدخول فى المفاوضات، وأن تكون رئاسة وفد المفاوضة والاغلبية فيه من رجال الوفد.

ولم يلق تصريح سعد زغلول قبولا عند رئيس الوزراء الذى أصر على رئاسة وفد التفاوض، وقد أدى الخلاف إلى اول انشقاق فى الوفد، نتيجة لذلك استقال من وزارة عدلى كل من: على شعراوى، ومحمد محمود، وحمد الباسل، وعبداللطيف المكباتى، واحمد لطفى السيد، وعبدالعزيز فهمى، وحافظ عفيفى، وعبدالخالق مدكور، وقامت مظاهرات عدائية ضد عدلى والمنشقين، كانت أعنفها فى مدينة طنطا، قتل البوليس خلالها أربعة مواطنين.

ويتشكل وفد المفاوضات مع إنجلترا الذى اتجه إلى لندن برئاسة عدلى يكن من الوزراء حسين رشدى واسماعيل صدقى ومحمد شفيق، واحمد طلعت رئيس محكمة الاستئناف ويوسف سليمان، وهو وزير سابق، فى اول يوليو للتفاوض مع اللورد «كيرزون»



جلالة الملكة نازلى وشقيقها رفعت شريف صبرى

نازلى شريف صبرى.. عروس الملك فؤاد

وزير خارجية انجلترا، وتنتهى المفاوضات دون نتيجة فيعود الوفد إلى مصر يوم ٥ ديسمبر.

وبمجرد وصوله يقدم عدلى للسلطان فؤاد تقريرا مؤكدا رفض المشروع الذى انتهت إليه المفاوضات لأنه لا يحقق مطالب مصر. ثم قدم استقالة وزارته.

وفى يوم ٢١ ديسمبر ١٩٢١، تقوم السلطة العسكرية البريطانية بمنع اجتماع دعا إليه سعد زغلول للنظر فى الاحوال الراهنة. كذلك انذرت السلطة سعد بالابتعاد عن السياسة، ونصحته بترك القاهرة والاقامة فى الريف. كذلك أصدرت نفس الامر لكل من: فتح الله بركات، وعاطف بركات، ومصطفى النحاس، وصادق حسانين، ومكرم عبيد، وجعفر فخرى، وسينوت حنا، وامين عزالعرب، وقد رفض جميعهم هذا الانذار.

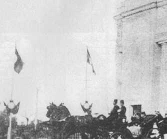
فما كان من سلطات الاحتلال، ردا على الرفض إلا أن قامت باعتقال سعد والآخرين، ونفيهم إلى جزيرة سيشل بالمحيط الهندى، ما عدا عزالعرب الذى قبل ان يعيش فى عزبة والده ببلدة السنطة بالغربية، وصادق حسانين الذى اعتكف فى بيته بالزيتون.

وتستقيل وزارة عدلى ويقبلها السلطان، ويصدر اللورد اللنبى قرارا بتولى وكلاء الوزارات فى الوزارة المستقيلة اعمال الوزراء المستقيلين.

وتبدأ أحداث عام ١٩٢٢ بقرار الوفد فى ٢٢ يناير بتنظيم المقاومة السلبية ضد الاحتلال، وذلك بعدم التعاون والمقاطعة.

وفى يوم ٢٨ فبراير ١٩٢٢، يصدر التصريح الشهير باسم هذا اليوم (تصريح ٢٨ فبراير) من جانب واحد وهو بريطانيا، الذى يمهد لتشكيل وزارة من المعتدلين ويفتح باب المفاوضات أمامهم مع انجلترا.

ولقد اعترفت انجلترا فى التصريح، لاول مرة، باستقلال مصر، مع احتفاظها بأربع مسائل حتى يتم الاتفاق عليها وهى: تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية فى مصر، والدفاع عن مصر ضد اى اعتداء أجنبى، وحماية المصالح الاجنبية وحماية الاقليات، ومسألة السودان.



الملك فؤاد فى افتتاح أول معرض زراعى دولى مصرى عام ١٩٢٦



الأمير فؤاد يوم افتتاح الجامعة عام ١٩٢٣





.. وفى افتتاح البرلمان عام ١٩٢٤

وفى يوم ١٥ مارس يعلن السلطان فؤاد الاستقلال ويتخذ لقب ملك فيصبح ملك مصر، وقد أطلقت المدافع ابتهاجا فى القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والخرطوم وسواكن لهذه المناسبة واعتبر يوم ١٥ مارس عيدا وطنيا تعطل فيه المصالح الحكومية.

وقد تشكلت الوزارة الجديدة برئاسة عبدالخالق ثروت باشا، واحتفظ لنفسه إلى جانب رئاستها بوزارتى الداخلية والخارجية، وعين اسماعيل صدقى للمالية، وابراهيم فتحى للحربية والبحرية، وجعفر والى للاوقاف، ومصطفى ماهر للمعارف، ومحمد شكرى للزراعة، ومصطفى فتحى للحقانية، وحسين واصف للأشغال، وواصف سميكة للمواصلات.

وفى يوم ١٣ مايو يصدر أمر ملكى بنظام وراثة العرش، وينص على ان الملك وراثى فى اسرة محمد على، وينتقل إلى أكبر أبناء صاحب العرش، واذا توفى قبل أن تنقل إليه الولاية تنتقل إلى أكبر ابنائه حتى لو كان للمتوفى أخوة.. وقد جاء هذا الامر ليصحح ما قررته انجلترا فى يوم ١٥ ابريل ١٩٢٠. ■■

فى الحلقة المقبلة السلطان فؤاد يعلن الاستقلال ويصبح الملك فؤاد

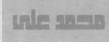
العدد ٨١٥ـ ٣ أغسطس ٢٠٠٥

أبيض وأسود

مصر فى ١٥٠ سنة

وفاة سعد باشا وظهور النحاس



محمد على




ابراهيم

عباس الأول



مصر مملكة مستقلة لأول مرة مع فؤاد

سعيد

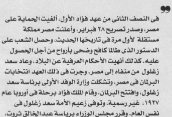


اسماعيل



1922 : 1936

توفيق



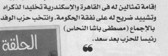
"فى النصف الثانى من عهد فؤاد الأول، ألغيت الحماية على مصر، وصدر تصريح ٢٨ فبراير، وأعلنت مصر مملكة مستقلة لأول مرة فى تاريخها الحديث، وحصل الشعب على الدستور الذى طالما كافح وضحى بأرواح من أجل الحصول عليه. كذلك أنهيت الأحكام العرفية عن البلاد، وعاد سعد زغلول من منفاه إلى مصر. وجرت فى ذلك العهد انتخابات البرلمان فى مصر، وتشكلت وزارة الوفد الأولى برئاسة سعد زغلول، وافتتح البرلمان، وقام الملك فؤاد برحلة فى أوروبا عام ١٩٢٧، غير رسمية، وتوفى زعيم الأمة سعد زغلول فى نفس العام. وقرر مجلس الوزراء برياسة عبدالخالق ثروت، إقامة تمثالين له فى القاهرة والإسكندرية تخليدا لذكراه وتشييد ضريح له على نفقة الحكومة. وانتخب حزب الوفد بالإجماع (مصطفى باشا النحاس) رئيسا للحزب بعد سعد."



عباس حلمى



حسين كامل





فؤاد الأول
١٩٢٢ : ١٩٣٦



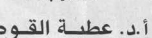
فاروق الأول

الحلقة السابعة عشرة



الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :



أ.د. عطية القوصى



الملك فؤاد



فـؤاد الأول

١٩٢٢ : ١٩٣٦

فى شهر فبراير عام ١٩٢٨ يضع الملك فؤاد حجر الأساس لبناء الجامعة المصرية وتسميتها بجامعة فؤاد الأول. ويستمر الملك فؤاد فى الحكم مع استمرار الاضطرابات السياسية، وقيام بعض الإصلاحات الاجتماعية والمشروعات العمرانية حتى وفاته يوم ٢٨ إبريل عام ١٩٣٦، فى قصر القبة ويدفن فى مدافن العائلة المالكة بمسجد الرفاعى بالقاهرة.

وفاة سعد باشا وظهور النحاس

كان تصريح ٢٨ فبراير بتحفظاته الأربعة، قد أدى إلى إنهاء الحماية على مصر، والاعتراف باستقلال مصر، وباعلان فؤاد الأول ملكا عليها. الا ان هذا الاستقلال كان استقلالا اسميا، وقد سعت بريطانيا لبذر بذور الشقاق والانقسام بين عناصر الامة حتى تتمكن من الاتفاق مع اكثر هذه العناصر هدوءا واعتدالا. كذلك كان قبول هذا التصريح يمثل بداية ظاهرة الانشقاقات داخل الوفد المصرى.

كل هذا حق لا مراء فيه. ولكن الامر الذى لا نزاع فيه ايضا هو ان القضية المصرية قد انتقلت بهذا التصريح خطوة إلى الامام، لان مصر قد كسبت فيه اعتراف بريطانيا العظمى باستقلالها، وهذا الاعتراف دون شك، يرفع من شأنها بازاء انجلترا ذاتها، وبازاء الدول التى سبق لها الاعتراف بالحماية البريطانية، ثم بازاء الدول والبلاد الاخرى عامة. وهى كدولة مستقلة ذات سيادة امكنها ان تستقل ببعض شئونها الداخلية، وأن تتخذ الدستور نظاما للحكم فيها، ذلك الدستور الذى قامت انجلترا بإلغائه عام ١٨٨٣ عقب احتلالها مصر، وحالت دون تمتعها به طيلة سنى الاحتلال.

وفى اول مارس ١٩٢٢ طلب الملك فؤاد من (عبدالخالق ثروت باشا) تأليف الوزارة، بعد استقالة حكومة عدلى يكن باشا، فى كتاب نوه فيه بتصريح ٢٨ فبراير وماتضمنه من انهاء الحماية البريطانية على مصر والاعتراف باستقلالها. وأعرب عن امله فى أن تحقق الامة كل امانيها فى هذا الدور الجديد من حياتها السياسية وطلب ان تعد الوزارة مشروع (الدستور) ليكون للبلاد نظام دستورى يحقق التعاون بين الامة والحكومة.

وبالفعل قام عبدالخالق ثروت بتأليف الوزارة، واعلن السلطان فؤاد فى ١٥ مارس ١٩٢٢، استقلال البلاد، واتخذ لقب صاحب الجلالة ملك مصر. واطلق لهذه المناسبة المدافع فى عواصم المديريات، واعتبر يوم الاعلان يوم عيد وطنى.

وبذلت وزارة ثروت سعيا محمودا فى تحقيق بعض مظاهر الاستقلال، فأنشأت وزارة للخارجية تولاها ثروت، بعد ان كانت الوزارة ملغاة طوال عهد الحماية. وألغت الوزارة وظيفة مستشار وزارة الداخلية، وكان آخر المستشارين البريطانيين، السير (جلبرت كليتون) كذلك توقف حضور المستشار المالى البريطانى جلسات مجلس الوزراء بعد ان كان متمتعا بهذا الحق طيلة عهد الاحتلال والحماية. وعينت الوزارة وكلاء مصريين للوزارات بدلا من الوكلاء الانجليز. وعنيت الحكومة عناية موفقة بايفاد البعثات العلمية إلى



▲▲ الملك فؤاد فى حفل افتتاح شركة المياه بالفيوم

الخارج. فأوفدت عددا كبيرا من خريجى المدارس العليا وطلابها إلى جامعات اوروبا وامريكا لتخريج اخصائيين مصريين يشغلون الوظائف الفنية ويضطلعون بالاعمال المتصلة بنهضة مصر ويحلون محل الاجانب فى الوظائف التى احتكروها فى عهد الاحتلال والحماية. كما أنشأت (المجلس الاقتصادى) للعناية بأمور مصر الاقتصادية.

واصدر الملك فؤاد فى ١٣ ابريل ١٩٢٢، امرا ملكيا خاصا بنظام وراثة العرش. يقضى بأن الملك وراثى من اسرة محمد على. وان ولاية الملك تنتقل من صاحب العرش إلى اكبر ابنائه، ثم إلى اكبر ابناء ذلك الابن الاكبر. وهكذا طبقة بعد طبقة.

واذا توفى اكبر الابناء قبل ان تنتقل إليه ولاية الملك كانت الولاية إلى اكبر ابنائه ولو كان للمتوفى اخوة.. يشترط فى كل الاحوال ان يولد الابناء من زوجة شرعية.

وتطبيقا لقاعدة توارث العرش. نصت المادة الثانية فى ختامها على: «ولاية الملك من بعدنا لولدنا المحبوب الامير فاروق». ونصت المادة الثالثة على طريقة انتقال ولاية الملك فى حالة ما اذا لم يكن لصاحب العرش عقب. ونظمت بقية المواد احكام انتقال وراثة العرش فى كل الاحوال المحتملة.

والفت وزارة ثروت فى ٣ ابريل ١٩٢٢ لجنة لوضع مشروع الدستور وقانون الانتخاب وعهدت برئاستها إلى حسين رشدى باشا. وقد عرفت هذه اللجنة (بلجنة الثلاثين) لان اعضاءها كانوا ثلاثين عدا الرئيس ونائب الرئيس.

واتمت اللجنة مهمتها. ووضعت الدستور. وهو فى مجموعه من خير الدساتير. وقد وضع على احدث المبادئ العصرية.

ورفعت اللجنة مشروع الدستور إلى ثروت باشا يوم السبت ٢١ اكتوبر ١٩٢٢. كما رفعت إليه مشروع قانون الانتخاب الموافق للدستور. بعد ايام قليلة.. وكان ثروت حادا فى بناء دار البرلمان. اذ شرعت وزارة الاشغال فى اقامة الدار منذ اغسطس ١٩٢٢. وتوسيع بناء الجمعية التشريعية ليكون مقرا لمجلس الشيوخ. ولكن استقالة ثروت من الوزارة حالت دون صدور الدستور.

قدم ثروت استقالته إلى الملك فؤاد يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢. فقبلها فى اليوم نفسه. ولم يذكر ثروت فى كتاب استقالته الاسباب التى دعته إلى التخلى عن الحكم. وانما ذكر فيه برنامجه الذى اعلنه فى خطاب تأليف وزارته وعدد الاعمال التى حققها من ذلك البرنامج.

ورغم عدم ذكر ثروت أسباب استقالة وزارته. فإن المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى حلل اسباب هذه الواقعة. مستشفا ذلك التحليل من عبارة وردت فى كتاب ثروت للخديو وهى قوله:

«وقد كنت ارجو ان امضى مع زملائى فى تنفيذ برنامجنا حتى تمامه ولكنى ارى ان اترك الامر لغيرى». وقد استدل الرافعى من ورود هذه العبارة بان ثروت استقال مرغما. اذ كان «يرجو» ان يمضى فى تنفيذ برنامجه. ولكن رجاءه لم يتحقق. ولم يبن استقالته على اسباب صحية كما جرت بذلك العادة فى كثير من الاستقالات. فلابد ان تكون هناك اسباب قوية لم يشأ ذكرها فى كتابه للملك فما هى تلك الاسباب التى أدت إلى استقالته وحالت دون تحقيق ما كان «يرجو» من المضى فى تنفيذ برنامجه حسب تعبيره.

جاء تحليل الرافعى أن الملك فؤاد لم يكن

فـــؤاد الأول

١٩٢٢ : ١٩٣٦





الملك فؤاد

◀◀ الأميرة فاطمة إسماعيل وشقيقها الصغير الأمير" أحمد فؤاد



يميل إلى بقاء ثروت فى الحكم، بل لم يكن ميالا فى الاصل إلى إسناد الوزارة إليه، ولكن ضغط الحوادث كان اقوى منه، فاحتمل ثروت على كره منه، مضمرا انتهاز اقرب فرصة لاسقاطه. إضافة إلى انه لم يكن يميل ايضا إلى صدور الدستور.

اما عدم ميله لثروت، فذلك لان شخصية ثروت طغت على شخصيته ولاقى الحب من الناس، وايضا لان ثروت كان ذا شخصية كبيرة لاتخضع فى كل الامور لما يطلب الملك، ولذا لم يكن ثروت من الطراز الذى يرتضيه، فهو كحاكم مستبد يؤثر رئيس وزراء لا ارادة له ووزراء يكونون مجرد موظفين فى بلاطه يأتمرون بأوامره. ولذلك أراد التخلص من ثروت ووزارته، وما ان جاءت الاستقالة من ثروت حتى سارع بقبولها للخلاص من شخصه. ولم يشفع لثروت انه كان له الفضل، بحسن مسعاه، فى التعظيم من شأنه اذ صار «صاحب الجلالة الملك» بعد ان كان سلطانا تحت الحماية البريطانية. لم يكن لهذا الفضل اثر فى نفسه، بل كان له اثر عكسى، وهذه خاصية من خصائص الملوك المستبدين، الذين يحقدون على اصحاب الفضل عليهم.

ومن جانب آخر كان ثروت جادا فى وضع الدستور واستصدار الأمر الملكى به وكان يستحث لجنة الدستور بسرعة انجازه حتى يصدر وهو لايزال فى الوزارة وقد أتمت اللجنة وضعه وقدمه ثروت فعلا إلى السراى كما وضعته اللجنة لكن الملك فؤاد لم يكن لديه ميل إلى إصداره لأنه رآه كما يقول : يغل سلطته ويجعل مرجع الحكم إلى الشعب لا إليه هو وهذا ما لا يبغيه الملك..

وكان لابد إذن للملك من تنحية ثروت عن الحكم لكى يتغير مجرى الأمور من بعده فيتعطل اصدار الدستور وقد يجهض قبل أن يولد.

وكان من نتائج سقوط وزارة ثروت أن خلفتها وزارة محمد توفيق نسيم التى لم تكن تتعاطف مع الدستور ولاتبغى ظهوره وانتهزت السياسة البريطانية هذه الفرصة لتطلب حذف نصوص السودان من الدستور إذ وجدت من التلكؤ فى اصداره فرصة انتهزتها لتطل على نصوصه وتحذف ماشاءت لها أغراضها وقد استجاب نسيم لطلباتها..

ولم تدم وزارة نسيم سوى ٦٥ يوما استقالت بعدها وقد قامت خلال هذه المدة القصيرة بتنفيذ مطالب انجلترا الخاصة بالدستور فحذفت النصوص الخاصة بالسودان التى تنص على أن لقب الملك «ملك مصر والسودان» وأقرت بأن تجرى أحكام الدستور على المملكة المصرية دون ذكر أن السودان جزء من هذه المملكة.

وبعد استقالة وزارة نسيم بشهر فوجئت البلاد فى ١٥ مارس ١٩٢٣ بتأليف وزارة يحيى باشا ابراهيم وقد بدأ رئيس الوزراء عمله بأن أدلى بحديث ذكر فيه أنه معتمد فى أداء مهمته على مساعدة المندوب السامى البريطانى ولم يصدر من قبل مثل هذا التصريح من رئيس وزراء وإن كان أغلبهم سار على منهاجه ..

ويوم ١٩ ابريل ١٩٢٣ صدر الأمر الملكى بالدستور طبقا للمشروع الذى وضعته لجنة الدستور محذوفا منه النصان الخاصان بالسودان.

وقد رفعه يحيى باشا إلى الملك يطلب توقيعه ووقعه الملك بسراى عابدين يوم ١٩ ابريل ١٩٢٣.

وفى ٣٠ ابريل صدر قانون الانتخاب لأعضاء مجلس النواب وفى هذا اليوم أفرج عن سعد زغلول وسافر من جبل طارق إلى فرنسا للاستشفاء كما أفرجت السلطة العسكرية عن المعتقلين فى مصر من أعضاء الوفد والمعتقلين منهم فى جزيرة سيشيل وأفرج أيضا عن كثير من المعتقلين السياسيين.

وفى يوم ٥ يوليو ١٩٢٣ أصدر اللورد اللنبى أمرا بالغاء الأحكام العرفية من البلاد.

وفى شهر سبتمبر عاد سعد زغلول إلى مصر فاحتفلت الأمة بمقدمه احتفالات عظيمة فى الإسكندرية والقاهرة والمدن التى مر بها القطار الذى أقله من الإسكندرية إلى القاهرة.

وقابل سعد الملك فؤاد فى قصر المنتزه يوم وصوله إلى الإسكندرية وعاد من أوروبا فى تلك السنة بعض أقطاب الحزب الوطنى وكانوا فيها مبعدين ومنهم : على فهمى وعبدالعزيز جاويش والدكتور عبدالحميد سعيد والدكتور نصر فريد واسماعيل لبيب وغيرهم..

وقد قررت الوزارة بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٢٣ اقفال جريدة اللواء لسان حال الحزب الوطنى نهائيا بحجة الاخلال بالنظام العام.

ولقد تمت انتخابات مجلس النواب يوم ١٧ يناير ١٩٢٤ وكانت الدلائل والملابسات تدل على أن الوفد سينال الأغلبية الساحقة فى الانتخابات فشخصية



سعد باشا زغلول فى صورة تذكارية مع تمثال
نهضة مصر عام ١٩٢٧ وقبل وفاة سعد بثلاثة أيام

المثال مختار مع الزعيم سعد زغلول وحسين باشا رشدى أثناء زيارة سعد باشا لموقع عمل تمثال نهضة مصر عام ١٩٢٧

سعد وزعامته للأمة والمنزلة التى نالها فى نفوس المصريين كانت وحدها كفيلة بهذا الفوز ولم يكن يزاحم الوفد سوى عدد قليل من مرشحى الحزب الوطنى والأحرار الدستوريين وبعض المستقلين..

وفى يوم ١٢ يناير ١٩٢٤ يعلن فوز حزب الوفد فى أول انتخابات من اجل الدستور حيث نال ٩٠٪ من المقاعد فى مجلس النواب بينما سقط رئيس الوزراء يحيى ابراهيم فى دائرته منيا القمح وفاز عبدالرحمن الرافعى مرشح الحزب الوطنى فى المنصورة أمام على عبدالرازق مرشح الوفد بفارق صوت واحد.

وفى يوم ٢٨ من نفس الشهر يشكل الوفد أولى وزاراته برئاسة سعد زغلول الذى احتفظ لنفسه بوزارة الداخلية وعين محمد سعيد وزيرا للمعارف ومحمد توفيق نسيم للمالية وأحمد مظلوم للأوقاف وحسن حسيب للحربية والبحرية ومحمد فتح الله بركات للزراعة ومرقس حنا للأشغال ومصطفى النحاس للمواصلات وواصف بطرس غالى للخارجية ومحمد نجيب الغرابلى للحقانية.

وكان الملك فؤاد قد عهد إلى سعد زغلول تأليف الوزارة فى كتاب أرسله إليه يوم ٢٨ يناير ١٩٢٤ أغفل فيه أن تكليفه بالوزارة قد



الزعيم سعد زغلول يجلس أمام فنان روسى ليصنع له تمثالا





ثورة ١٩١٩



اللورد اللنبى .. أسهم فى القضاء على ثورة ١٩١٩ .

جاء نتيجة نيله ثقة الأمة فى الانتخابات فلم يشر إلى ذلك على الاطلاق واقتصر كتابه على العبارات التقليدية التى تكتب لمن يختاره ولى الأمر لتأليف الوزارة وسقوطها ولايعترف بسلطة الأمة ويحقها فى اختيار حكامها .. وقد أكمل سعد هذا النقص فى جوابه إلى الملك إذ جعل أول سبب لولايته الحكم احترام إرادة الأمة وارتكاز الحكومة على ثقة وكلائها.

وقد استقبلت الأمة وزارة سعد بالفرح والسرور وأطلقت عليها اسم الوزارة الشعبية وقد حفل تاريخ هذه الوزارة بأعمال مهمة أسعدت الشعب منها : الافراج عن المسجونين السياسيين وحفاظها على مقبرة توت عنخ آمون ومحتوياتها واستخدام حقها فى عدم تدخل كل من المندوب السامى والخديو فى شئونها ..

وجرت انتخابات مجلس الشيوخ يوم ٢٣ فبراير ١٩٢٤ وعدد دوائرها ٧١ دائرة ولم تتدخل الوزارة فى الانتخابات وفاز المرشحون الوفديون فى معظم الدوائر.

وأثار تشكيل المجلس أول خلاف بين سعد والملك حيث كان التشكيل على أساس انتخاب ثلاثة أخماس الأعضاء ويعين الباقون وعددهم ٤٨ عضوا وقد تمسك كل منهما بحقه فى التعيين.

واحتكم الطرفان إلى البارون البلجيكى (فان دن بوش) النائب العام أمام المحاكم المختلطة فحكم لمصلحة الوزارة وارتضى الطرفان بحكمه.

وافتتح البرلمان يوم ١٥ مارس ١٩٢٤ وكان يوما مشهودا فى تاريخ مصر الحديث وقد افتتح الملك فؤاد الجلسة بقسم اليمين الدستورية وإلقاء خطاب العرش.

وبدأت المشكلات تواجه حكومة سعد التى كانت تضيق ذرعا بالمعارضة سواء داخل البرلمان أو خارجه، وكانت تنظر للمعارضين بعين الحقد كذلك فإن من عيوب هذه الحكومة استبقاءها آفة المحسوبية فى وظائف الدولة وقد ظهرت هذه المحسوبية فى التعيينات والترقيات.

ولقد سببت كذلك الأحداث فى السودان وصدام الوطنيين هناك مع السلطات الانجليزية المتاعب لحكومة الوفد مع سلطة الاحتلال.

ووقع اعتداء على سعد زغلول يوم السبت ١٢ يوليو ١٩٢٤ وهو يستعد للسفر إلى الإسكندرية لتقديم التهنئة للملك فؤاد بمناسبة عيد الأضحى فبينما هو يسير على رصيف المحطة قاصدا الصالون المخصص له فى القطار الذى سيقله إلى الإسكندرية يطلق عليه شاب الرصاص من مسدسه فأصابه فى ذراعه اليمنى وهجمت الجماهير على الشاب وقبضت عليه قبل أن يجهز على الزعيم وتبين أن الجانى شاب مصرى كان طالبا بالطب فى برلين واتضح من الفحص الطبى على الشاب أنه





النساء تخرج لأول مرة فى ثورة ١٩١٩

مجنون فأودع مستشفى الأمراض العقلية واسم هذا الطالب هو عبدالخالق عبدالمطلب.

وفى يوم ٢٥ سبتمبر تبدأ المحادثات المصرية الانجليزية بين سعد والمستر (رمزى ماكدونالد) رئيس وزراء حزب العمال البريطانى حول المسألة المصرية والسودان وانتهت هذه المباحثات بدون اتفاق بين الطرفين بسبب اصرار ماكدونالد على حماية بريطانيا للقناة لأن جميع استراتيجيات الامبراطورية تدور حولها ورفض سعد أن يكون أى جزء من مصر تحت الحكم البريطانى.

وعاد سعد من لندن دون أن يتفق مع ماكدونالد وبعد عودته أدخل تعديلا فى الوزارة بتعيين فتح الله بركات باشا وزيرا للداخلية وأحمد ماهر وزيرا للمعارف ومحمود فهمى النقراشى وكيل محافظة مصر وكيلا لوزارة الداخلية.

وقد واجه سعد بعد قطع المحادثات تدابير ومؤامرات قوية لاسقاط حكومته من قبل السراى وقد أدرك الملك فؤاد تزعزع مركز سعد بعد قطع محادثاته مع الإنجليز، وأن مركزه ازداد سوءاً بعد سقوط حزب العمال فى الانتخابات الانجليزية أواخر شهر اكتوبر وفوز حزب المحافظين وتشكيل الوزارة منه فبدأت السراى تبذل مساعيها لاسقاط وزارة سعد لأنها تعلم كراهية المحافظين الانجليز للوزارات الشعبية.

ولقد قام الملك فؤاد بتحريض الأزهريين ضد حكومة سعد فخرج طلبة المعاهد الدينية فى مدن مصر فى مظاهرات هتفوا فيها بهتاف لم يكن مألوفا من قبل وهو لا رئيس إلا الملك بعد أن كان نداؤهم المعتاد والمألوف لا رئيس إلا سعد.

وفى ١٥ نوفمبر ١٩٢٤ قدم سعد زغلول استقالة وزارته إلى الملك فؤاد فما إن ذاع هذا النبأ حتى اهتزت العاصمة لهذه الاستقالة غير المتوقعة بهذه السرعة ..

وحضر سعد فى مساء ذلك اليوم جلسة مجلس النواب وأعلن فيها أنه قدم استقالته إلى الملك لأن صحته لم تعد تحتمل أعباء منصبه ومتاعبه، وأعلن ذلك أيضا فى مجلس الشيوخ، فقوبلت الاستقالة فى كلا المجلسين بالرفض وباعلان الثقة بالوزارة.

وأوفد مجلس الشيوخ رئيسه زيور باشا ووكيليه أحمد زكى أبوالسعود باشا، وعلوى بك الجزار إلى القصر الملكى ليعرضوا على الملك رغبة المجلس فى عدم قبول استقالة سعد، فاستقبلهم الملك، وأبلغهم بأنه ساءه استعفاء سعد باشا، وأنه أعرب له عن ثقته به وعن أمله فى العدول عن الاستقالة.

وبعد انتهاء جلستى المجلسين ذهب كثير من النواب والشيوخ إلى بيت الأمة ليستوضحوا من سعد السبب الحقيقى الذى دعاه إلى الاستقالة فأجابهم بقوله: «هنالك مشكلات خارجية ومشكلات داخلية، وهنالك أيضا دسائس» فاستزادوه صراحة فى البيان، فلم يجب إلا بقوله: «أنا لا أحب العمل فى الظلام ومن أجل هذا لابد لى من الاستقالة» وكان معروفا انه يقصد دسائس السراى، وقد صرح بذلك إلى خاصة رجاله.

وقد عدل سعد عن الاستقالة حين قدم مطالبه إلى الملك وهى تنحصر فى عدم انفراد الملك بمنح الرتب والنياشين ولابتعيين موظفى القصر بغير موافقة الوزارة، وقد قام الملك بالموافقة على هذه المطالب.

وكان الظن بعد ان تم اتفاق الملك وسعد زغلول على المسائل التى كانت مثار الخلاف بينهما ان تستقر الحياة الدستورية فى البلاد، ويتوطد حكم الشعب، ولكن لم يكد يمضى يومان على هذا الاتفاق حتى وقع حادث مروع عصف بالوزارة وبالحياة الدستورية معاً.. كما عصف بحقوق البلاد وبوحدة مصر والسودان هذا الحادث هو مقتل السير «لى ستاك» Lee Stak سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام.

ففى نحو الساعة الثانية بعد الظهر من يوم الأربعاء ١٩ نوفمبر ١٩٢٤، بينما كان السردار عائدا فى سيارته من مكتبه بوزارة الحربية إلى داره (بالزمالك)، أطلق عليه الرصاص خمسة أشخاص كانوا متربصين له فى سيارة بشارع إسماعيل أباظة، فأصيب السردار ومن كان معه اصابات بالغة، توفى السردار على أثرها فى اليوم التالى للحادث.

وقد أضر اغتيال السردار بالبلاد ضررا بليغا، وترتب عليه نتائج أليمة تمثل فيها الاعتداء على حقوقها وسيادتها، ولم تكن هذه الجريمة مصوبة ضد شخصية من أكبر الشخصيات البريطانية فحسب، بل كانت مصوبة أيضا إلى وزارة سعد، حتى كأنها دبرت لاسقاطها.

وشيعت جنازة السردار باحتفال مهيب صباح السبت ٢٢ نوفمبر، وفى الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم، ذهب اللورد «اللنبى»، المندوب السامى البريطانى إلى دار رئاسة مجلس الوزراء فى مظاهرة عسكرية يتقدمه ٢٥٠ جنديا بريطانيا، ويتبعه مثل هذا العدد، وقابل سعد فى مكتبه مقابلة جافة، وقدم إليه إنذارين محررين باللغة الانجليزية، بعد ان تلا عليه نصيهما وانصرف عائدا إلى الوكالة البريطانية.

وقد تضمن الانذاران البريطانيان المطالب التالية:

اعتذار الحكومة المصرية عن الحادث، والبحث عن الجناة





وايقاع أشد العقوبات عليهم، وأن تمنع الحكومة وتقمع أى مظاهرة شعبية، وان تدفع الحكومة المصرية للحكومة البريطانية غرامة مبلغ نصف مليون جنيه، وان تسحب الحكومة الجيش المصرى من السودان، واطلاق يد الحكومة السودانية فى زيادة مساحة أطيان اقليم الجزيرة إلى أى مساحة ترغب فيها، وألا تعارض الحكومة رغبات انجلترا فيما يتعلق بحماية مصالح الأجانب، مع استبقاء منصبى المستشار المالى والقضائى واحترام سلطاتهما وامتيازاتهما.

وفى يوم ٢٣ نوفمبر، ردت الحكومة على اللورد اللنبى ويتلخص فى نفى مسئوليتها عن الحادث، وقبولها المطالب الأربعة الأولى بما فيها التعهد بقمع المظاهرات الشعبية، ولم يقبل سعد المطالب كلها.. ولما أصدر اللنبى تعليماته إلى حكومة السودان باخراج الجيش المصرى من السودان، وأمر قواته باحتلال جمارك الإسكندرية، قدم سعد استقالة حكومته للملك، وقبل الملك الاستقالة فى اليوم التالى، وتتشكل وزارة جديدة فى نفس اليوم برئاسة (أحمد زيور باشا) رئيس مجلس الشيوخ.

ويجتمع مجلسا النواب والشيوخ، ووضع حمد الباسل، وأحمد خشبة، ومكرم عبيد، وعبدالرحمن الرافعى صيغة احتجاج يقدم للملك، وقد وافق الأعضاء عليها، تؤكد التمسك بالاستقلال واستنكار استغلال انجلترا حادث مقتل السردار للانتقام من الأمة، ورفع الأمر إلى عصبة الأمم.

وبعد تقديم هذا الاحتجاج بيومين، تعتقل السلطات البريطانية عبدالرحمن فهمى ومكرم عبيد عضوى مجلس النواب، ومحمود فهمى النقراشى، وكيل وزارة الداخلية.

وفى يوم ٢٤ تصدر الوزارة قرارا بحل البرلمان، وتحديد يوم ٦ مارس ١٩٢٥ موعدا لانعقاد المجلس الجديد، وفى يوم ١٢ مارس تجرى الانتخابات، ويفوز حزب الوفد بأغلبية أقل من السابقة.. ورغم هذه النتيجة فقد استمر زيور باشا رئيسا للوزراء، وفى يوم ٢٢ ابريل تصدر الوزارة أمرا بحل مجلس النواب فى نفس يوم انعقاده.

وفى شهر مايو يستقيل اللورد اللنبى من منصب المعتمد البريطانى، ويعين (لويد جورج) مكانه. وفى شهر يونيو يصدر الحكم فى قضية مقتل السير لى ستاك، وقضى باعدام سبعة متهمين، وبالأشغال الشاقة للثامن وبالحبس سنتين للتاسع.

وفى ٧ يونيو ١٩٢٦ يقدم زيور باشا استقالة وزارته، فيقبلها الملك فى



الملكة نازلى فى عدة صور مع ابنها البكر الأمير فاروق



اليوم نفسه بعد ان تم الاتفاق على ان يؤلف الوزارة عدلى يكن باشا. وألف عدلى الوزارة فى نفس اليوم.. واجتمع البرلمان يوم ١٠ يونيو برئاسة حسين رشدى باشا، رئيس مجلس الشيوخ. وحضر الملك فؤاد جلسة الافتتاح واجتمع مجلس النواب، وانتخب سعد زغلول رئيسا له، ومصطفى النحاس، وويصا واصف وكيلين. وكانت حوادث عام ١٩٢٦ ربحا للأمة، بعد ان كانت سنة ١٩٢٥ سنة الرجعية والحكم المطلق.

وفى عهد هذه الوزارة احتفل بتأسيس مدينة (بورفؤاد) فى ديسمبر ١٩٢٦. وهى مدينة انشأتها شركة قناة السويس. ولقد استقالت حكومة عدلى فجأة وعلى غير انتظار يوم ١٩ ابريل ١٩٢٧. لاتخاذ مجلس النواب قرارا برفض اقتراح قدمه بعض الأعضاء بتوجيه الشكر للوزارة على ماقدمته من دعم (لبنك مصر) وطلب استمرار هذا الدعم.

وفى يوم ٢٦ ابريل تتشكل الوزارة الجديدة برئاسة عبدالخالق ثروت باشا. مع احتفاظه لنفسه بوزارة الداخلية.

وفى شهر يونيو من عام ١٩٢٦. قام الملك فؤاد برحلة سياحية فى أوروبا على اليخت (المحروسة) مع حاشيته. والتقى هناك بملوك أوروبا الذين رحبوا بمقدمه أشد ترحيب. فزار باريس. ثم لندن. ثم إيطاليا. ثم فيشى للاستشفاء. ثم بلجيكا.

وفى ١٧ أغسطس أبحرت الملكة (نازلى) على اليخت الملكى (المحروسة) من الإسكندرية إلى أوروبا. لتلحق بالملك فى رحلته. وعاد الملك والملكة من رحلتهما إلى القاهرة يوم ١٦ نوفمبر.

وأثناء وجود الملك فؤاد فى أوروبا فى رحلة السياحة هو وزوجته الملكة نازلى وافت المنية (زعيم الأمة) سعد زغلول. مساء يوم الثلاثاء ٢٣ أغسطس ١٩٢٧.

فما إن ذاع نعى الزعيم حتى ارتجت البلاد لوفاته. وعم الحزن أرجاء الوادى. ونعاه مجلس الوزراء فى بيان قال فيه: «ينعى مجلس الوزراء إلى الأمة المصرية مع الأسف الشديد والحزن العميق حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل وزعيم الأمة العظيم ورئيس مجلس النواب سعد زغلول باشا. فقد وافاه القدر المحتوم حوالى الساعة العاشرة من مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧. عقب مرض لم يمهله طويلا ولم يعطف على مستودع آمال الأمة ومحل رجائها وقائد نهضتها وحامل لواء الدفاع عن حقوقها. وإلى الله مرجعه وله منه الرحمة والرضوان وإلى الشعب المصرى جميل العزاء. وستشيع الجنازة فى الساعة الرابعة بعد ظهر الأربعاء الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٧ من بيت الأمة إلى مدافن الفقيد بالإمام الشافعى».

ونعته الصحف والهيئات والأحزاب نعيا بالغ الأثر فى تقدير الزعيم الراحل. وشيعت جنازته عصر يوم الأربعاء. فى موكب رهيب احتشد فيه جميع المشيعين من كل طوائف الشعب لتوديعه إلى مقره الأخير.. وشيع جثمانه إلى قبره المؤقت بحى الإمام الشافعى.

واجتمع مجلس الوزراء عقب وفاة الزعيم وقرر تخليدا لذكراه: اقامة تمثال له فى العاصمة وآخر فى الإسكندرية. وشراء منزله (بيت الأمة) وضمه إلى الأملاك العمومية المخصصة للمنافع العامة على ان يبقى حق السكنى فيه لحرم الفقيد مدى الحياة. وانشاء مستشفى أو ملجأ فى العاصمة يحمل اسم سعد زغلول. وشراء البيت الذى ولد فيه الزعيم ببلدة (إبيانه). مركز فوه بكفر الشيخ. وضمه إلى الاملاك العامة. وتشييد ضريح للفقيد على نفقة الحكومة وقد نقل جثمان الزعيم إلى ضريحه الحالى يوم الجمعة ١٩ يونيو ١٩٣٦ فى احتفال كبير.

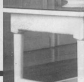
وفى يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٢٧. قرر حزب الوفد بالاجماع انتخاب مصطفى باشا النحاس رئيسا للحزب. وكان فتح الله بركات ابن اخت سعد ينافس النحاس على المنصب ويريد أن يرث خاله فيه.

وجرت فى أواخر شهور عام ١٩٢٧ إضرابات عمالية كثيرة تستهدف زيادة الأجور. وتحسين أحوال العمال. وشهدت ايضا تلك الفترة بداية نشاط جماعة (الأخوان المسلمين) فى الإسماعيلية كجماعة دينية لا شأن لها بالسياسة.

وفى شهر فبراير ١٩٢٨ فى اليوم السابع يضع الملك فؤاد حجر الاساس لبناء الجامعة المصرية جامعة فؤاد الأول ثم جامعة القاهرة بحدائق الاورمان بالجيزة.

وبعد ثلاثة ايام من ذلك يضع الملك فؤاد حجر اساس قناطر نجع حمادى على النيل.

وفى يوم ١٧ مارس يشكل مصطفى النحاس باشا أول وزارة له وهى وزارة ائتلافية من حزب الوفد وحزب الاحرار الدستوريين





أول محاولة طيران كانت من الياور الخاص بالملك فؤاد أحمد حسنين باشا ولكنها فشلت وسقطت الطائرة



الملك فؤاد

وقد احتفظ النحاس بوزارة الداخلية إلى جانب رئاسة الوزراء ويتولى (ويصا واصف) رئاسة مجلس النواب بعد خلو المنصب بتولى النحاس رئاسة الوزراء.

وفى يوم ٢٠ مايو من هذا العام احتفل الملك فؤاد ورئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا بازاحة الستار عن تمثال (نهضة مصر) الذى صممه وصنعه المثال الكبير محمود مختار فى ميدان باب الحديد حيث أقيم مهرجان كبير وقد نقل هذا التمثال فيما بعد إلى شارع الجامعة عند حديقة الحيوان بالجيزة.

ولقد نجح الاحرار الدستوريون فى اسقاط وزارة النحاس الائتلافية وتولى الحكم بمفردهم فاتفق الحزب على استقالة وزرائه من وزارة النحاس واحدا بعد الآخر حتى يقيل الملك فؤاد الوزارة فاستقال محمد محمود وزير المالية ووكيل حزب الأحرار الدستوريين اولا، ثم تبعه جعفر والى وزير الحربية ثم أحمد خشبة وزير الحقانية وأخيرا إبراهيم فهمى وزير الأشغال، وتنجح خطة الدستوريين فى إقالة الوزارة، ويقبل الملك استقالة النحاس يوم ٢٥ يونيو ١٩٢٨ ويعهد الملك لمحمد محمود بتأليف وزارة حزب الاحرار الدستوريين واحتفظ لنفسه إلى جانب الرئاسة بوزارة الداخلية.. وفى يوم ١٩ يوليو يصدر الملك امراً ملكياً بحل البرلمان بمجلسيه الشيوخ والنواب، وتأجيل الانتخابات مدة ثلاث سنوات ويحتج الوفد على قرار تعطيل البرلمان ويدعو النحاس باشا الأمة إلى النضال دفاعا عن دستورها



لحظة استقبال الطيار صدقى فى مطار هليوبوليس

..وأصبح لمصر سلاح طيران عام ١٩٣٢



وحريتها.

وفى يوم ٢٤ يجتمع الشيوخ، والنواب فى النادى السعدى ثم يجتمعون مرة أخرى فى منزل (على الشريعى) بشارع محمد على بعد تشميع الحكومة أبواب البرلمان بالشمع الأحمر، وقرر الاجتماع اعتبار البرلمان قائما وله حق الاجتماع واعتبار الوزارة معادية للدستور وإعلان عدم الثقة بها وضرورة تخليها عن الحكم ثم يجتمع البرلمان للمرة الثالثة فى مقر جريدة البلاغ بشارع الدواوين وقرر المجلس بالإجماع عدم الثقة فى الحكومة وتحميلها مسئولية كل عمل مخالف للدستور.

وفى اليوم الثانى من شهر أكتوبر تقدم الوزارة استقالتها ويشكل عدلى يكن وزارته الثالثة التى احتفظ فيها بمنصب وزير الداخلية إلى جانب الرئاسة وتجرى الانتخابات يوم ٢١ ديسمبر ويفوز فيها الوفد بأغلبية ساحقة، وتقدم الوزارة استقالتها بعد إجراء الانتخابات.

وفى مستهل عام ١٩٣٠ يعود الوفد للوزارة ويشكل مصطفى النحاس وزارته الثانية التى احتفظ فيها، مثل وزارته الأولى، بالداخلية ويفتتح البرلمان يوم ١١ يناير وينتخب ويصا واصف رئيسا له إلا أن هذه الوزارة لا تستمر طويلا، فبعد ستة أشهر من تأليفها يقدم مصطفى النحاس استقالته عقب خلاف وزارته مع الملك بسبب اصرار الملك على تقديم مشروع محاكمة الوزراء إلى البرلمان.

ويؤلف فى اعقاب ذلك اسماعيل صدقى أول وزارة له، يحتفظ لنفسه فيها بوزارتى الداخلية والمالية وفى اليوم التالى لتأليف وزارته يصدر صدقى قرارا بتأجيل انعقاد البرلمان.

ويقوم النحاس بسلسلة جولات له فى المحافظات احتجاجا على الاعتداء على الدستور وتصدر الوزارة مرسوما بفض الدورة البرلمانية قبل اقرار الميزانية وهو إجراء غير دستورى وبناء على ذلك تخرج المظاهرات فى الإسكندرية احتجاجا على سياسة الوزارة واجهها البوليس بالرصاص فقتل ٢٠ وجرح ٥٠٠ وألقى القبض على بعض أعضاء اللجنة المركزية للوفد وهم عبد الفتاح الطويل وحسن سرور والدكتور احمد عبد السلام.

وفى يوم ١٦ من شهر يوليو ألقى رئيس الوزراء البريطانى (رمزى ماكدونالد) تصريحا فى مجلس العموم ادعى فيه أن هنالك خطرا يتهدد ارواح الأجانب وممتلكاتهم فى مصر، وان الحكومة بسبب ذلك امرت بارسال بارجتين حربيتين إلى الإسكندرية وقد أعاد ذلك إلى المصريين ذكرى أحداث عام ١٨٨٢.

وقرر صدقى إلغاء دستور عام ١٩٢٣ وإعلان دستور جديد وقانون جديد للانتخابات وقد قيد هذا الدستور الجديد المسئولية الوزارية وألغى حق مجلس النواب فى ابداء الثقة فى الوزارة، واعطى السلطة التنفيذية حق التشريع وإقرار اعتمادات جديدة فى غياب البرلمان وجعل الأعضاء المعينين فى مجلس الشيوخ أغلبية وأجاز تعطيل الصحف بقرار من محكمة الاستئناف فى جلسة سرية.

وقد قرر الوفد



الملك فؤاد فى مدينة الأقصر لمشاهدة مقبرة توت عنخ آمون



الأمــيـر فـؤاد فى طفـولتـه فى زى فارس ألبانى

مقاطعة الانتخابات التى ستجرى وفقا للدستور الجديد وقد استقالت وزارة صدقى يوم ٢١ سبتمبر ١٩٣٣ بعد أن حكمت البلاد حكما دكتاتوريا لمدة ثلاث سنوات ويقـبل الملك الاستقالة ويكلف عبد الفتاح يحيى بتشكيل الوزارة الجديدة.

وفى شهر يناير ١٩٣٤ يتولى (لورد كيلرن) منصب المندوب السامى البريطانى فى مصر خلفا (لبيرس لورين).

وتقوم وزارة يحيى بإلغاء دستور صدقى وحل مجلس النواب والشيوخ، دون إعادة دستور ١٩٢٣ وأصبح الملك فؤاد هو صاحب السلطة التشريعية، وتقدم هذه الوزارة استقالتها يوم ٢٢ يناير ١٩٣٦ نتيجة ضغط الاحزاب من أجل تكوين وزارة ائتلافية منتهزين فرصة دعوة إنجلترا للتفاوض من أجل عقد معاهدة بين البلدين ولكن بعد أن فشلت الأحزاب فى تكوين وزارة ائتلافية يعهد الملك فؤاد إلى على ماهر . رئيس الديوان الملكى بتشكيل الوزارة احتفظ فيها بوزارتى الداخلية والخارجية إلى جانب الرئاسة.. وفى يوم ١٣ فبراير ١٩٣٦ يصدر الملك فؤاد أمراً ملكيا بتشكيل وفد المفاوضات مع انجلترا برئاسة مصطفى النحاس، وعضوية محمد محمود، واسماعيل صدقى وعبد الفتاح يحيى وواصف بطرس غالى، ود. أحمد ماهر وعلى الشمسى وعثمان محرم، وحلمى عيسى ومكرم عبيد وحافظ عفيفى، ومحمود النقراشى وأحمد سيف النصر وهو يضم اعضاء من جميع الأحزاب عدا الحزب الوطنى الذى ظل متمسكا بمبدأ «لا مفاوضة إلا بعد الجلاء» وفى يوم ٢ مارس تبدأ المفاوضات المصرية الإنجليزية فى قصر الزعفران بالقاهرة، ثم تستأنف فى شهر يوليو بقصر انطونيادس بالإسكندرية وقد تكون الوفد الإنجليزى برئاسة المندوب السامى البريطانى وعضوية قائد الاسطول الإنجليزى فى البحر المتوسط والقائد العام للقوات البريطانية فى مصر وقائد الطيران بالشرق الأوسط ومستشار دار المندوب السامى. ■■

فى الحلقة المقبلة نهضة مصر فى عهد فؤاد الأول

أبيض وأسود

العدد ٨١٧ـ ١٧ أغسطس ٢٠٠٥

مصر فى ١٥٠ سنة

جامعة القاهرة بصمة الأميرة فاطمة



مصر فى 150 سنة
1805 : 1952

إشراقات فؤاد فى مصر



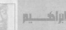
1922 : 1936

" لا يقتصر التاريخ القومى لكل أمة على الجانب السياسى منه.. بل يجب أن يتناول تاريخها الاقتصادى، وتاريخها الاجتماعى، وتاريخها الثقافى.. وهذه النواحى وثيقة الصلة ببعضها بعضا، ولكل منها أثرها وصداها فى النواحى الأخرى، ومنها جميعا يتألف التاريخ القومى. وهذا هو الجديد فى دراسة التاريخ، ودراسة الحضارة.. تلك الدراسة التى لم تعد تقتصر على سرد الأحداث السياسية والحولية على نظام مدارس التاريخ القديمة، بل صارت تهتم بهذه الجوانب الجديدة التى أعطت لدراسة التاريخ مجالا أوسع وأخصب عما كانت عليه تلك الدراسة فى الماضى. "

الحلقة الثامنة عشرة



محمد على



ابراهيم

عباس الأول

سعيد


اسماعيل


توفيق

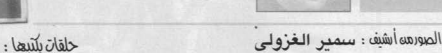
عباس حلمى

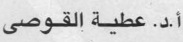

حسين كامل


فؤاد الأول
١٩١٧ : ١٩٣٦



فاروق الأول


الصور من أرشيف : سمير الغزولى


حلقات يكتبها :
أ.د. عطية القوصى



الملك فؤاد





فـؤاد الأول

١٩٢٢ : ١٩٣٦

عهد حكم الملك فؤاد، برغم ما شاهدنا ما فيه من أحداث سياسية خطيرة، وبرغم استمرار الاحتلال البريطانى يجسم على صدر البلاد، ورغم فرض الحماية على مصر.. فإن مصر استطاعت فى هذا العهد . كما رأينا . أن تحصل على استقلالها الذاتى عن السيادة العثمانية، كذلك حصولها على الدستور وعلى تحقيق حلم الحياة النيابية فى البلاد

جامعة القاهرة بصمة الأميرة فاطمة

كذلك جاء إفرازا لحياة اجتماعية واقتصادية نشطة وفاعلة، وإنجازات ثقافية هائلة عاشتها مصر فى ذلك العهد، فكانت نقلة كبرى للبلاد حققت فيما بعد المزيد من التقدم والرقى والرخاء على يد رجال خلدوا أسماءهم فى مجال الاقتصاد والاجتماع والعلوم والفنون والآداب، وكتبوا تلك الأسماء بحروف من نور فى سجل التاريخ.

خطت البلاد خلال حكم السلطان فؤاد . وخلال الحرب العالمية الأولى . خطوات جديدة فى النهضة الاقتصادية، فقد أدركت الأمة . بتأثير الحركة الوطنية وتقدم الوعى القومى . أن تبعيتها الاقتصادية للأجانب تقف حجر عثرة فى طريق استقلالها السياسى، وأن البلاد التى تعتمد فى حياتها على جانب واحد من جوانب الحياة الاقتصادية، وهو جانب الزراعة فحسب، هى بلاد متأخرة حضاريا، وتندرج فى عداد الأمم الفقيرة، لأنها تعيش عالة على غيرها فى حاجاتها الصناعية والمالية، وبالتالى تقبل بإرادتها أو رغما عنها، سيطرة الغير عليها سيطرة سافرة أو سيطرة مقنعة.

ولم تكن بمصر . قبل نشوب الحرب العالمية الأولى . سوى صناعات محدودة تقوم فى إطار ضيق، مثل صناعة السكر والكحول، وحلج القطن، وغزل ونسج القطن على أنوال صغيرة، وضرب الأرز، وطحن الغلال، وتصنيع الدخان، وعصر الزيت، وصناعة الصابون.

فلما اندلعت الحرب، وانعدم الوارد من المنتجات الصناعية الأجنبية، لصعوبة المواصلات، وحرص كل دولة على تخزين ما هو فائض عن حاجتها لوقت الأزمة أثناء الحرب، وانصراف الدول الكبرى إلى إنتاج ما تحتاج إليه الحرب من سلاح وذخيرة وغير ذلك.. ظهرت حركة بعث صناعى لمصر لسد حاجة البلاد من هذه المصنوعات المستوردة، فنشطت الصناعات التى كانت قائمة، ونشأت إلى جانبها صناعات أخرى جديدة.

ومن الصناعات التى بدأت تنتعش آنذاك، صناعة الأثاث، والصناعات الخشبية والجلدية، وصناعة الأسمنت والصابون، والزيوت، والكحول، والسجاد، والمصنوعات الزجاجية والخزفية، وصناعة المنسوجات، وصناعة الأوانى المنزلية.

ولما قامت ثورة ١٩، بعثت هذه الثورة إلى جانب الجهاد فى سبيل الاستقلال وتحرير البلاد من ربقة المحتل الغاصب.. بعثت أيضا روحا جديدا من التطلع إلى الاستقلال الاقتصادى.

وكان من نتائج هذه الروح.. أن لقيت دعوة زعيم مصر الاقتصادى (محمد طلعت حرب) إلى تأسيس



▲▲ الملك فؤاد بصحبة ملك البلجيك أثناء خروجهم من محطة قطار القاهرة فى شارع نوبار عام ١٩٣٠

(بنك مصر) فى أغسطس من عام ١٩١٩ تأييدا وتعضيدا من جميع طبقات الشعب فى الحواضر والأقاليم.. مما كلل هذه الدعوة بالنجاح الفائق.

وقد تأسس هذا البنك العظيم عام ١٩٢٠، فهو الثمرة الاقتصادية الكبرى لثورة الشعب عام ١٩١٩، وهو أول بنك وطنى أسس فى تاريخ مصر الحديث.. وقد أسس طلعت حرب بنيانه على أساس قوى متين، إذ جعله بنكا وطنيا خالصا، واشترط فى عقد تأسيسه أن يكون حملة أسهمه من المصريين، فكفل له بذلك الصبغة القومية.

ويتم عقد إنشاء شركة بنك مصر يوم الثالث من شهر أبريل ١٩٢٠، برأسمال قدره ٨٠ ألف جنيه، موزع على ٢٠ ألف سهم، بين الباشوات: أحمد مدحت يكن، ويوسف أصلان قطاوى، وطلعت حرب، وعبدالعظيم المصرى، وعبدالحميد السيوفى، والدكتور فؤاد سلطان، وإسكندر مسيحة، وعباس بسيونى.. وافتتح معاملاته يوم ١٥ نوفمبر من هذا العام.. ويعد هذا اليوم من الأيام الخالدة فى تاريخ مصر القومى عامة، وفى نهضتها الاقتصادية على وجه الخصوص.

وفى عام ١٩٢٧، ينتقل البنك من مبناه القديم بشارع (أبوالسباع) إلى مبناه الجديد الحالى بشارع محمد فريد.

وأخذ البنك يؤدى رسالته، ويتدرج فى مشاريعه، وقد أنشأ فرعا له فى الإسكندرية، وافتتح هذا الفرع يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٢١، وافتتح فى عام ١٩٢٢ فروعا له فى مناطق الموسكى وروض الفرج وأثر النبى والمنصورة، وهى مناطق تجارية مهمة، وأنشأ أولى شركاته، وهى مطبعة مصر.

وفى ١٧ نوفمبر ١٩٢٧ يتم افتتاح مصانع الغزل والنسيج بالمحلة الكبرى، وهى أهم شركات بنك مصر.

وفى شهر ديسمبر عام ١٩٣٣ يؤسس بنك مصر شركة مصر للتأمين برأسمال ٢٠٠ ألف جنيه، وشركة مصر للملاحة برأسمال مماثل، وشركة مصر لصناعة ودبغ الجلود برأسمال خمسة آلاف جنيه، وشركة مصر للسياحة برأسمال ٧ آلاف جنيه.

ولقد بلغ رأسمال البنك آخر عام ١٩٤٤ ما يزيد على المليونى جنيه، بعد أن كانت فى آخر عام ١٩٢٠ مبلغ ١٧٥ ألف جنيه.. وبلغت قيمة الودائع والحسابات الدائنة المختلفة فيه عام ١٩٤٤ مايزيد على ٣٣ مليون جنيه مصرى.

ولبنك مصر فضل كبير على النهضة الصناعية فى عهد فؤاد الأول.. فلقد صار هذا البنك ـ إلى جانب قيامه بالأعمال المصرفية ـ النواة الاقتصادية والمالية لنهضة الصناعات الوطنية، فقد أنشأ ـ كما أشرنا ـ إلى إنشائه عدة شركات مصرية، منها ـ إضافة إلى ماذكرنا ـ شركة مصر للتمثيل والسينما عام ١٩٢٥، وشركة مصر لمصايد الأسماك عام ١٩٢٧، وشركة مصر للكتان عام ١٩٢٧، وشركة بيع المصنوعات المصرية عام ١٩٣٢، وشركة غزل ونسج القطن بكفر الدوار عام ١٩٣٨، وشركة مصر للمناجم والمحاجر عام ١٩٣٧، والشركة المصرية العقارية عام ١٩٢٦، وشركة مصر للحرير الصناعى عام ١٩٤٧

ولا شك فى أن أكبر دور صناعى لبنك مصر هو احياؤه صناعة الغزل والنسيج بإنشائه المصانع الكبرى لغزل القطن ونسجه فى المحلة الكبرى وكفر الدوار.

ولقد كان للمرسوم

أولاد فؤاد الأول



الملك فؤاد على عرش مصر

واصبح ميدان
باب الحديد
ميدان نهضة مصر

الملك فؤاد يفتتح مدينة بور فؤاد عام ١٩٢٦



الملكى الصادر فى عام ١٩٣٠، بخصوص تعديل التعريفة الجمركية، أثر كبير فى تقدم الصناعة المصرية وحمايتها من غزو الصناعات الأجنبية.. وكانت التعريفة الجمركية القديمة تفرض رسوما موحدة على جميع الواردات إلى مصر قدرها ٨٪ من قيمتها، لا فرق فيها بين المواد الأولية اللازمة للصناعات المصرية وبين المصنوعات الأجنبية التى تنافس المصنوعات الوطنية، ولا فرق بين الضروريات والكماليات.. وقد فرضت هذه القيود على مصر فى اتفاقات مع الدول الأجنبية.. فلما انتهى أجل التعامل بهذه الاتفاقات عام ١٩٣٠، استردت مصر حريتها فى وضع النظام الجمركى الذى يكفل حماية صناعاتها ويجنبها المنافسة الأجنبية الجارفة.. ويعد هذا التعديل حادثا هاما فى تطور الحياة الصناعية يعدل فى حسن أثره تأسيس بنك مصر.

وشهد عهد فؤاد . فى أعقاب ثورة ١٩ . إنشاء بنكين وطنيين آخرين إلى جانب بنك مصر، صار لهما فضل كبير فى البعث الاقتصادى، أولهما (بنك التسليف الزراعى) الذى أسس عام ١٩٣١، ومهمته إقراض الفلاحين قروضا قصيرة الأجل لنفقات الزراعة، وإقراضهم سلفيات بضمان محاصيلهم، وبيع ما يحتاجون إليه من أسمدة وتقاوى نقدا أو لأجل، وكذلك إقراضهم سلفيات متوسطة الأجل لشراء ما يحتاجون إليه من ماشية وآلات زراعية، وما يحتاجون إليه لإصلاح أراضيهم.. وقد أنقذ هذا البنك المزارعين ممن كانوا يقرضونهم المال بالربا الفاحش.. ولقد تحول هذا البنك عام ١٩٤٨ إلى (بنك التسليف الزراعى والتعاونى).

وتفرع عن بنك التسليف الزراعى بنك (التسليف العقارى) عام ١٩٣٥، ومهمته إقراض الملاك المزارعين سلفا عقارية تغنيهم عن اقتراض هذه السلف من البنوك الأجنبية الربوية.





صفية زغلول

كذلك تأسست فى عهد فؤاد منشآت مصرية أخرى نهضت بالاقتصاد القومى فى التجارة والصناعة والملاحة، منها مصانع الزجاج بشبرا، ومصانع الورق بالإسكندرية، ومنشآت الملاحة البحرية المصرية فى الإسكندرية والسويس، والبيوت المصرية المنشأة بالإسكندرية لتصدير القطن، والتى حلت محل البيوت الأجنبية، ومصانع أخرى كثيرة فى نواحى عدة من النشاط الصناعى.

وإلى جانب تنمية الثروة الصناعية فى البلاد فى عهد فؤاد . فى أعقاب ثورة ١٩ . اهتمت البلاد بتنمية الثروة

◀◀ أثناء بناء القاعدة الأساسية لتمثال سعد زغلول استعدادا لافتتاحه عام ١٩٣٨



▲▲
جنازة الزعيم سعد باشا زغلول في ميدان الفلكى

الزراعية، وزيادة الإنتاج الزراعى بزيادة منشآت الرى والصرف وتحسين وسائلهما.. ومن أهم الأعمال التى تمت آنذاك لخدمة الزراعة، بناء خزان أسوان، وتشييد قناطر نجع حمادى، وتقوية واستكمال القناطر الخيرية، واستصلاح بعض الأراضى البور.

ففى يوم العاشر من شهر فبراير عام ١٩٢٨، يضع الملك فؤاد حجر أساس قناطر نجع حمادى لضمان الرى الصيفى لمساحة ٦٧٥ ألف فدان بين مدينتى قنا وديروط، وقد تكلف المشروع وملحقاته أربعة ملايين جنيه، وافتتح يوم ١٩ ديسمبر عام ١٩٣٠

وفى عام ١٩٣٢ يقوم الملك فؤاد بمعاينة الانتهاء من تعلية خزان أسوان.

ولقد بدى مجهود شباب مصر واضحا فى أوائل الثلاثينات فى محاولة النهضة باقتصاد البلاد فى مشروع عرف بـ (مشروع القرش) وقوامه جمع اكتتابات عامة أقلها قرش واحد لإقامة مؤسسة صناعية عندما يجتمع من أموال هذه الاكتتابات ما يكفى لتأسيسها.

وقام على رأس هذا المشروع جماعة من الشباب على رأسهم (أحمد حسين) و (فتحى رضوان)، ونشطت حركة الاكتتابات فى هذا المشروع حين تولى الدكتور (على إبراهيم باشا) رئاسة لجنته.. وقد بلغت قيمة الاكتتابات لهذا المشروع فى عامه الأول نحو ١٧ ألف جنيه مصرى.. وأسست اللجنة بهذا المال مصنعا (للطرابيش) فى العباسية، فى شهر أكتوبر ١٩٣٣، وقد نجح المصنع فيما أنشئ له، واستغنت البلاد عما كانت تستورده من الطرابيش من الخارج.

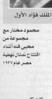
وضم المصنع إلى صناعة الطرابيش صناعة غزل الصوف، واشترك فى مدة الحرب العالمية الثانية فى توريد غزل

حفل إزاحة الستار عن تمثال نهضة مصر فى باب الحديد ويظهر جالسا الملك فؤاد الأول يستمع لخطبة الافتتاح عام ١٩٢٧



الأميرة فوزية ابنة الملك فؤاد الأول





محمود مختار مع
مجموعة من
محبى فنه أثناء
افتتاح تمثال نهضة
مصر عام ١٩٢٧





الصوف إلى إدارة الأسلحة والمهمات بوزارة الحربية، وتوريد الطرابيش لجنود حرس الحدود.

ولقد شهدت مصر نهضة اجتماعية، مثلما شهدت نهضة اقتصادية فى أعقاب الثورة غيرت الوضع الاجتماعى فى البلاد بعد عهد الاحتلال الذى عاشته.

ففى ظل الاحتلال عاشت الطبقة الخاصة من الأغنياء، والكبراء والمثقفين حياة نفعية، كلها ترف وبذخ وظهور كاذب واقتباس مفاسد المدنية الغربية.. وكذلك عاشت الطبقة الوسطى نفس الدور النفعى، تبغى بلوغ مراتب الطبقة الخاصة، ومحاكاتها فى مظاهر الترف والبذخ.

أما غالبية الشعب من الطبقة الدنيا.. فكانت فى أسوأ حال فى ظل الاحتلال، فقد عمل على نشر الجهل والأمية بينهم طوال أكثر من أربعين سنة، وانتشر بينهم مع الجهل الفقر والمرض.. وانتشر المرابون بين أوساط الشعب يمتصون دماءهم وينشرون البؤس بينهم.

وانتشرت الخمور فى البلاد والمخدرات والقمار.. وبذلك كانت سياسة الاحتلال وسياسة الحكومات الموالية لها والخاضعة لأوامرها من أهم أسباب تأخر الوضع الاجتماعى فى البلاد.

وجاءت الحركة الوطنية لتنهض بعموم الشعب نهضة اجتماعية تدرجت مع الزمن، وساعد على هذه النهضة نمو الروح الوطنية، وانتشار التعليم والنهضة الأوروبية والعلمية والصحفية، كذلك النهضة النسائية.

ومن مظاهر هذه النهضة اتجاه الأفكار إلى ترقية التعليم فى مختلف مراحله، وتوسيع نطاقه، وإنشاء الجامعة المصرية، وتأسيس الجمعيات والأندية، وظهور الحركة التعاونية، والحركة العمالية والنقابية، والحركة الفنية، والحركة الرياضية.

ولقد بدأ ظهور نقابات العمال فى مصر سنة ١٩٠٩، وكانت معاصرة للحركة التعاونية.. فقد أنشئت أول نقابة للعمال المصريين باسم (نقابة عمال المصانع اليدوية) ببولاق عام ١٩٠٩ ونشطت الحركة العمالية خلال ثورة ١٩، وفى أعقابها، وتعددت نقابات العمال، وسرت الروح النقابية إلى طوائف أخرى كالمعلمين، والصحفيين، والأطباء، والتجار، وبعض الموظفين، فشرعوا، بعد الثورة، فى تأسيس نقابات لهم.

وعاصرت النهضة الرياضية الحركة الوطنية الأولى.. فلما أنشئ (نادى المدارس العليا) عام ١٩٠٦، ظهرت فكرة إنشاء ناد خاص بالألعاب الرياضية، وتم إنشاء هذا النادى عام ١٩٠٧، على قطعة أرض بالجزيرة تبلغ مساحتها نحو أربعة أفدنة أجرتها الحكومة إلى النادى بإيجار اسمى قدره (قرش صاغ) سنويا، وألفت وقتئذ لجنة لإدارته كان من بين أعضائها: عمر لطفى بك، وحسين رشدى باشا، وعبدالعزيز عزت باشا، وأمين سامى باشا، ومحمد شريف بك.. ولايزال هذا النادى وهو (النادى الأهلى الحالى) قائما إلى اليوم، وهو أقدم النوادى الرياضية فى مصر.

وكان لثورة ١٩ أثرها فى ذيوع الروح الرياضية فى الشباب، فبدأوا يؤلفون الأندية الرياضية، فضلا عن قيام الحركة الكشفية فى عام ١٩٢٠، بتأسيس جمعية الكشافة الأهلية التى انضوت فرق الكشافة المختلفة تحت لوائها.

ومن أعظم المنشآت التى يرجع إلى الملك فؤاد معظم الفضل فى تأسيسها الجامعة المصرية، التى عرفت أول إنشائها بجامعة فؤاد الأول، وهى تعرف الآن بجامعة القاهرة.

فقد شجعها فؤاد وهو أمير، إذ تولى رئاسة مجلس إدارتها عام ١٩٠٨، فنشطت حركة الاكتتابات والهبات العقارية لها، وأخذ يعمل على تحقيق المشروع وافتتاح الجامعة.

وافتتحت الجامعة بحضور الخديو عباس فى حفلة رسمية أقيمت فى قاعة مجلس شورى القوانين (قاعة مجلس الشيوخ) يوم الاثنين ٢١ ديسمبر ١٩٠٨، وخطب فيها الأمير أحمد فؤاد، رئيس مجلس إدارتها، وأجاب الخديو على خطبته بكلمة أعرب فيها عن اغتباطه بتنفيذ المشروع، وأعلن افتتاح الجامعة، وخطب . أيضا . عبدالخالق ثروت باشا، وأحمد زكى باشا.

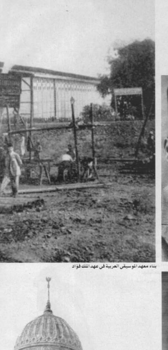
وافتتحت الدراسة بالجامعة ابتداء من مساء ذلك اليوم، وكانت أول دار لها بسراى (جاناكليس) بأول شارع قصر العينى (مبنى الجامعة الأمريكية الآن)، ثم انتقلت إلى سراى محمد صدقى باشا بشارع الفلكى.. وكانت الدراسة فيها، فى بداية عهدها محدودة فى دائرة ضيقة، إذ كانت تقتصر على محاضرات فى الآداب والتاريخ والجغرافيا وفروع أخرى فى حدود ميزانية ضئيلة.

وفى سنة ١٩١٤ أسدت الأميرة (فاطمة إسماعيل)، كريمة الخديو إسماعيل وأخت الأمير أحمد فؤاد، إلى الجامعة أكبر هبة نالتها، إذ أوقفت عليها ٦٠٠ فدان من أجود أراضيها، ومنحتها ٦ أفدنة بمنطقة (الدقى) ليقام عليها مبنى الجامعة، كما تبرعت لها بجواهر ومصاغ قيمته ١٨ ألف جنيه، تنفق فى إقامة مبنى الجامعة.. فبلغت قيمة ما تبرعت به نقدا حوالى ١٠٠ ألف جنيه.. وكان للأمير فؤاد فضل كبير فى توجيه أخته إلى هذا الفعل الجميل.



..وخطة إزاحة الستار عن تمثال نهضة مصر فى ميدان باب الحديد

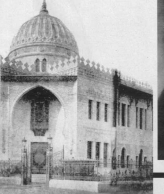




بناء معهد الموسيقى العربية فى عهد الملك فؤاد

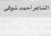

حافظ إبراهيم




الشاعر أحمد شوقى




مطران خليل مطران





..وانتهى بناء معهد الموسيقى العربية عام ١٩٢٣

واحتفل بوضع حجر الأساس للجامعة فى أرض الدقى يوم الاثنين ٣٠ مارس ١٩١٤ (٣ جمادى الأولى ١٣٣٢هجرية). وكان احتفالا عظيما حضره الخديو عباس، ووضع حجر الأساس بيده، وقد نقشت عليه العبارة التالية: (الجامعة المصرية . الأميرة فاطمة بنت إسماعيل سنة ١٣٣٢ هجرية).. وكان مبنى كلية الآداب هو أول مبانى الجامعة، ولذا عرفت هذه الكلية بكلية الأميرة فاطمة، ثم تلاه مبنى كلية الحقوق.

وقد أوقفت الحرب العالمية الأولى إتمام بناء الجامعة، ثم استولت الحكومة على البناء مقابل جزء من الأرض التى قدمتها إلى الجامعة لمبانيها الحالية بحديقة الأورمان بالجيزة، ثم ضمت الجامعة إلى الحكومة بموجب المرسوم الملكى الصادر فى ١١ مارس ١٩٢٥، الخاص بإنشاء الجامعة المصرية.

ولقد وضع الملك فؤاد حجر الأساس لمبانى الجامعة الحالية بالأورمان، يوم الثلاثاء ٧ فبراير ١٩٢٨ (١٥ شعبان ١٣٤٦ هجرية). وظل معنيا بها وبتقدمها طيلة حياته، فهى حقا غرس يده، وهو صاحب الفضل الأكبر فى تأسيسها وتقدمها.

كذلك عنى الملك فؤاد بالأزهر والمعاهد الدينية الأزهرية، ويرجع الفضل إليه فى إنشاء المبانى القائمة الآن للجامعة الأزهرية وكلياتها بمنطقة الأزهر.. وقد حرص الملك فؤاد على أن تكون الجامعة الأزهرية ومعاهدها كلها تحت مطلق سيطرته.

ووجه الملك فؤاد عنايته إلى الدراسات التاريخية الخاصة بمصر، وجمع ما فى القصر الملكى ودار المحفوظات بالقلعة ودور الحكومة من وثائق تتعلق بتاريخ مصر، فأمر بأن تنقل صور الوثائق والمراسلات الخاصة بمصر من شتى دور المحفوظات والوزارات، فتألفت من ذلك مجموعة نفيسة ومجلدات ضخمة كشفت عن النواحى المجهولة من تاريخ مصر.

كذلك أنشأ الملك فؤاد الجمعية المصرية للبرديات، وأهداها مجموعة قيمة منها.. كذلك عمل على إنشاء المجمع اللغوى فى أواخر سنة ١٩٣٢، وأنشأ جمعية الحشرات، والمتحف الزراعى، والمتحف الصحى، ومعهد الأحياء المائية والمصايد بالإسكندرية، ومحطة الإسكندرية الجديدة.

ولقد اهتم الملك فؤاد بالتعليم النسائى، وأوفد فى العام الذى صار فيه ملكا ـ وهو عام ١٩٢٢، إلى الخارج أول بعثة تعليمية للبنات، وقد ضمت ١٤ فتاة، كانت أشهرهن فتحية سليمان، وإحسان حمزة، ونظيرة نيقولا.

ويشهد عصر فؤاد أعاظم الشعراء، وكبار المفكرين، أمثال: حافظ إبراهيم، وأحمد شوقى، وطه حسين، وعباس محمود العقاد، وعبدالله النديم، ومطران خليل مطران، ومصطفى المنفلوطى، ومحمد تيمور، وبيرم التونسى، وتوفيق الحكيم، وعبدالرحمن الرافعى، وبديع خيرى، والشيخ على عبدالرازق، وغيرهم.

وفى عهد الملك فؤاد يتم العديد من الاستكشافات الأثرية، وكان أهمها كشف مقبرة توت عنخ آمون، ووضع الحكومة يدها على محتويات هذه المقبرة الثمينة قبل أن تبدد وتنقل إلى خارج البلاد.. ولقد تابع الملك فؤاد بنفسه أخبار هذا الكشف العلمى الأثرى الخطير، وقام بزيارة المقبرة بمدينة الأقصر، عام ١٩٢٢

وفى عام ١٩٢٢، فى بداية عهد ملكية فؤاد.. ينجح العالم الأثرى الكبير والمؤرخ الشهير سليم حسن، فى اكتشاف الهرم الرابع إلى جوار هرم خوفو الأكبر.

كما كان من أهم الأحداث الأثرية فى عهد فؤاد، كشف

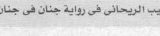






.. وظهور أشهر الفنانين
أيضا فى عهد فؤاد الأول





نجيب الريحاني فى رواية جنان فى جنان



سلامة حجازى



بديعة مصابنى



منيرة المهدية

كيمان مدينة الفسطاط القديمة (مصر القديمة) على يد العالم الأثرى الكبير (على بهجت)، وهى أول عاصمة إسلامية لمصر.. وقد توفى بهجت يوم ٢٨ مارس ١٩٢٤ كذلك عثر فى هذا العام على عقد زواج زبيدة الرشيدى المصرية على الجنرال (مينو) أحد قواد الحملة الفرنسية.

وتنهض الصحافة فى عهد حكم فؤاد، فيصدر يوم ٢٢ فبراير عام ١٩٢٠، العدد الأول من جريدة (الأخبار) لأمين الرفاعى، وهى واحدة من أبرز الصحف الوطنية فى مصر فى أعقاب ثورة ١٩١٩

كذلك تصدر يوم ٢٦ أكتوبر عام ١٩٢٥، مجلة (روزاليوسف) فى أول أعدادها، وكانت مجلة فنية فى بدايتها، ثم تحولت إلى المجلة السياسية الأولى فى مصر.

وفى يوم ٢٣ نوفمبر من نفس العام، يصدر أول عدد من مجلة (ألف صنف) لبديع خيرى، أسبوعيا، فى ١٦ صفحة، وتضمنت هذه المجلة الكثير من النقد للوضع السياسى والاجتماعى فى البلاد، واستمرت تصدر حتى توقف إصدارها فى عام ١٩٣٠

وفى شهر ديسمبر عام ١٩٢٦ ينشر طه حسين كتابه (فى الشعر الجاهلى)، الذى آثار ضجة أدبية ودينية كبرى، وكان طه حسين، قد عاد فى شهر أكتوبر عام ١٩١٩ إلى مصر وعين أستاذا للتاريخ القديم بالجامعة المصرية، ثم عين أستاذا لتاريخ الأدب العربى بكلية الآداب، وقام بنشر كتابه (حديث الأربعاء) فى شهر ديسمبر عام ١٩٢٥، ويعين طه حسين عام ١٩٢٨ عميدا لكلية



محمد عبد الوهاب   بمبة كشر

أم كلثوم

الآداب. وفى شهر ديسمبر عام ١٩٣٣ ينشر كتابيه: (حافظ وشوقى) و(على هامش السيرة). ويستمر فى العمادة حتى عام ١٩٣٩. وينشر رواية (دعاء الكروان). وفى نفس الشهر من نفس العام تصدر لتوفيق الحكيم رواية (عودة الروح). وتعرض أول مسرحية له. وهى مسرحية (أهل الكهف). ثم مسرحية (شهر زاد).

وفى آخر عام ١٩٣٥. يصدر طه حسين عدة إصدارات هى: (من بعيد) و(أديب) و(الحياة الأدبية فى جزيرة القمة) و(مع أبى العلاء فى سجنه).. وفى عام ١٩٣٧ ينشر كتابه (مع المتنبى).. وينشر توفيق الحكيم رواية (يوميات نائب فى الأرياف).

أما النهضة الفنية.. فقد كانت شاملة فى عهد الملك فؤاد. فى الغناء والموسيقى.. فى عهد فؤاد. يبرز عبده الحامولى. وسلامة حجازى. وسيد درويش. ومحمد عبدالوهاب. وأم كلثوم.. ويبدأ ظهور كل من فريد الأطرش وأخته أسمهان.

فى السينما والمسرح والبناء المعمارى.. ففى يوم ١٠ مارس عام ١٩٢٣. يحدث حدث فنى يتمثل فى افتتاح أول عرض (لفرقة رمسيس المسرحية) التى عرضت رواية (المجنون) وقد تكونت الفرقة من: يوسف وهبى. وعزيز عيد. وفاطمة اليوسف. وحسين رياض. وأحمد علام. ومختار عثمان. وحسن فايق. وإستيفان روستى. وفتوح نشاطى. وفاطمة رشدى. وزينب صدقى. وأمينة رزق.

وفى يوم ٢٩ مارس عام ١٩٢٧. يفتتح (ستوديو مصر) ويبدأ عمله بإنتاج الأفلام القصيرة فقط.

وفى أول مايو من هذا العام. يعرض فيلم (قبلة فى الصحراء) بدار سينما (الكوزموجراف) الأمريكانى بالإسكندرية. وهو من إنتاج الأخوين إبراهيم لاما وبدر لاما.. وفى نفس العام يوم ١٦ نوفمبر يعرض فى القاهرة فيلم (ليلى) من إنتاج الفنانة عزيزة أمير.

وفى شهر أبريل من عام ١٩٢٩ يعرض فيلم (زينب) رواية محمد حسنين هيكل. إخراج محمد كريم. وكان غير ناطق. ثم أخرج بعد ذلك ناطقا. من إنتاج شركة رمسيس لصاحبها يوسف وهبى. وهو أول إنتاج سينمائى لهذه الشركة.

وفى يوم ١٤ يوليو ١٩٣٢ يعرض فيلم (أنشودة الفؤاد). وتظهر فى هذا الفيلم أول مطربة مصرية على الشاشة. هى المطربة (نادرة).

وفى يوم ٤ ديسمبر ١٩٣٣ يعرض فيلم (الوردة البيضاء). لمحمد عبدالوهاب. وهو أول مطرب مصرى يظهر فى الأفلام. وقد عرض هذا الفيلم فى سينما (رويال).

وفى يوم ١٠ فبراير ١٩٣٦. يشاهد الجمهور أول عرض لفيلم (وداد) لأم كلثوم. تأليف الشاعر أحمد رامى. سيناريو أحمد بدرخان. وهو أول إنتاج لستوديو مصر بالنسبة للأفلام الروائية الطويلة.. ويشهد عهد فؤاد ظهور الفنانة (بمبة كشر). العالمة الشهيرة فى شارع محمد على.

ومن الأعمال العمرانية الهامة التى تمت فى عصر فؤاد سلطانا وملكا.

تشييع جثمان الملك فؤاد الأول فى ميدان الأوبرا فى ٣٠ أبريل عام ١٩٣٦

إنشاء مدينة (مصر الجديدة) من عام ١٩٢٠، على يد شركة بلجيكية، وبعد أن أسس بها (البارون إمبان) البلجيكى قصرا له بها، لايزال قائما حتى الآن، ويجرى تجديده والاحتفال بافتتاحه كمعلم أثرى هام بمناسبة مرور مائة عام على إنشائه فى عام ١٩٠٥

وفى عهد فؤاد، يحتفل يوم ٢٠ مايو ١٩٢٨ بإزاحة الستار عن تمثال نهضة مصر لمحمود مختار، فى ميدان باب الحديد (ميدان رمسيس) حيث أقيم مهرجان كبير فى موقع التمثال حضره الملك فؤاد وحاشيته.. وقد توفى محمود مختار يوم ٧ مارس عام ١٩٣٣

وفى عهد فؤاد تفتتح حديقة الحيوان بالجيزة، وحديقة الأورمان، ويتم بالإسكندرية بناء بلاج ستانلى عام ١٩٣٢

ومن الأحداث الاجتماعية الهامة التى وقعت فى عهد فؤاد، حادث ريا وسكينة، وحادث أدهم الشرقاوى.. وقد تمكن البوليس المصرى من القضاء على خطر الحادثين.

وفى يوم ٢٠ ابريل ١٩٣٦ يتوفى الملك فؤاد فى قصر القبة بالقاهرة فى تمام الساعة الثانية ظهرا عن ٦٨ عاما ويقوم مجلس الوزراء بتولى سلطات الملك الدستورية إلى أن يسلم مقاليدها إلى مجلس الوصاية ونودى بفاروق ملكا، وكان يتلقى تعليمه فى انجلترا.. وقد جاءت وفاة الملك فؤاد من مضاعفات اصابته برصاصة استقرت فى حلقه وعجز الاطباء عن استخراجها اثناء محاولة الامير احمد سيف الدين شقيق زوجته (شويكار) اغتياله وقد شيعت جنازته من قصر عابدين حتى مدفنه بمسجد الرفاعى.■■



فـــاروق آخـــر ملـــوك مصـــر

أبيض وأسود
العدد ٨١٨ - ٢٤ أغسطس ٢٠٠٥

مصر فى ١٥٠ سنة

أيام فاروق فى الحكم



مصر فى 150 سنة
1805 : 1952


محمد على


ابراهيم


عباس الأول



آخر ملوك مصر

1937 : 1952


سعيد


اسماعيل

"لم يكن لفاروق، آخر سلالة محمد على التى حكمت مصر، أن يتصور يوما ما أن الشعب الذى اختار جده الأكبر واليا على مصر عام ١٨٠٥، هو نفسه الذى سيقوم بخلعه عن عرشها عام ١٩٥٢، ولم يضع فاروق (الأول) فى حسبانه أن ساعة الحساب حتما قادمة لمحاسبة تلك الأسرة (العلوية) الحاكمة، التى سلمتها مصر قيادتها وزمام أمرها، وجعلتها أمانة فى أيديها، على تصرفات بعض حكامها الذين أوقعوها فى مستنقع الديون، ومنحدر الحماية الأجنبية، والوصاية المخزية، وقدموها فريسة سهلة للاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢"


توفيق


عباس حلمى


حسين كامل


فؤاد الأول

الحلقة التاسعة عشرة


فاروق الأول
١٩٣٧ : ١٩٥٢

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :
أ.د. عطية القوصى



أول صورة رسمية لملك مصر فاروق الأول



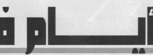
فاروق مع والده فى أول ظهور لهما معا

فاروق الأول



١٩٣٧ : ١٩٥٢

ولد فاروق يوم ١١ فبراير سنة ١٩٢٠، وهو ابن الملك أحمد فؤاد (الأول) من زوجته الملكة (نازلى) بنت عبدالرحيم صبرى باشا.. ويدا فى ملابسات ولادته وولايته للعهد مبلغ التدخل البريطانى فى شئون مصر الداخلية، وسيطرته عليها.. فقد اجتمع مجلس الوزراء عندما بلغه نبأ ولادته وقرر إبلاغ النبأ إلى المديرين والمحافظين، ثم إلى (اللورد اللنبى) المندوب السامى البريطانى ووزارة خارجيته.. وقد جعل الولاء للاستعمار السلطان فؤاد والوزراء يتوقفون على المناداة بفاروق وليا للعهد انتظارا لصدور الأمر بذلك من لندن.



انتهزت الحكومة البريطانية . من ناحيتها . فرصة مولد فاروق، لتثبيت مظهر من مظاهر حمايتها على مصر بتدخلها فى تقرير وراثة العرش فى ظل الحماية البريطانية، الأمر الذى لم يبت فيه بخصوص ولاية العهد، وإذ رأت أن السلطان فؤاد قد تأخر فى إعلان ابنه وليا للعهد، انتظارا لأمرها فى هذا الشأن، فقد وضعت هى نظام توارث عرش مصر، وأعلنت فاروق وليا للعهد، وذلك فى خطاب بعث به (اللورد اللنبى) إلى السلطان فؤاد يوم ١٦ أبريل سنة ١٩٢٠ .

وقد جاء نص الخطاب كالتالى:

(يا صاحب العظمة إن الحادث السعيد الجديد ألا وهو ميلاد نجل لعظمتكم قد دعا حكومة جلالة الملك إلى النظر فى نظام وراثة السلطنة المصرية.. وعليه فقد أمرنى جلالة الملك بأن أبلغ عظمتكم الاعتراف بنجل عظمتكم الأمير فاروق ونسله من الذكور على قاعدة الأكبر فالأكبر من أولاده وهكذا، وإن لم يوجد فيمن يولد لعظمتكم من الذكور ومن يتناسل منهم من الذكور على نفس تلك القاعدة كأولياء عهد لعظمتكم فى حق تقلد السلطنة المصرية.. وإنى مع تقديمى التهانى لعظمتكم بهذه المناسبة السعيدة أسمح لنفسى بانتهاز هذه الفرصة للإعراب عن اعتقادى الخالص بأن المحافظة على العلاقات الودية التى تقتضيها مصالح بريطانيا العظمى ومصر ستكون دائما محل اهتمام عظمتكم ومن يخلفكم من السلاطين.. ولى الشرف بأن أكون على الدوام لعظمتكم بكل احترام وإخلاص)

"اللنبى فيلدمارشال"

القاهرة فى ١٥ أبريل سنة ١٩٢٠

وقد أرسل السلطان فؤاد برقية شكر على هذا البلاغ إلى الملك (جورج الخامس) ملك بريطانيا.

ولا يخفى أن صدور نظام وراثة العرش عن دولة أجنبية هو من أخص مظاهر الحماية، بل هو التبعية بعينها، فكأن الحكومة البريطانية أرادت أن تسجل هذا المظهر فى وثيقة رسمية، وكان هذا الوضع شاذا وهادما للاستقلال والسيادة القومية والكرامة الوطنية.

وقد احتج الحزب الوطنى على التدخل البريطانى فى وراثة العرش، وأصدر قرارا بهذا الاحتجاج، لم يستطع نشره فى الصحف، فوزعه فى نشرات خاصة مطبوعة، وأبلغه إلى معتمدى الدول فى مصر فى خطابات.

وكانت تلك أول وآخر مرة يعين فيها ولى عهد دولة مصر بقرار من الحكومة البريطانية.. وليس من قبيل المصادفة المحضة أن فاروق الذى عين وليا للعهد بإرادة بريطانيا، هو الذى خلع عن العرش يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ بإرادة الشعب المصرى.. ولا ريب فى أن فاروق، وهو ملك، كان يشعر فى قرارة نفسه بأنه مدين بعرشه لبريطانيا، ولعل هذا الشعور كان من الأسباب التى ظهر أثرها فى نفسه على مر الزمن، وباعدت بينه وبين شعبه، وأدت فى النهاية إلى إقصائه وخلعه.



▲▲ عندما توفى الملك فؤاد حضر فاروق إلى مصر ليتولى الحكم خلفا لوالده .. ويظهر فاروق عند وصوله إلى محطة قطار الإسكندرية عام ١٩٣٦

فاروق فى الحكم

نشأ فاروق فى عزلة تامة، حيث عهد أبوه برعايته، وهو صغير، إلى مربيتين إحداهما إنجليزية متشددة، والأخرى أيرلندية حنون، وقد حظر عليه أبوه رؤية أمه إلا من حين إلى حين، فقد أراد فؤاد عدم مخالطة ابنه لأطفال العائلة العلوية، فنشأ محروما من دفء الصداقة البريئة ومتعة التعامل مع الأطفال أقرانه.. وخضع فاروق لبرنامج تعليمى صارم فى قصر عابدين، فكان يلقن دروسا فى اللغات والقرآن وعلوم الدين والرياضيات المتنوعة، وكان تعليما سطحيا ناقصا.

وحاولت بريطانيا أن تنشئ فاروق على التربية والتعليم الإنجليزى، إذ عرض المندوب السامى آنذاك (اللورد لامبسون)، الذى خلف اللنبى فى منصبه، سفر فاروق إلى إنجلترا لاستكمال دراسته هناك.. وفى أكتوبر سنة ١٩٣٥ أرسله أبوه إلى إنجلترا ليتم تعليمه بها، وأدخله كلية (وولوتش) الحربية بلندن، وأسكنه وحاشيته قصرا فخما عرف بقصر (كنرى هاوس) بإحدى ضواحى لندن، وهى ضاحية (كنجستون) الراقية، وتكونت الحاشية من عزيز المصرى، وأحمد حسنين، وعمر فتحى، وعباس الكفراوى.

وكان عزيز المصرى يحاول أن ينشئ فاروق النشأة الأخلاقية الفاضلة البعيدة عن الرذائل، ولكن أحمد حسنين كان على العكس من ذلك، فكان يتملق غرائز الأمير الشاب ويحبب إليه حياة الانطلاق الذى لا يحده قيد من فضيلة أو أخلاق، وعلى يده عرف فاروق مزالق الهوى والعبث فى لندن، وهو بعد فى تلك السن المبكرة، واشترك معه فى هذا التوجيه السيئ الضابط عمر فتحى.

وينطلق فاروق فى لندن ليعوض ما عاش فيه من كبت فى مصر بعيدا عن عيون أبيه، وصاحب الفتيات، وعشق سهر الليل فى الحانات مع الراقصات والمغنيات.. ولم يلبث عزيز المصرى أن ضاق ذرعا بانحراف فاروق وإعراضه عن نصائحه، فأبت كرامته أن يستمر فى مهمته، خاصة بعد أن وقف له أحمد حسنين وعمر فتحى بالمرصاد وأوغرا عليه صدر فاروق، فتركه يستحوذان عليه، ويسيران به فى مهاوى الانحراف.

وما كادت تمضى ستة أشهر على انطلاقه فى لندن.. إلا وجاءه خبر وفاة والده يوم الثامن والعشرين من شهر أبريل عام ١٩٣٦ . واستدعى فاروق إلى البلاد فوصلها يوم السادس من مايو ليجلس على العرش ملكا على مصر، وهو فى بداية السابعة عشرة من عمره.

عاد فاروق إلى البلاد واستقبلته الجماهير بكل الحب عند عودته إلى الإسكندرية، وأملت فيه أن يحقق لها ما لم يحققه أبوه، الذى كان مكروها من الجميع.

وكانت وزارة على ماهر الأولى تتولى الحكم منذ أواخر عهد الملك فؤاد.. وإذ كان فاروق لم يبلغ بعد سن الرشد، فقد أصدر مجلس الوزراء بيانا بتولى هذا المجلس سلطات الملك الدستورية باسم الأمة المصرية إلى أن يسلم مقاليدها إلى مجلس الوصاية على العرش.

وتولى مجلس الوصاية هذه السلطات.. وكان قد تألف من ولى العهد الأمير (محمد على توفيق) وأخوال الملك: عزيز عزت وشريف صبرى.. وقد سعى الأمير محمد على لإطالة فترة الوصاية لكى يكسب نفوذا فعليا خلالها.

وخلال فترة الوصاية.. يسافر فاروق عام ١٩٣٧، فى رحلة إلى أوروبا، زار خلالها مارسيليا، وسان مورتيز، وجنيف، وزيورخ، ولندن، وفيشى حيث كانت تعالج والدته فى مياهها المعدنية الصحية.. وصحب فاروق معه شقيقاته وأمه فى رحلته هذه، كذلك اصطحب معه (زينب هانم سعيد) وصيفة أمه الملكة، وابنتها (صافيناز ذوالفقار) التى سماها فاروق بعد ذلك باسم (فريدة)، وشقيق الملكة (شريف صبرى)، ومعلمى الأميرات، وعبده أفندى، الحارس الخاص لفاروق منذ صغره.. وانتهت هذه الرحلة بوقوع الملك فى غرام (فريدة)، ووقوع أمه فى غرام رائده أحمد حسنين، ووقوع العداء



الأوصياء الثلاثة

الملك فاروق يباشر مهام البلاد فى أول يوم يتولى حكم البلاد

فاروق يقف على وسادة ويقف فى شرفة قصر عابدين ليبدو أمام الشعب طويل القامة رغم أن عمره لم يكن سوى ١٦ عاما

ألقى الملك اليمين الدستور عندما استقر على عرش مصر

حفل تتويج فاروق ملكا على عرش مصر

وازدياد الوقيعة بينه وبين مصطفى النحاس باشا.

ولدت صافيناز ذوالفقار (فافيت) فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢١، وهى ابنة المستشار يوسف ذوالفقار، سفير مصر فى إيران، جدها الأكبر ذوالفقار، قائد جيش محمد على، وسمى ذوالفقار نسبة إلى اسم سيفه.. جدها لأمها هو محمد سعيد باشا، رئيس وزراء مصر سابقا، وخالها الفنان التشكيلى الشهير محمود سعيد.

دخلت فريدة حياة فاروق عن طريق والدتها، التى كانت الوصيفة المقربة للملكة نازلى. أم فاروق. وكانت لاتزال طالبة فى مدرسة (نوتردام دسيون) بالإسكندرية، حين قررت الملكة نازلى فى فبراير ١٩٣٧ دعوتها ووالدتها، بناء على رغبة فاروق للسفر معهم إلى أوروبا.

وعلى جبال سان مورتيز المغطاة بالجليد اشتعلت حرارة الحب فى قلب الشابين فاروق وفريدة، فقرر الزواج منها وهى لاتزال فى السابعة عشرة من عمرها، وهو يكبرها بعام واحد.. وعلى الرغم من معارضة نازلى لهذا الزواج. فى أول الأمر. فإنها رحبت بفريدة لأنها ابنة وصيفتها المقربة، فسوف تكون طوع يدها كأمها.. هكذا اعتقدت.

وكانت نازلى بطبعها متسلطة تحب السيطرة، ولم تكن تفضل لابنها أى أميرة من أميرات الأسرة، لأنها كانت تكره الأسرة ولا تجرى فى عروقها دماء ملكية.. وبرغم أن فريدة تنتمى إلى الطبقة الأرستقراطية، فإنها فى النهاية واحدة من أبناء الشعب.

وأمر فاروق بانتقال أسرة فريدة إلى القاهرة من الإسكندرية، وأنعم على والدها برتبة الباشوية، وعلى أمها بنيشان النيل، وخصص لهم قصرا بمصر الجديدة يقيمون فيه حتى إتمام الزفاف.. وفى يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٣٨ عقد القران الملكى فى قصر القبة.

وصدرت صحيفة (الأهرام) تزف البشرى إلى الشعب، وقدأهدى فاروق عروسه عقدا ماسيا ثمينا، قدر ثمنه آنذاك بحوالى ٢٧ ألف جنيه مصرى، وأهدت الملكة الأم العروس تاجا مرصعا بالألماظ، وأهديت للملك بهذه المناسبة هدايا من حكام ورؤساء بعض الدول





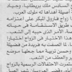


فاروق طفلا





الأمير فاروق فى طفولته



مع شقيقاته

منها سيارة مرسيدس أهداها له هتلر، وبندقيتا صيد مرصعتان أهداهما له جورج السادس ملك بريطانيا، وجياد عربية أصيلة أهداها له ملوك العرب.

وبدا زواج فاروق المبكر على اعتزامه سلوك طريق الاستقامة فى حياته الخاصة، الأمر الذى حببه إلى الشعب.. فكان هذا الاختيار فى الزواج اختيارا موفقا، لما اتصفت به فريدة من فضيلة ورقة وحسن تربية مما جعلها موضع التقدير والعطف من الشعب.

واستمرت الاحتفالات الرسمية بالزواج ثلاثة أيام، وقضى العروسان شهر العسل فى قصر أنشاص.. وقد رزق فاروق من فريدة بثلاث بنات هن: فريال وفوزية وفادية.. أنجب فريال يوم ١٧ نوفمبر ١٩٣٨، وسماها على اسم جدته أم والده.. وفى ٧ أبريل ١٩٤٠ أنجبت فريدة لفاروق ابنته فوزية.. وفى ١٥ ديسمبر ١٩٤٣ أنجبت له أصغر بناته الأميرة فادية.

على أن هذه الحياة الزوجية لم تلبث أن تصدعت مع مرور الأيام، بما أدركته فريدة من انحراف فاروق، واستهتاره، وتطور تباعده عنها، وجفاف معاملته لها بسبب عدم إنجابها له ولى العهد.

▲▲
الأمير فاروق عندما بلغ السادسة من عمره عام ١٩٢٦

واقتصار إنجابها على الإناث.. وصار يسهر ويعربد مع حاشيته، وعلى رأسها (أنطون بوللى) سكرتيره الخاص، فى حفلات زوجة أبيه السابقة الأميرة (شويكار)، التى أقامتها انتقاما من (ضرتها) نازلى فى شخص ابنها.

وبعد أن كشفت فريدة العديد من الخيانات من فاروق، قررت الانفصال، وانتقل فاروق للإقامة فى قصر القبة، واتفق وفريدة على الطلاق، الذى لم يعلن إلا يوم ١٨ ديسمبر عام ١٩٤٨، حيث أعلن طلاقه من فريدة طلاقا بائنا، وطلاق أخته الأميرة فوزية من زوجها شاه إيران محمد رضا بهلوى.

وكان هذا الطلاق وما وقع من ملابساته ومقدماته، من الأسباب التى أنقصت مكانة فاروق فى نظر شعبه، وجعلت الألسن تلوك سيرته باستهتاره وفساده، الذى أكد طلاقه من فريدة صدق ما سرى حوله من شائعات.

ولقد رددت هتافات الشعب آنذاك قولها: (خرجت فريدة من بيت الدعارة إلى بيت الطهارة).. وخسر الملك أكثر قلاع شعبيته.. ولا نغالى إذا قلنا إن نجم فاروق قد هوى، وأن حظه قد خانه، وأن شعبيته انخفضت إلى الحضيض بتطليقه فريدة، حبيبة الشعب.

وتنازلت فريدة عن لقبها وتاجها وثرائها وزهدت فيما لا تزهد فيه النساء، وخرجت من أفخم القصور إلى منزل والدها البسيط، مصطحبة معها فادية، صغرى بناتها.

ومن المؤلم أن من خطط لانفصال فريدة عن فاروق ظلوا يخشون من أى تقارب بينهما بعد طلاقهما.. حتى إنه روى أن فريدة أرسلت برقية رقيقة إلى الملك تهنئه فيها بإنجابه ولى العهد أحمد فؤاد.. وورد أن فاروق اغتبط لذلك، وأصدر أوامره لسكرتيره الخاص (د. حسين حسنى) بإرسال باقة ورد كبيرة إلى فريدة من نوع معين من الزهور كانت فريدة تفضله.. وقد كلف الدكتور حسنى أحد (الشماشرجية) بإرسال الباقة.. لكن المستفيدين من الجفوة بين فاروق ومطلقته حالوا دون إرسالها.. وقد ثبت ذلك بعد عدة سنوات من





فاروق طفلا مع والدته نازلى

الأمير فاروق وشقيقتاه عام ١٩٢٤

الأمير فاروق
وشقيقاته
عام ١٩٢٦



الأمير فاروق وشقيقاته فى القطار الملكى



الواقعة، حين التقى الدكتور حسنى مع الأميرة، فى أحد معارضها الفنية، واسترجعا شريط الذكريات، وذكر لها أمر باقة الزهور، فأبدت فريدة دهشتها لما سمعته منه، وأكدت له عدم وصول أى باقة من الملك إليها.. ولكنها مكائد القصر، التى كان كلاهما يعلمها جيدا.

وعلى الرغم من انفصال فريدة عن فاروق.. فقد ظلت تحمل له فى قلبها كل الحب، وكانت تعلن دوما أنه حبها الأول والأخير، وكانت طيلة حياتها تردد قائلة: (فاروق والد بناتى، وهو الذى جعلنى ملكة)، ورفضت . رغم الإغراءات المادية . أن تكتب ضده أى كلمة فى صحيفة أو مجلة، أو تذيع عنه حديثا يسىء لسيرته فى أى وسيلة من وسائل الإعلام.

وتفرغت فريدة لفن الرسم التشكيلى، الذى أنقذها من الجنون . كما تقول . وعزفت عن الزواج، رغم كثرة عروضه عليها.. وفى عام ١٩٧٠ سافرت إلى باريس، وانتسبت هناك إلى مدرسة متحف (اللوفر) كطالبة تدرس فن (الجرافيك)، وعاشت هناك فى شقة أهداها لها شاه إيران.. وتعود إلى مصر وتستقر فى شقة صغيرة فى المعادى مع والدتها، وتقيم معارضها، وآخر معرض أقامته كان فى عام ١٩٨٦، ثم تبدأ رحلة مرضها عام ١٩٨٨ مع سرطان الدم حتى الوفاة.

ولقد كانت للملكة نازلى يد فى إفساد حياة ابنها، وإفساد علاقته مع زوجته التى أحبها وأحبته، ولم تستطع أى امرأة ممن عرفهن بعدها أن تنسيه حبه لها.. وكانت نازلى تريد لابنها وليا للعهد، وبعد تكرار ولادات فريدة لإناث، ترسخ فى ذهنها أنها لن تنجب ولدا ذكرا أبدا، فساءت علاقتها بفريدة، وحرضت ابنها على الزواج من غيرها حتى ينجب ولى العهد.

وكان فاروق متعلقا بأمه تعلقا شديدا، وكان لا يستطيع أن يخالف لها أمرا، وكانت مثله الأعلى فى هذه الحياة، وكان يعلم أنها تعسة فى حياتها لزواجها من والده دون أن تحبه، ولقسوته وشدة غيرته عليها.

ونازلى تعنى باللغة التركية (الفتاة ذات الدلال)، هى كريمة عبدالرحيم باشا صبرى، وهى فتاة مصرية جميلة من عامة الشعب، شاهدها الملك فؤاد فى دار الأوبرا الملكية ذات ليلة، وكان عمرها أنذاك ١٨ عاما وعمره هو ٤٧ عاما، فأصر على الزواج منها، برغم فارق السن بينهما، وبرغم رفضها له، لكنها رضخت آخر الأمر لإرادة أفراد أسرتها، وهى أول امرأة مصرية من عامة الشعب تحمل لقب (ملكة) فى تاريخ مصر الحديث.

ونازلى ضحية من ضحايا عصر الملك فؤاد وتقاليده.. فقد حكم عليها بالحبس فى (حرملك) قصر عابدين طوال فترة زواجها منه حتى وفاته، وكانت أشبه بعصفور جميل أودع فى قفص من الذهب.

ولكنها تنفست الصعداء يوم ٢٨ أبريل ١٩٣٦، وهو اليوم الذى ارتحل فيه سجانها عن الحياة، وسقط عنها الستار الحديدى، فانقلبت حياتها رأسا على عقب، وأصبحت حياتها الخاصة كابوسا يؤرق فاروق، وزلزالا يهدد عرشه الوليد، بعد أن انفلت عيارها وراحت تعوض فى ملذاتها وشهواتها ما فاتها من العمر.

سافرت (الأرملة الطروب) مع ابنها وبناتها ووصيفتها زينب هانم وابنتها صافيناز ذوالفقار (الملكة فريدة) إلى (سان مورتيز)، وهناك توطدت علاقتها (بأحمد حسنين)، رائد فاروق الأول، ومستشاره الوفى. وقد تعرفت إليه من خلال فاروق بعد أن قطع دراسته فى بريطانيا بعد وفاة والده، حيث أصر على تعارفهما لتشكره على جهوده مع ابنها أثناء دراسته فى عاصمة الضباب.. وقد أقام حسنين فى القصر مدة الوصاية على الملك.

وكان فاروق يثق فى حسنين كل الثقة، وكان حب حسنين وعلاقته الغرامية بأمه سببا رئيسيا فى تدمير معنويات فاروق تجاه أعز الناس عنده، أمه وصديق عمره ومعلمه، وانعدام المثل والقيم فى حياته.

وقد تورط أحمد حسنين فى علاقته مع الملكة نازلى حين وجد أنها أفضل وسيلة . من وجهة نظره . لتحقيق طموحاته السياسية، واحتفاظه بمكان الصدارة فى البلاط الملكى.

وكان حسنين قد تزوج من الأميرة (لطفية) ابنة الأميرة شويكار الزوجة السابقة للملك فؤاد، ومن هنا بدأ تقربه من العائلة المالكة.. وازدادت حدة الشائعات بين حسنين ونازلى أثناء الرحلة إلى أوروبا، ثم تطليق حسنين لزوجته لطفية يسرى (لطفية العبد) عام ١٩٤٢

وكان أحمد حسنين لا يحب نازلى حبا صادقا، كما كانت تحبه، ولكنه كان حريصا على إرضاء نازلى ملكة مصر وصاحبة النفوذ والسيطرة على فاروق، الذى كان يخشى أمه ويقدسها ولا يخالف لها أمرا.. وقد أدرك حسنين أن من يسيطر على نازلى تكون له السيطرة على فاروق.. وهذا ما كان.

وفى عام ١٩٤٢ تصاعدت خلافات فاروق مع أمه، بعد أن يئس من إصلاحها، فسافرت إلى القدس، وأقامت هناك فى فندق (الملك داود)، وأخذت تقضى لياليها فى الملاهى الليلية تراقص ضباط الانتداب الإنجليز.. فجن جنون فاروق وأرسل إليها رئيس وزرائه . آنذاك . مصطفى النحاس وزوجته (زينب الوكيل) لإقناعها بالعودة، فعادت وهى غاضبة منه ساخطة عليه.. وكانت دائما ما تصف فاروق بالتعنت معها، والديكتاتورية، وبأنه صار صورة مصغرة من أبيه فى قسوته معها.

وقد طلبت نازلى من ابنها الموافقة على زواجها من أحمد حسنين، فرفض تماما، ولكنها تزوجت من أحمد حسنين عرفيا، من ورائه ورغما عنه.

وفى عام ١٩٤٦، كانت نهاية أحمد حسنين، ويصاب فى حادث ارتطام سيارته (بلورى) إنجليزى على كوبرى قصر النيل، ويلقى حتفه على إثر هذا الحادث، الذى أثار شكوكا كثيرة حول احتمال أن يكون قضاء وقدرا.

فاروق الأول

١٩٣٧ : ١٩٥٢

فاروق ووالدته الملكة نازلى فى سويسرا أثناء سفره لتكملة دراسته ومعه خطيبته فريدة

فاروق ووالدته فى سويسرا



الأمير فاروق فى طفولته

نازلى

فاروق ووالدته
فى ميناء مرسيليا
أثناء فترة الوصاية



فاروق على الباخرة المحروسة عام ١٩٣٤

وتقرر نازلى ـ بعد أن فقدت حبيبها ـ السفر إلى أمريكا بصحبة ابنتيها فتحية وفايقة، وسافرن بالفعل. ودخلت نازلى المستشفى لإجراء عملية جراحية.. وفى أمريكا بدأت قصة غرام بين فتحية صغرى بناتها ورياض غالى.. وفى عام ١٩٤٩ وافقت نازلى على زواج فتحية من غالى، بعد شهره إسلامه، وتصر نازلى على اتمام هذا الزواج برغم استعطاف فاروق لها بعدم إتمامه.

ويعقد الملك مجلس البلاط برئاسة ولى العهد الأمير محمد على، ويقرر المجلس الحجر على الملكة نازلى، وتجريدها من لقبها الملكى.. ويصدر قرارا بحرمان فتحية من لقب الإمارة وبطلان زواجها، ونزع وصاية نازلى على ابنتيها.. وتوقيع الحجر على نازلى، ومنعها من التصرف فى أموالها وأملاكها، ووضعها تحت يد الملك، نظرا لعدم أهليتها.

وتزوجت الأميرة فايقة من فؤاد صادق عام ١٩٥٠ فى سان فرانسيسكو، ويعترف فاروق بهذا الزواج، ويأذن لها بالعودة إلى مصر بعد أن طلقت.. لكن فتحية انتهت حياتها نهاية مفجعة حين قتلها زوجها رياض غالى عام ١٩٧٦ فى (بيفرلى هيلز) وهى فى السابعة والأربعين من عمرها أثناء شجاره معها بسبب تراكم الديون عليه وإدمانه الخمر.

وبعد مقتل فتحية.. أسدل الستار نهائيا على هذه المأساة التى عاشتها العائلة المالكة، ولم تحتمل نازلى فجيعتها فى ابنتها فتحية، وتوفيت متأثرة بحزنها عليها فى شهر يونيو عام ١٩٧٦

وبعد انهيار مثله الأعلى المقدس، متمثلا فى صورة أمه ورائده وأستاذه.. أصبحت أرض فاروق رخوة ضعيفة مهتزة مثل قيمه التى بدأت تتساقط حجرا حجرا إلى أن انهارت كلها لتزداد عنده مركبات النقص.

وكان فاروق قد بدأ حكمه فى العام الذى وقعت فيه مصر معاهدة (الود والصداقة) مع بريطانيا فى عام ١٩٣٦، وهى المعاهدة التى توجت كفاح الأمة السياسى، والتى اعترفت فيها حكومة بريطانيا بمكانة مصر الدولية.

وقد تكونت هيئة المفاوضات المصرية فى أغسطس ١٩٣٦، برئاسة (مصطفى النحاس) و(مايلز لامبسون) عن الجانب البريطانى.

وقد نصت المادة الأولى فى المعاهدة على إنهاء احتلال مصر عسكريا، وانتقال القوات العسكرية البريطانية من القاهرة إلى منطقة قناة السويس، وبناء الثكنات والمنشآت العسكرية اللازمة لإقامتهم الجوية والبرية على نفقة الحكومة المصرية، وبدء التمثيل الدبلوماسى بين مصر وبريطانيا من خلال السفراء المعتمدين، ونهاية عصر المندوبين الساميين الذين أذاقوا الشعب المصرى الأهوال وكانوا الحكام الفعليين للبلاد، وكانوا حسب الترتيب: لورد لويد واللنبى وونجت وجورست وكرومر وكتشنر وبرسى لورين ومايلز لامبسون، آخر مندوب سامى وأول سفير بريطانى.

وبتوقيع هذه المعاهدة، بدأ الكفاح الوطنى يتخذ مسارا وطنيا معارضا مناوئا للأحزاب المنافسة.

وما كادت مصر تلتقط أنفاسها حتى خيم شبح الحرب العالمية الثانية على المنطقة بأكملها، وتورطت مصر، وفقا لشروط المعاهدة فى مساندة بريطانيا (الحليفة).

وقد رفض الحزب الوطنى المعاهدة رفضا باتا، ورفع شعار (لا مفاوضات إلا بعد الجلاء)، بينما اعتبر النحاس باشا المعاهدة كسبا كبيرا لمصر، وأطلق عليها (وثيقة الشرف والاستقلال)، وتم اعتبار يوم ٢٦ أغسطس عيدا للاستقلال، واعتبر توقيع المعاهدة من أمجد أعمال الوفد فى عهد فاروق.

وفى عام ١٩٣٧، تم إلغاء الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة، التى أنشئت عام ١٨٧٥ فى عهد الخديو إسماعيل.. وفى هذا العام ـ أيضا ـ تسلم المصريون قيادة الجيش المصرى، وتم تعيين اللواء (محمود شكرى) رئيسا للأركان.. كذلك أصبحت مصر فى شهر مايو من هذا العام عضوا فى (عصبة الأمم).

وتمت فى هذه الفترة بعض الإنجازات الوطنية، منها: إنشاء مدرسة المهندسين العسكرية فى (مسطرد)، ومدرسة أركان الحرب وضباط الصف، ومدرسة الطيران، ومدرسة الصناعات الميكانيكية.

ومنها: إلغاء صندوق الدين، الذى تأسس فى عهد الخديو إسماعيل.. وفى عام ١٩٤٠ تم افتتاح قناطر محمد على الجديدة، ومحطة مياه الشرب فى الفيوم.

وفى عهد وزارة النحاس.. تقرر فى عام ١٩٤٢ مجانية التعليم الابتدائى، كما تم تخفيض الضريبة على صغار الملاك الزراعيين، وإقرار قانون نقابات العمال، واستكمال إنشاء جامعة فاروق الأول (الإسكندرية)، وإنشاء مدرسة ثانوية بالخرطوم.

وفى شهر أكتوبر ١٩٤٤ تم توقيع بروتوكول جامعة الدول العربية بالإسكندرية.. وفى عام ١٩٤٦ تم إنشاء مجلس الدولة، ورفع الملك فاروق العلم المصرى على القلعة، احتفالا بجلاء القوات الإنجليزية عنها.

وفى عام ١٩٤٨ وضع حجر الأساس لمشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان.. وفى عام ١٩٥١ تم الإنجاز الأكبر بإلغاء معاهدة ١٩٣٦

ولقد شهدت الفترة من مايو ١٩٣٦ حتى فبراير ١٩٤٢، تولى حكم مصر تسع وزارات، أولها وزارة النحاس، وآخرها وزارة حسين سرى (الثانية)، حتى عودة وزارة النحاس من فبراير ١٩٤٢ إلى أكتوبر ١٩٤٤، وكان الإنجليز قد فرضوا فى ٤ فبراير ١٩٤٢


زفاف فريدة إلى فاروق


تتويج فاروق ملك الكشافة عام ١٩٢٦



حكومة النحاس على الملك فاروق، بعد إقالة وزارة حسين سرى (زوج خالة الملكة فريدة)، وإسناد الإنجليز الوزارة إلى حزب الوفد حزب الأغلبية والشرعية، وقد رأت بريطانيا أنه لا يوجد أفضل من النحاس صديقا سياسيا ورائدا دبلوماسيا لمعاهدة ١٩٣٦ لتنفيذ بنودها، خاصة المادة الخامسة من المعاهدة، وامتصاص غضب الشعب الذى أنهكته ظروف الحرب، حتى كادت الحالة الاقتصادية فى مصر تقترب من المجاعة.

وفى مساء ٢ فبراير ١٩٤٤، طالب السفير البريطانى (لامبسون) النحاس بتشكيل الوزارة، وأن يتم تكليف الملك له بذلك.. وفى اليوم التالى أرسل إنذارا إلى الملك مع رئيس الديوان (أحمد حسنين) هذا نصه:

(ما لم أسمع قبل السادسة مساء اليوم أنه قد تم تكليف النحاس بتشكيل الحكومة، فإن على جلالة الملك فاروق أن يتحمل تبعات ذلك).

ويعد هذا النص أشهر إنذار بريطانى رسمى شديد اللهجة، خلال فترة احتلال بريطانيا لمصر، يهدد بعزل حاكمها إذا لم يستجب لما به من مطلب.. ومن المعروف أن (عباس حلمى الثانى) قد تم خلعه، وهو متغيب فى تركيا، فهو موقف فريد، وواحد من أهم المواقف التى ترتبت عليها تداعيات سياسية فاصلة أثناء حكم الملك فاروق.

وسرعان ما ظهر رد فعل هذا الإنذار، بسرعة دعوة الملك لرؤساء الأحزاب وكبار السياسيين وإعادة قراءة الإنذار على مسامعهم، الأمر الذى أصاب الجميع بالدهشة، ثم تركهم الملك يتشاورون فى كيفية الرد مدة ثلاث ساعات، وحتى الساعة السادسة الموعد الأخير للإنذار.

.. والشعب يحتفل بالزفاف أمام قصر عابدين

وأدلى السياسيون باقتراحات عدة، رفض النحاس جميعها، وتمسك بموقفه فى تأليف وزارة من حزبه فقط، حزب الوفد. ولكن الجميع اتفقوا على الرد على السفير البريطانى بأن الإنذار يعد اعتداء مباشرا على سيادة مصر واستقلالها.. فقاموا بكتابة احتجاج رسمى وقعه الجميع وشاركهم النحاس فى التوقيع، استنكارا للهجة الإنذار وشدته.. ثم انصرف الجميع.

وفى التاسعة من مساء يوم ٤ فبراير، كانت الدبابات البريطانية تحيط بقصر عابدين، ويضع السفير البريطانى مايلز لامبسون (اللورد كيلرن) أمام الملك فاروق وثيقة التنازل عن العرش، التى كاد يوقعها لولا تدخل أحمد حسنين.. وانتهى الأمر بموافقة الملك على تكليف النحاس بتشكيل وزارة وفدية خالصة، وانصرف السفير فى سعادة بالغة، وهو يبتسم ابتسامة صفراء، بعد أن نجح فى إذلال الملك وإرهابه.

وفى ٦ فبراير ١٩٤٢، شكل النحاس أشهر وزارة مصرية، وقد احتفظ النحاس لنفسه بالداخلية والخارجية، وعين عثمان محرم للأشغال، ومكرم عبيد للمالية، وأحمد نجيب الهلالى للمعارف، وحمدى سيف النصر للدفاع، وعبدالسلام فهمى للزراعة، وعلى زكى العرابى للمواصلات، ومحمد صبرى أبوعلم وعبدالفتاح الطويل للصحة، وعلى حسين للأوقاف، وكامل صدقى للتجارة والصناعة.

وفى ٣١ مارس يعين فؤاد سراج الدين وزيرا للزراعة خلفا لعبدالسلام فهمى، الذى انتخب رئيسا لمجلس النواب.

وسعى الملك فاروق بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢، فى إعادة الصفاء بينه وبين الإنجليز، ونجح فى هذا المسعى، وكان من مظاهر هذا النجاح أن أنعمت عليه بريطانيا برتبة (جنرال فخرى) فى الجيش البريطانى، وقد تباهى بذلك واعتبره ترضية كافية لمحو ما فعلته دبابات بريطانيا يوم ٤ فبراير.

وفى شهر أبريل عام ١٩٥٠ أقام بقصره بأنشاص مأدبة كبيرة لقائد القوات البريطانية فى تلك المنطقة، وبلغ عدد المدعوين نحو تسعين ضابطا كبيرا يمثلون مختلف أسلحة جيش الاحتلال.

وقد ظلت حكومة النحاس مفروضة على الملك منذ فبراير ١٩٤٢ حتى أكتوبر ١٩٤٤، وكان يريد إسقاطها، لأنه لم يكن يطيق أن يرى وزارة تستقر فى الحكم مدة طويلة..

واعتزم بالفعل إقالتها فى شهر أبريل ١٩٤٤ وإسناد الوزارة الجديدة إلى رئيس ديوانه أحمد حسنين، لكن السفير البريطانى أوضح له رد حكومته بعدم التغيير، فرضخ الملك لهذه الأوامر البريطانية، وأبقى على الوزارة رغما عنه.

هذا وما كادت الحرب العالمية الثانية تقترب من نهايتها، ويخف تدخل الإنجليز فى اختيار الوزارات حتى سارع بإقالة وزارة النحاس يوم ٨ أكتوبر ١٩٤٤، وعين فى نفس اليوم أحمد ماهر رئيسا للوزارة الجديدة.

وبدأ استعلاء فاروق على رئيس الوزراء حين ذهب لمقابلة (فرانكلين روزفلت) رئيس الولايات المتحدة الأسبق، الذى كان فى زيارة مصر فى البحيرات المرة مصطحبا معه أحمد حسنين رئيس الديوان الملكى، ولم يصطحب معه النقراشى وزير الخارجية، كما تقضى بذلك القواعد الدستورية.

وفى سنة ١٩٤٥ زار الملك فاروق المملكة السعودية، والتقى بالملك عبدالعزيز آل سعود فى (رضوى) دون أن يصطحب معه رئيس الوزراء أو أى وزير آخر.





فاروق فوق الهرم الأكبر عام ١٩٢٥

وفى يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٥ يتعرض رئيس الوزراء أحمد ماهر للاغتيال بالرصاص داخل البرلمان وأثناء توجهه من مجلس النواب إلى مجلس الشيوخ.

وتتشكل فى نفس اليوم وزارة محمود فهمى النقراشى من نفس أعضاء وزارة أحمد ماهر.

وبلغت استهانة الملك فاروق بالقواعد الدستورية حدا كبيرا، لدرجة أنه عقد فى عهد وزارة إسماعيل صدقى مؤتمرا فى قصره بأنشاص سنة ١٩٤٦ دون وساطة رئيس الوزراء أو وزير الخارجية، بل بدون علمهما، وأرسل يدعو الملوك والرؤساء بواسطة أحد موظفى القصر.. واجتمع المؤتمر بناء على هذه الدعوة وتباحث فى مسائل سياسية مهمة دون أن يشارك فيها رئيس الوزراء إسماعيل صدقى ولا وزير خارجيته (أحمد لطفى السيد).

وفى سنة ١٩٤٩ حدث انقلاب عسكرى فى سوريا أطاح برئيس الجمهورية الشرعى (شكرى القوتلى)، وتولى الحكم (حسنى الزعيم) فاستدعاه فاروق والتقى به فى أنشاص وأكرمه، وبارك انقلابه واعترف به. كل ذلك يحدث دون أن تعلم به وزارة إبراهيم عبدالهادى.

ولم تسلم الوزارات التى تعاقبت على البلاد حتى نزوله عن العرش من تدخله فى شئون الحكم تدخلا لا يسمح به الدستور.. وكان عند تأليف معظم الوزارات يشطب اسم الوزير الذى لا يرضى عنه، فيضطر رئيس الوزراء إلى استبعاده لكى يتم تأليف وزارته.

وكان يتدخل فى تعيينات كبار الموظفين، فلا يعين موظف كبير إلا بموافقته، وهذا دون شك افتئات على حقوق الوزارة، وكان الكثير من كبار الموظفين يعينون بإشارة منه، ولذلك كانوا له عيونا على الوزارات التابعين لها.

ولما عادت وزارة النحاس الأخيرة إلى الحكم، على إثر فوز حزب الوفد فى انتخاب عام ١٩٥٠ باكتساح تام، كان الظن أن يتوقف فاروق عن التدخل فى شئون الحكم ويراعى القواعد الدستورية، ولكنه على العكس من ذلك تمادى فى هذا التدخل واستفحل نفوذه ونفوذ رجال الحاشية فى دوائر الحكومة.. وكان لتخاذل النحاس فى وزارته الأخيرة وممالأته للملك أثرهما فى تمادى الملك فى طغيانه.

فلقد كان فاروق يرتعد خوفا نتيجة الفوز الساحق الذى حققه حزب الوفد والمكانة الشعبية الهائلة التى استحوذ عليها والوزارة التى سيؤسسها والتى استمدت وجودها من إرادة الشعب.. وقد علم فاروق أن للنحاس مطالب يريد أن يتقدم بها إليه.. فقابله على خوف من هذه المطالب، فإذا بهذه المطالب تتضاءل وتتهاوى، حين قال للملك إنه له مطلب واحد، وهو أن يسمح له بتقبيل يده الكريمة. ■■

فى الحلقة المقبلة نهاية أسرة كانت تحكم مصر

العدد ٨١٩ ـ ٣١ أغسطس ٢٠٠٥

أبيض وأسود

مصر فى ١٥٠ سنة

تاريخ جديد لمصر مع الثورة



مصر فى 150 سنة

1805 : 1952

نهاية أسرة حكمت مصر قرن ونصف

1952 : 1937

"لم يجد فى طفولته الحضن الدافئ ولا الحنان المطمئن الهادئ، ولم يجد فى شبابه الصديق المخلص ولا المربى الناصح الحكيم.. والتفت من حوله حاشية السوء من المنافقين والأفاقين والمنتفعين والمرائين الذين زينوا له الفساد وجملوا له الطغيان والاستبداد، وأقنعوه بأن كرسى عرشه يستند إلى أكتاف المحتل للبلاد، فخضع لأوامره ونفذ ما أراد، وخاف من أن يقوم بخلعه وإزاحته عن عرشه. وفقد فاروق حبيبين مخلصين له كان بيدهما طوق النجاة له وإكسير الحياة.. حب زوجته الوفية التى طلقها طلاقا بائنا دون ذنب جنته أو جرم أحدثته.. وحب شعبه الطيب الذى استقبل حكمه بكل الأمل فى خير العمل وإصلاح الحال وتحقيق حلم الاستقلال، ولكنه لم يلق منه إلا الإهمال والإذلال."

محمد على

ابراهيم

عباس الأول

سعيد

اسماعيل

توفيق

عباس حلمى

حسين كامل

فؤاد الأول





فاروق الأول

1937 - 1952

الصور من أرشيف : سمير الغزولى

حلقات يكتبها :

أ.د. عطية القوصى



الملك فاروق



فاروق الأول

١٩٣٧ : ١٩٥٢

سادت البلاد حوادث عنف وإرهاب متعددة من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٤٩، أثناء تولى الحكم وزارات الأقلية المؤيدة من القصر والإنجليز، وهى خمس وزارات حكمت أربع سنوات: وزارة النقراشى، ووزارة صدقى، ووزارة إبراهيم عبدالهادى، ووزارة حسين سرى، حتى جاءت وزارة الوفد الأخيرة عام ١٩٥٠، وهى الوزارة التى ألغت معاهدة ١٩٣٦

الملك فاروق مع الملكة فريدة وابنتهما فريال

تاريخ جديد لمصر

وقد تم يوم ٥ يناير ١٩٤٦ اغتيال (أمين عثمان)، رجل السراى والإنجليز المخلص بثلاث رصاصات على يد (حسين توفيق)، ووقع فى اليوم التاسع من نفس الشهر حادث (كوبرى عباس) الشهير، حيث عقد المؤتمر العام للطلبة والعمال فى جامعة القاهرة، وقد ندد هذا المؤتمر بالمفاوضات مع الإنجليز واعتبرها خيانة، وطالب بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى السودان ١٨٩٩، وجلاء الإنجليز على الفور من البلاد.

وبعد المؤتمر خرجت من جامعة القاهرة مظاهرة ضخمة، فعبرت شارع الجامعة متجهة إلى ميدان الجيزة حتى وصلت الحشود إلى كوبرى عباس.. وعند منتصف الكوبرى حاصرت قوات الشرطة المظاهرة من الجانبين، وفتحت الكوبرى من أوسطه مما أدى إلى سقوط عدد كبير من المتظاهرين فى النيل فغرق منهم من غرق وجرح أكثر من مائتى شخص.

وفى اليوم التالى، تجددت المظاهرات فى الجامعة، وتصدت لها الشرطة بوحشية زائدة.. وفى اليوم الذى تلاه، وكان يوم عيد ميلاد الملك، قام الطلبة بتحطيم الزينات التى وضعت على قبة الجامعة احتفالا بهذه المناسبة، وداسوا صور الملك بأقدامهم، وأشعلوا فيها النار وهتفوا ضده بأشنع الهتافات، ووصفوه وعائلته بأسوأ الصفات.

وتتواصل المظاهرات فى مدن الدلتا والصعيد، ويقدم النقراشى استقالة وزارته تحت ضغط الرأى العام الساخط على قمعها الوحشى للمظاهرات، وتتشكل وزارة إسماعيل صدقى، التى كان عليها قمع المظاهرات، ولم يستمر حكمها إلا لعام واحد.

وقبل الملك استقالة صدقى من الوزارة، وأعاد تكليف النقراشى بتشكيل وزارة جديدة.. ومع بداية عام ١٩٤٧ تقوم حكومة النقراشى بانتهاك حرية الصحافة بمصادرة صحيفتى (صوت الأمة) و(الكتلة) لنشرهما أخبارا عن الاعتداء على الطلبة، ومحاصرة الجامعة بالدبابات والسيارات المصفحة.

وجاءت هذه الوزارة بأعمال قمع لمظاهرات العمال وإضراباتهم وإضراب ضباط الشرطة فى جميع أنحاء مصر وقد دفع النقراشى ثمن ذلك باغتياله يوم ٢٨ ديسمبر عام ١٩٤٨، على يد طالب بمدرسة الطب البيطرى يدعى (عبدالمجيد حسن) وهو من جماعة الأخوان، بعد أن تنكر فى زى ضابط شرطة.. وفقدت البلاد بمقتله رجلا من أشرف الوزراء الذين عرفتهم البلاد وأكثرهم إخلاصا ووطنية.. وقد تم اغتيال النقراشى فى مدخل وزارة الداخلية، وادعى قاتله أنه انتقم من قتل الوزير جماعة من الأخوان، وقام بحل جماعتهم، وأنه أضاع فلسطين.. وتم دفن النقراشى فى ضريح أحمد ماهر.

وشكل الملك وزارة إبراهيم عبدالهادى، امتدادا لوزارة النقراشى، من السعديين والأحرار الدستوريين والمستقلين.

وفى اليوم الثانى لعيد ميلاد الملك التاسع والعشرين (١٢ فبراير ١٩٤٩) يتم اغتيال (حسن البنا) مرشد الأخوان



الملكة فريدة فى إحدى حفلاتها

فريدة مع طفلتها الأولى فريال

...ر مع ثورة يوليو

المسلمين أمام جمعية الشبان المسلمين على يد قاتل مجهول.. ويتعرض رئيس الوزراء فى نفس الوقت لمحاولة اغتيال فاشلة.

ومع استمرار فرض الأحكام العرفية التى فرضت إبان حرب فلسطين عام ١٩٤٨، ينجح إبراهيم عبدالهادى فى تقييد نشاط جماعات الأخوان والشيوعيين والجماعات الأيدلوجية المناوئة للقصر، الأمر الذى أدى إلى ازدياد كراهية تلك الجماعات للسعديين.

وفى عهد وزارة عبدالهادى، تم توقيع الهدنة الدائمة بين مصر وإسرائيل، والاحتفال بعودة أبطال (الفالوجا) برئاسة الأميرالاى السيد طه (الضبع الأسود) واللواء (فؤاد صادق)، قائد الجيش المصرى، وبصحبتهما البكباشى (جمال عبدالناصر).

وسرعان ما انهارت وزارة عبدالهادى، على إثر الخلافات التى وقعت بين السعديين والأحرار الدستوريين، فيقدم عبدالهادى استقالة وزارته يوم ٢٥ يوليو ١٩٤٩، ثم تتفق الأحزاب على تكوين وزارة ائتلافية برئاسة حسين سرى، الذى يتمتع بثقة الملك ورضائه، كما أنه وجه مقبول عند حزب الوفد.. وفى اليوم التالى يتم تشكيل الوزارة من الوفد والأحرار والسعديين، ٤ وزراء لكل حزب، واثنان للوطنى، وأربعة من المستقلين.

وتنجح هذه الحكومة يوم ١٥ أكتوبر فى إنهاء العمل بالمحاكم المختلطة، ويطبق التشريع المصرى على كل من يقيم على أرض مصر.

كذلك وضعت هذه الوزارة قانون محاسبة الأثرياء المعروف بقانون (من أين لك هذا؟)، وقانون (محاكمة الوزراء).

ولم يطل عمر هذه الوزارة.. فقد تحالف ضدها الأخوان مع الشيوعيين، برغم اختلاف ما بينهما، نكاية فيها.

وتستقيل هذه الوزارة الائتلافية يوم ٣ نوفمبر.. لتشكل وزارة جديدة محايدة، من أعضاء لا ينتمون إلى أحزاب، لتتولى الإشراف على الانتخابات، يرأسها سرى باشا.

وخلال هذا الشهر.. يتم تشكيل الهيئة التأسيسية لجماعة (الضباط الأحرار)، وينتخب (جمال عبدالناصر) رئيسا لها، وتبدأ فى إصدار وتوزيع المنشورات باسم (صوت الضباط الأحرار).

وفى يوم ٣ يناير عام ١٩٥٠، يتم إجراء الانتخابات البرلمانية، ويكتسح الوفد المقاعد، فيحصل على ٢٢٨ مقعدا من ٣١٩ مقعدا، ويحصل السعديون على ٢٨ مقعدا، والأحرار ٢٦ مقعدا، والوطنى ٦ مقاعد، وحزب مصر الفتاة مقعد واحد، والمستقلون ٣٠ مقعدا.

وتشكل الوزارة الوفدية الأخيرة من النحاس رئيسا، وفؤاد سراج الدين للداخلية، ومحمد صلاح الدين للخارجية، وعثمان محرم للأشغال، وعلى زكى العرابى للمواصلات، وعبدالفتاح الطويل للعدل، وأحمد حمزة للزراعة، ومصطفى نصرت للحربية، ومحمود سليمان غنام للتجارة والصناعة، ومحمد الوكيل للاقتصاد، وأحمد حسين للشئون الاجتماعية، ومرسى فرحات للتموين، وياسين أحمد للأوقاف، وعبداللطيف محمود للصحة، وإبراهيم فرج للشئون البلدية والقروية، وحامد زكى للدولة، ومحمد زكى عبدالمتعال للمالية، وطه حسين للمعارف.

وبتكليف النحاس برئاسة هذه الوزارة.. حقق النحاس ما كان يصبو إليه ويشتاق، وهو الجلوس الهادئ المريح على كرسى الوزارة بعد طول غياب، بعد أن تعلم الدرس بأن يصفى الجو بينه وبين الملك، والتخلى عن كبريائه وعناده السابق، والحصول على الرضا السامى للملك بتقبيل يده، مما يزيد فى إذلال الطالب ويزيد فى طغيان واستبداد المطلوب.

ولقد جاء انعقاد وزارة النحاس الأخيرة مخيبا للآمال التى كانت تعول على قدرة النحاس فى تقويم سلوكيات الملك دستوريا كما وقع فى عام ١٩٣٧، ولكن النحاس، حتى تظل وزارته محببة إلى ولى الأمر، تمادى فى التنازل عن حق الشعب

الملك فاروق فى زيارة لمدرسة المدفعية عام ١٩٣٩ ومعه على ماهر والأمير محمد على







فاروق فى زيارة لمزارع إدفينا

فى وقف طغيان ولامبالاة واستهتار الحاكم، الذى أصبح كجواد جامح لم يعد يوقفه مانع أو يكبحه عقال.. وقد ترتب على مهادنة حكومة الوفد للقصر واتباعها سياسة الصوت المنخفض استفزاز الأحزاب الأخرى.

وتشهد نهاية عام ١٩٥٠ إضرابات جديدة، قام بها عمال مصنع سكر الحوامدية، يعتبر امتدادا لإضراباتهم المستمرة منذ فبراير ١٩٤٥ لتحقيق مطالبهم، واستمر الإضراب لمدة تسعة أيام، وتضامنت معهم النقابات الأخرى.. كذلك تشهد نهاية هذا العام إضراب ٢٠ ألف عامل بالسكة الحديد مطالبين بزيادة الأجور، كما يضرب عمال شبرا الخيمة احتجاجا على فصل زميل لهم.

ووسط هذه الإضرابات المتزايدة والقلق والمعاناة المسيطرين على الشعب عامة وعلى العمال خاصة، وحالة الضيق الاقتصادى التى أصابت البلاد فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وحرب فلسطين.. يتم زواج الملك فاروق الثانى من (ناريمان)، الجميلة الفاتنة، باللغة التركية، بنت الـ١٦ ربيعا، ابنة حسين فهمى صادق، سكرتير عام وزارة المواصلات.. وتتحدث الشائعات عن اختطاف فاروق لها من خطيبها الدكتور (محمد زكى هاشم)، المندوب فى مجلس الدولة، بعد أن وقعت عينه عليها فى محل (أحمد نجيب باشا) الجواهرجى فى شارع الملكة فريدة، والمعروف الآن بشارع عبدالخالق ثروت.

ولما علم فاروق بخطبتها لغيره، أصر على فسخ تلك الخطبة واحتجازها



تشكيل أول وزارة لفاروق برئاسة صدقى باشا

الملك فاروق فى العرض العسكرى بالعباسية فى يوليو عام ١٩٣٧



لنفسه، فقد أسرت قلبه من (أول نظرة)، ورأى فيها فتاة أحلامه المطلوبة، والعروس المناسبة له، خاصة أنها من عامة الشعب، وقد رأى فيها أنها سوف تعيد إليه جزءا من رصيده الشعبى المتهالك.

وقد عارض هذا الاقتران كل من الأمير محمد على توفيق، ولى العهد، والأمير يوسف كمال، وحسين سرى باشا، الوزير وزوج خالة الملكة فريدة، الذى وصفها بأنها لا تصلح للملك ولا تليق به، وأن رأسها أصغر من أن يحمل التاج الملكى لكن فاروق أصر على الاقتران بها، كعادته منذ صغره التشبث بما يريد.

ووالدة ناريمان هى (أصيلة هانم) ابنة كامل محمود من أعيان المنيا.. عاشت ناريمان طفولة سعيدة، وكانت الابنة الوحيدة لأبويها، وكان أبوها يخاف عليها بشدة، حتى إنه ألحقها بمدرسة مصرية قريبة من مسكنها حتى لا تلتحق بمدرسة أجنبية بعيدة، وهى مدرسة الأميرة فريال الثانوية للبنات بحى مصر الجديدة.

وقد توقف تعليم ناريمان عند المرحلة الثانوية لأن فاروق حين خطبها لنفسه كانت دون السابعة عشر ربيعا.. وقد توفى والد ناريمان قبل إعلان الخطبة الملكية الرسمية يوم ١١ فبراير ١٩٥١، فتكفلها عمها اللواء مصطفى صادق باشا، قائد الأسراب.

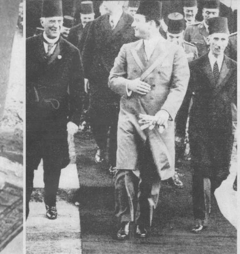
وأراد الملك فاروق أن يقدم للشعب زوجة المستقبل، وهى تتمتع بكل مقومات الملكة من ثقافة وإتقان وبروتوكول القصور الملكية، وإجادة اللغات الأوروبية، والتآلف مع حياة القصور، وما يدور بداخلها.. فقام بإرسالها . قبل أن يقترن بها . إلى إيطاليا برفقة عمها، وتم الاتفاق مع (عبدالعزيز بدر) سفير مصر فى روما، على ترتيب كل الإجراءات، والتمويه على الصحافة الأجنبية بادعائه أنه خال ناريمان، واختار لها اسما مستعارا.

وفى خلال سبعة أشهر.. تعلمت ناريمان اللغة الفرنسية، واتيكيت وقواعد البلاط الملكى، وتأصلت لديها غريزة "حب الشراء" التى ورثتها عن والدتها فاشترت كل ما كانت تحب شراءه واقتناءه.

ولما عادت إلى أرض الوطن.. أقيم حفل زفافها على فاروق يوم السادس من شهر مايو عام ١٩٥١، وسط مظاهر ملكية وشعبية فخمة، واحتفالات فاخرة، لكنها لم تكن تقارن بما تم من احتفال ومظاهر فرحة فى زواج فاروق الأول من (فريدة) محبوبة الشعب.

ولدت (ناريمان) يوم ٣١ أكتوبر عام ١٩٣٣، وعاشت ٧٢ عاما، وتوفيت يوم ١٦ فبراير ٢٠٠٥ الماضى.. وقد مرت دون شك، خلال هذا العمر المديد بتجارب إنسانية كثيرة، وعاصرت أحداثا تاريخية كبيرة، والتصقت بملك مصر فى فترة من أخطر وأشق الفترات التى مر بها حكمه.. وكانت شاهد عيان لنهاية الحقبة الملكية وحكم الأسرة العلوية لمصر.. وقد شاركت الملك عزله عن الحكم، ونفيه إلى خارج البلاد، وقد ذهبت معه، وشاركته حياة المنفى دون أن تتخلى عنه، خاصة بعد





فاروق فى مستشفى المواساة وهو يتحدث إلى الأمير عمر طوسون وإلى يساره أحمد حسنين باشا

أن أنجبت له ولى العهد يوم ١٦ يناير ١٩٥٢. لكنها لم تتحمل حياة الضياع التى عاشها فاروق فى المنفى، وإدمانه السهر مع النساء وعلى موائد القمار فى البارات والحانات الليلية.. فعادت إلى مصر، وحاولت بدء حياة زوجية جديدة، فلم توفق فى الزيجة الأولى، بعد أن أنجبت من زوجها طفلا، ووفقت فى الثانية، بعد أن أنجبت طفلا آخر.

ولقد ظلت (ناريمان) - رغم الطلاق من فاروق والانفصال، والزواج الثانى والثالث - وفية للملك ومخلصة للحياة الملكية، تعيش وفى داخلها معان كثيرة محببة عن تلك الفترة.. وبرغم أن بقاءها ملكة لمصر لم يستمر طويلا رسميا، فإنها لم تفقد اللقب طوال حياتها. وحتى بعد إلغاء الملكية من مصر وإعلانها جمهورية، وظلت فى نظر الجميع الملكة (ناريمان) زوجة جلالة الملك فاروق.

ولقد دافع الملك فاروق فى مذكراته التى نشرتها جريدة (الامبايرنيوز) فى عدد أكتوبر ١٩٥٢ عن زواجه من (ناريمان)، ونفى أن يكون قد اختطفها من خطيبها، وأن زواجها منه تم عن اقتناع منها وحب لشخصه لا لعرشه.. وكان ختام ما ذكره فاروق عن (ناريمان) قوله: فعلى الرغم من أننى كنت محاطا طوال حياتى بعشرات الرجال، فإننى كنت أشعر دائما بالوحدة، وكانت ناريمان هى أول إنسان استطاع أن يخترق هذا الحاجز النفسى، فمعظم الناس لا يدركون حقيقة مؤداها أن الرجل الذى يستقر على رأسه تاج ملكى هو أيضا مجرد إنسان.



الملك فاروق عندما كان يأمل أن يكون خليفة للمسلمين

الملك فاروق كان يحافظ على أداء صلاة الجمعة بمسجد الرفاعى

▲▲

الملك فاروق مع زوجته الملكة فريدة يوم الاحتفال بشم النسيم ويظهر مساعده وكاتم أسراره بوللي

فى يوم الاثنين ٨ أكتوبر ١٩٥١، وفى اجتماع تاريخى ضم مجلس الشيوخ والنواب.. تم إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩، الخاصة بإدارة السودان، وترتب على هذا الإلغاء تعديل الدستور، وأصبح لقب الملك فاروق "ملك مصر والسودان" وتم هدم ثكنات قصر النيل، ويشغل مكانها الآن فندق (هيلتون) ومبنى جامعة الدول العربية. وقام الفدائيون بمهاجمة معسكرات الإنجليز بالقناة، وقد دعمت الحكومة ذلك الأمر، وأشرف عليه فؤاد سراج الدين، وزير الداخلية بنفسه.

وتظاهر أهالى الإسماعيلية وبورسعيد والسويس، وقابلهم الإنجليز برصاصهم، واشتدت المقاومة، وشهدت البلاد مظاهرات عارمة تهتف بجلاء الإنجليز ووقعت معارك ضارية مع الإنجليز فى الإسماعيلية وبورسعيد.

وقام الإنجليز بأكبر عمل وحشى منذ (مذبحة دنشواى)، حيث قاموا بتدمير قرية (أحمد عبده) بالسويس تدميرا كاملا، وشردوا من سكانها أكثر من ٢٠٠٠ مواطن، وهدموا بدباباتهم ومصفحاتهم أكثر من ١٥٦ منزلا، وذلك يوم ٨ ديسمبر ١٩٥١

ولقد اقترحت الدول الأربع الكبرى: بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا على مصر. على إثر إلغاء معاهدة ١٩٣٦ من جانب مصر. بمقترحات تكون بديلا عن هذه المعاهدة، وكان أساس هذه المقترحات أن تقبل مصر الدفاع المشترك مع هذه الدول الأربع، وأن تكون قناة السويس فى حماية قوات دولية تشترك فيها مصر وبريطانيا وأمريكا وتركيا وأستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا، ويكون لجزء من هذه القوات حق البقاء فى مصر وقت السلم، ثم استمرار الحكم البريطانى فى السودان، مع إنشاء رقابة دولية بصورة لا تحد من سيطرة الإنجليز فيه، وجعل علاقة مصر بالسودان علاقة مياه فحسب.

وقد قدمت هذه المقترحات إلى الحكومة المصرية يوم السبت ١٣ أكتوبر ١٩٥١. وقد اجتمع مجلس الوزراء (ببولكلى) فى اليوم التالى لتقديم هذه المقترحات، وقام برفضها رفضا باتا، ورفض الاشتراك فى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط التى كان يراد إنشاؤها، وقرر المجلس فى ختام جلسته، الاستمرار فى الخطة التى أعلنها رئيس الوزراء، وهى إلغاء معاهدة ١٩٣٦، وقد أعلن فؤاد سراج الدين، وزير الداخلية والمالية وقتئذ هذا القرار فى مجلس النواب بجلسته المنعقدة يوم ١٥ أكتوبر ١٩٥١

ووسط هذه العاصفة من الغضب التى اجتاحت الشعب والحكومة على الإنجليز، يقرر الملك أحد أعماله الاستفزازية للشعب، وهو تعيينه لـ(عبدالفتاح عمرو)، السفير السابق فى لندن، والعميل للإنجليز قلبا وقالبا مستشارا خاصا





الملك فاروق مع زوجته الملكة ناريمان

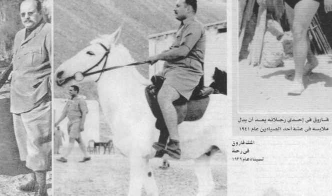
فاروق الأول



١٩٣٧ : ١٩٥٢



فاروق فى إحدى رحلاته بعد أن بدل ملابسه فى عشة أحد الصيادين عام ١٩٤١



الملك فاروق فى رحلة لسيناء عام ١٩٣٩



الملكة ناريمان مع ابنها الأمير أحمد فؤاد عام ١٩٥٢



..وأثناء رحلة صيد عام ١٩٤٠

له. كذلك تعيين (حافظ عفيفى)، وهو صديق حميم لبريطانيا، يوم ٢٤ ديسمبر رئيسا للديوان الملكى.

وقد أثارت هذه التعيينات المغرضة خواطر المواطنين، وعدوها تحديا سافرا من القصر لحركة الكفاح فى القنال ضد الإنجليز، وتعبيرا صارخا عن رغبة الملك فى ممالأة المستعمر والتنكر لكفاح الشعب.

وخرجت الجماهير تهتف بسقوط حافظ عفيفى، واشتعلت المظاهرات فى الجامعة تهتف ضد الملك (بأقذر) الهتافات.وفقد الملك بذلك كل ما تبقى له من رصيد الولاء عند الشعب بعد تحديه لمشاعره، وتكاثر لغو الناس فى الأماكن العامة والخاصة ولاكوا سيرته فيما يتصل بسهراته النسائية وخسائره على موائد القمار، وتورطه فى صفقات الأسلحة الفاسدة، وسيرة عائلته خارج البلاد.. وقد ظهر الفارق جليا حين تعاطف معه ضد حصار الدبابات البريطانية لقصر عابدين يوم ٤ فبراير ١٩٤٢، وبين سخطه عليه فى ديسمبر ١٩٥١ ..ولقد عمت الحركة العدائية للملك والقصر الجامعات والشوارع والميادين، وزخرت بالمظاهرات الصاخبة تهتف بسقوط الملك وعائلته، وتعددت هذه المظاهرات حتى غطت كل المحافظات.. وعلى إثر ذلك قررت مجالس إدارة الجامعات وقف الدراسة فيها إلى أجل غير مسمى، ابتداء من يوم الخميس ٢٧ ديسمبر حتى إشعار آخر، كذلك عطل الأزهر كلياته ومعاهده، وتعطلت الدراسة فى مدارس القاهرة والجيزة والإسكندرية الثانوية.

ولقد اعتمل نفس السخط بين ضباط الجيش، بعد هزيمة حرب فلسطين عام ١٩٤٨، وحصار الفالوجا، وقضية الأسلحة الفاسدة.. وفى خضم ذلك كله من صخب استعمارى ومقاومة وطنية، بدأ ظهور تنظيم الضباط الأحرار ويدخل فى طور التنفيذ الفعلى والعمل الجدى.. وتشكلت الهيئة التأسيسية للتنظيم فى عام ١٩٤٩ من عضوية كل من: خالد محيى الدين، وكمال الدين حسين، وحسن إبراهيم، وعبدالمنعم عبدالرءوف، وعبدالحكيم عامر، وجمال سالم، وصلاح سالم، وأنور السادات، وعبداللطيف البغدادى.. وفى يناير ١٩٥٠، تم انتخاب جمال عبدالناصر رئيسا لها بالإجماع.

وخلال فترة وجيزة.. نجحت الهيئة فى تعبئة الروح العامة بين زملائهم بالمبادئ التى استقرت فى وجدانهم، فانتشرت مطبوعاتهم السرية، وتداولها زملاؤهم باهتمام شديد، وأصبح داخل كل وحدة من وحدات الجيش . تقريبا . بعض الموالين لهم.

وفى ٢٧ ديسمبر ١٩٥١، قرر الملك اختيار رئيس لنادى ضباط الجيش، وكان يولى النادى عناية خاصة، ويتردد عليه فى بعض المناسبات.. وقد ظل الملك مخدوعا لآخر لحظة، معتقدا أن الجيش يدين له بالولاء، وأنه سنده الأول، واعتقد أن رجاله قد تناسوا قضية الأسلحة الفاسدة، وأنها ليست إلا زوبعة فى فنجان انتهت بإغلاق ملف التحقيق فيها.. ولم يكن يدرك أنها كانت جرحا غائرا فى قلب الجيش ما زال ينزف دما.

من هذا المنطلق المتغابى.. طمأن الملك نفسه من ناحية الجيش، وزاد من حرصه على اختيار رئيس للنادى يثق فى ولائه وإخلاصه له، شأنه فى ذلك شأن جميع المناصب الرسمية، ووقع اختياره لرئاسة النادى على اللواء حسين سرى عامر، وهو من (كلابه) المخلصين، لكن الجمعية العمومية رفضت هذا الاختيار، وتحدت الملك بانتخاب اللواء (محمد نجيب) مدير سلاح المشاة رئيسا للنادى.

ثم سارت الأحداث مسرعة كالإعصار بالنسبة لموقف الملك، وأطاحت به بعد ستة أشهر من واقعة (نادى الضباط).

وازداد الصدام بين المصريين والإنجليز فى معسكراتهم فى القنال، ووقعت معركة دامية فى السويس بين الطرفين يوم ٤ يناير ١٩٥٢، أسفرت عن سقوط خمسة شهداء و٤٤ جريحا مصريا.. ووقعت يوم ١٣ يناير معركة كبرى فى (التل الكبير)، احتل الإنجليز فيها المدينة.

وعلى إثر مولد الأمير (أحمد فؤاد) يوم السادس عشر من يناير ١٩٥٢، وإعلانه وليا للعهد.. تجددت المظاهرات العدائية لفاروق ولولى عهده فى شتى أنحاء العاصمة، ولم يكن إهلال ولى العهد، فألا حسنا على البلاد، بل كان فألا سيئا وشؤما على الملك وعلى الأسرة المالكة جميعها.. وعاود طلاب المدارس الخروج فى المظاهرات، التى اتخذت طابع العنف عند صدام الطلاب مع رجال البوليس وتحدى أوامرهم.

وفى يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢، حاصرت القوات البريطانية مبنى محافظة الإسماعيلية بقيادة قائد قواتها هناك (البريجادير أكسهام)، الذى وجه إنذارا لقوات (بلوكات النظام) فى المحافظة بتسليم أسلحتهم والجلاء عن مبنى المحافظة.. فرفض رجال الشرطة أمر القائد الإنجليزى وأصروا على الدفاع عن المبنى بشجاعة نادرة.. وتصدى للقوات البريطانية المدججة بالسلاح الضابط (مصطفى رفعت) ورجاله بأسلحتهم البسيطة.. وأمر الجنرال بإطلاق النار فأصابت قواته خمسين من رجال الشرطة المصرية سقطوا شهداء، وأصيب ثمانون منهم بجروح مختلفة، وأسر الإنجليز من بقى على قيد الحياة من رجال الشرطة وضباطهم، وعلى رأسهم اللواء (أحمد رائف) قائد بلوكات النظام واليوزباشى مصطفى رفعت، والذين ظلوا فى الأسر ولم تفرج عنهم القوات البريطانية إلا فى شهر فبراير ١٩٥٢ ولقد دمر مبنى المحافظة تدميرا كاملا، ودمرت . أيضا . ثكنات البوليس، وكانت خسائر الإنجليز ٢٠ قتيلا و٣٠ جريحا.. وقد اعتبر يوم ٢٥ يناير عيدا للشرطة، تمجيدا لذكرى الشهداء الأبرار من رجال الشرطة المصريين.

وتصل أخبار هذه المذبحة إلى القاهرة فى الساعات الأولى من صباح يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢.

وهو اليوم الذى عرف فى التاريخ باسم (يوم السبت الأسود)، وهو اليوم الذى

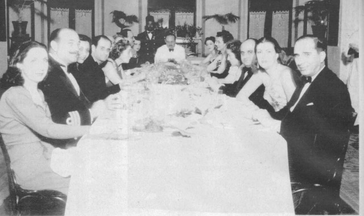


الملك فاروق أثناء الاحتفال بليلة رأس السنة فى إحدى خيام صحراء الأهرام عام ١٩٤٨



محمد نجيب قائد ثورة يوليو

فاروق وأصدقاوه
فى قصر أنشاص



العشاء الأخير للملك فاروق وأصدقاؤه قبل قيام الثورة

احترقت فيه القاهرة، واشتعلت فيها النيران طيلة ١٢ ساعة متصلة، وقد شملت الحرائق التى اندلعت فى وقت واحد، أماكن متعددة وبصورة متعمدة وبتدبير وتخطيط محكم.

وقد بدأ الحريق الساعة ٢٧، ١٢ ظهرا فى (كازينو بديعة) بميدان الأوبرا، وفى الساعة الحادية عشرة من مساء نفس اليوم اشتعلت الحرائق الجماعية فى ميدان الأوبرا، وشارع إبراهيم (الجمهورية)، وشارع فؤاد (٢٦ يوليو)، وشارع عدلى، وشارع قصر النيل، وشارع وميدان سليمان باشا، وشارع عبدالخالق ثروت، وميدان مصطفى كامل، وشارع شريف، وشارع محمد فريد، وشارع البستان، وشارع عمادالدين، وشارع نجيب الريحانى، وشارع محمود بسيونى، وشارع البورصة الجديدة، وميدان التوفيقية، وشارع رمسيس، وميدان الإسماعيلية (التحرير)، وشارع الشواربى، وشارع الفلكى، وشارع الانتكخانة، وشارع شامبليون، وشارع كلوت بك، وشارع الفجالة، وميدان باب الحديد، وشارع الظاهر، وشارع محمد على.. وامتدت النيران حتى شارع الهرم، حيث أحرق أوبرج الهرم، وكازينو صوفر وكازينو كوفى جاردن.

وحصر عدد الحرائق فبلغ سبعمائة حريق، شملت ١٣ فندقا من بينها: (فندق شبرد، وفندق متروبوليتان، وفندق فيكتوريا)، و٤٠ دورا للسينما من بينها: (سينما ريفولى، ودارا، ومترو، وميامى، وديانا، ومتروبول)، و٧٣ مقهى ومطعما من بينها: (الأمريكين وجروبى)، و١٦ ناديا من بينها: (نادى محمد على والنادى اليونانى)، وأكثر من ٣٠ محلا تجاريا منها: (شيكوريل، وسلسلة المحلات اليهودية)، و٣٠ شركة كبرى.

..ويشارك فى وضع خطة حرب ٤٨

و١١٧ مكتبا، و١٠ محلات لبيع السلاح، و٩٢ بارا، و٨ معارض سيارات، وبنك باركليز الإنجليزى.. وقد توفى فى أحداث الحريق ٢٦ شخصا، وأصيب ٥٥٢ شخصا بجروح، وتشريد آلاف العاملين بالمحلات المحترقة.. وقد قدرت خسائر الحريق المالية بما يزيد على المائة مليون جنيه مصرى.

ولايزال حتى اليوم الحادث مقيدا ضد مجهول.. لأنه لم تثبت التهمة على شخص معين أو جماعة معينة.. فمن هو المسئول الحقيقى عن هذه الحادثة الشنيعة التى أحرقت قلب عاصمة المعز؟

ولقد أشارت الحركة الوطنية بأصابع الاتهام إلى الملك الذى دعا فى ذلك اليوم . الموافق اليوم العاشر لميلاد ولى عهده أحمد فؤاد . رجال الجيش والشرطة وقياداتها العليا إلى وليمة غداء على شرف جلالته.. واتهمت بريطانيا مع الملك، لأنها أرادت فشل الحكومة المصرية فى الحفاظ على الأمن فى البلاد وحماية الأجانب بها.. واتهمت بريطانيا بدورها حزب الوفد الذى ألغى معاهدة ١٩٣٦ وشجع (الغوغاء) على أعمال الشغب والإرهاب.. واتهم الملك الشيوعيين الذين أرادوا إسقاط حكومة الوفد، واتهم الأخوان المسلمون الشيوعيين أيضا.. ولم تجد الحكومة أمامها إلا إلصاق التهمة بالحزب الاشتراكى واتهام رئيسه أحمد حسين بذلك رسميا.. لقد تم حريق القاهرة فى اليوم الذى قرر فيه فاروق الاحتفال بميلاد ابنه أحمد فؤاد الذى رزق به بعد طول انتظار ليكون ولى عهده وليخلفه فى ملكه.. حتى إن السفير البريطانى وعدوه اللدود (لامبسون) حدثه فى هذا الأمر مباشرة، وضرورة أن ينجب ولدا ذكرا.. وكانت بريطانيا تعلم بالكراهية المتبادلة بين فاروق وولى عهده الأمير محمد على توفيق، الذى قارب على السبعين من العمر، الأمر الذى يهدد استقرار الملكية الوراثية فى مصر، ذلك النظام الذى ارتضته إنجلترا وأقرته سياستها الاستعمارية.

وكانت بريطانيا تتمنى تغيير الوجوه برحيل فاروق وبقاء الإطار الملكى إطارا شرعيا لبقائها فى مصر. فلم يكن أمامها بعد إلغاء مصر معاهدة ١٩٣٦، إلا الاحتفاظ بهذا الكارت الأخير فى لعبة الاحتلال، على الرغم من تيقنها أنه كارت خاسر لا محالة.

وقد نظم الديوان الملكى، احتفالا بقدوم ولى العهد، مأدبة ملكية دعى لها جميع رتب الجيش والشرطة من رتبة صاغ (رائد) فصاعدا، بالوجود يوم ٢٦ يناير فى قصر عابدين الساعة الثانية عشرة والربع، ببدلة التشريفة لحضور هذه المأدبة.. ومن الغريب أن الدعوة لم توجه لفؤاد سراج الدين وزير الداخلية ولا لمصطفى نصرت وزير الحربية.

وبدأت المأدبة فى نفس توقيت إحراق القاهرة، وأغلقت أبواب القصر على المدعوين، ولما وصل خبر الحريق إلى أسماع فاروق أراد إلغاء المأدبة وصرف الضباط إلى مراكزهم لمواجهة الموقف، لكن حافظ عفيفى، رئيس الديوان رأى غير ذلك، وهون الأمر للملك، فوافقه على الاستمرار.. وتعد هذه غلطة كبرى، وسوء تقدير بالغ، ولامبالاة غريبة أفضت إلى اتهام الملك بسوء النية والضلوع فى الحادثة، والتواطؤ مع الإنجليز فى إشعال الحريق، وهو اتهام يفرض ذاته، ويتحمل الملك تبعاته لعدم اتخاذه القرار الحاسم بإلغاء المأدبة نظرا للظروف القاسية التى تمر بها البلاد.. وبعد ساعتين وربع الساعة من بداية مأدبة الغداء، وملأ الجميع بطونهم، وقد تركوا النار تأكل كل شىء.. انتهى الجميع من الغداء وغادروا قصر





الجيش يحاصر قصر المنتزه صباح ٢٣ يوليو ٥٢

عابدين من الأبواب الخلفية تجنبا للتعرض لأى مخاطر.

وتشير أصابع الاتهام النهائية فى حادث حريق القاهرة إلى بريطانيا ومخابراتها، بتجنيدها لبعض الرعاع وتزويدهم (بالبودرة الحارقة) والأموال للقيام بهذا العمل ردا على إلغاء معاهدة ١٩٣٦، ولتثبيت الاحتلال البريطانى فى مصر، ولإثبات هشاشة حكومة مصر فى الدفاع عن مواطنيها، وحماية رعاياها.

ولقد لفقت الحكومة الاتهام الرسمى بالتحريض على حريق القاهرة لأحمد حسين، رئيس الحزب الاشتراكى، بدافع عداوته للنظام، وحكم عليه بالسجن، الذى ظل فيه حتى قيام الثورة.

وأعلنت حكومة النحاس الأحكام العرفية يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢، ومنع التجول فى العاصمة من السادسة مساء حتى السادسة صباحا.

وفى يوم الأحد ٢٧ يناير، فى الساعة الحادية عشرة مساء، تسلم النحاس خطاب إقالة وزارته موقعا عليه من الملك فاروق، ومؤرخا فى نفس اليوم.. وقد عبر الملك فى خطابه هذه المرة عن الإقالة بكلمة أخف لهجة وهى: "الإعفاء".

وأعرب فى كتاب الإعفاء عن أسفه لما أصيبت به البلاد من اضطرابات نتج عنها خسائر فى الأرواح والممتلكات، وأن الأمور قد سارت سيرا يدل على أن جهد الوزارة التى يرأسها النحاس قد قصر عن حفظ الأمن والنظام "لذلك رأينا إعفاءكم من منصبكم".. وهكذا أقيلت آخر وزارة للوفد بعد أن ظلت فى الحكم عامين وبضعة أيام.. ولقد استمر الوفد، بعد إقالة وزارته، يسير على مصانعة القصر والتعلق بفاروق.. وبعد إقالة وزارة الوفد وحكومة النحاس.. تعاقبت على البلاد خلال ستة أشهر، أربع وزارات، عرفت بوزارات الموظفين الذين لا علاقة

مسودة بيان الثورة الصادر فى صباح يوم ٢٣ يوليو ٥٢

أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائما لأمتنا ونبتغى سعادتها ورقيها

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة

ونزولا على إرادة الشعب

قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه.

صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذى القعدة ١٣٧١ (٢٦ يوليو ١٩٥٢)

فاروق

الوثيقة التى وقعها فاروق للتنازل عن عرش مصر



رجال ثورة يوليو يحاصرون قصر عابدين

رجال الثورة

لهم بالأحزاب فى الفترة من ٢٧ يناير حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢

فتألفت يوم الأحد ٢٧ يناير وزارة على ماهر، ولم تستمر لأكثر من ٣٤ يوما، ثم أقيلت أول مارس.. ثم تألفت وزارة أحمد نجيب الهلالى أول مارس، واستقالت يوم ٢٨ يونيو.. ثم تألفت وزارة حسين سرى، واستقال بعد ١٨ يوما من تأليفها يوم ٢٠ يوليو.. ثم أعاد فاروق وزارة الهلالى يوم ٢٢ يوليو، ولم تدم إلا بضع ساعات، وأطاحت بها ثورة يوليو قبل مضى ١٨ ساعة على تأليفها.. وبقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، طويت صفحة الماضى من صفحات تاريخ مصر الحديث، وبدأت مرحلة جديدة فى تاريخ كفاح شعب مصر ونضاله من أجل تحقيق أهدافه وأمانيه.

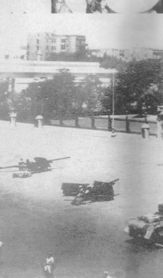
ولقد حان موعد قيام الثورة، يوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢، فى الساعة السابعة والنصف صباحا، حين أذيع أول بيان للضباط الأحرار، باسم اللواء محمد نجيب، وقرأه أنور السادات.. وقد عرض قادة الثورة على (على ماهر) أن يتولى وزارة الثورة، خلفا لنجيب الهلالى، فقبلها، وتولاها يوم ٢٤ يوليو، وتم تعيين محمد نجيب قائدا عاما للقوات المسلحة، ومنح رتبة (فريق).. وفى يوم ٢٥ يوليو.. طلبت الحركة من الملك إبعاد ستة أفراد من حاشيته الفاسدة، وهم: أنطونيو بوللى، مدير الشئون الخصوصية.. ومحمد حسن (الشماشرجى) الخاص.. والياس أندراوس، المستشار الاقتصادى للخاصة الملكية.. ويوسف رشاد، كبير أطباء القصر.. وحسن عاكف، طيار الملك الخاص.. والأميرالاى محمد حلمى حسين، سائق الملك الخاص ومدير إدارة السيارات الملكية.

وفى يوم ٢٦ يوليو.. تحرك محمد نجيب، الذى تنازل عن رتبة الفريق، ومعه بعض الضباط الأحرار، والبكباشى أنور السادات إلى الإسكندرية لمقابلة على ماهر، وتم الاتفاق على تسليم فاروق إنذارا بالتنازل عن العرش لابنه وولى عهده أحمد فؤاد قبل الساعة الثانية عشرة ظهرا، على أن يغادر البلاد فى نفس اليوم قبل السادسة مساء.

ولقد تولى سليمان حافظ، وكيل مجلس الدولة، تحرير وثيقة تنازل فاروق عن العرش، وتقديمها للملك، وتوقيعها بتنازله عن عرشه لابنه.. ويحاول الملك أن يعدل فى فقرة من فقرات الوثيقة بإضافة عبارة "ونزولا على إرادتنا" بعد عبارة "نزولا على إرادة الشعب".. لكن حافظ أقنعه باستحالة ذلك.. فيوقع فاروق على الوثيقة توقيعين بيد مرتعشة وقلب دام.

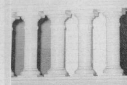
ويودع فاروق رسميا مرتديا بدلة مارشال بحرية، وهو السلاح الوحيد الذى كان يحتفظ له بالولاء، وتعزف الموسيقى السلام الوطنى، ويودعه على ماهر أول وآخر وزرائه وإلى جواره (كافرى) السفير الأمريكى، ويتجه إلى الباخرة المحروسة لتقله إلى إيطاليا، كما أقلت جده إسماعيل المخلوع من قبل.

وفى اليوم الذى غادر فيه فاروق البلاد نودى بابنه الرضيع أحمد فؤاد (الثانى) وعمره ستة أشهر، ملكا على مصر، على أن يباشر سلطته من خلال مجلس وصاية مشكل من الأمير محمد عبدالمنعم، ابن الخديو عباس حلمى، وبهى الدين بركات، والقائممقام رشاد مهنا.. وفى سبتمبر ١٩٥٢ يتولى محمد نجيب رئاسة الوزارة بدلا من على ماهر، ويعين جمال عبدالناصر نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية.. ويعتبر محمد نجيب أول حاكم مصرى يحكم مصر منذ عام ٣٣٢ قبل الميلاد حتى عام ١٩٥٢.. وفى ١٨ يونيو ١٩٥٣ يقضى على الملكية، وتعلن









.. رحيل فاروق من مصر عقب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

لحظة خروج فاروق من مصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢

الجمهورية، ويصبح محمد نجيب أول رئيس لها.. أما عن حياة فاروق فى المنفى.. فقد عاش مع ناريمان وأولاده فى جزيرة كابرى بإيطاليا.. وبدأت الخلافات تدب بين فاروق وزوجته.. وتطور شجارهما أمام الخدم والمربيات.. وكان سبب الخلاف إصرار فاروق على السهر يوميا بمفرده.. وإصابة ناريمان بالملل والاكتئاب.. وبقدوم أصيلة هانم، والدة ناريمان إلى كابرى ازدادت المشكلات والشجار.. وتم الاتفاق على الطلاق.. وعادت إلى مصر بعد أن تركت طفلها لأبيه يربيه كيف يشاء.. وفى إيطاليا يقضى فاروق لياليه بين النساء والموائد الخضراء.. ونتيجة للسهر والتدخين والحزن الدفين وذكريات الماضى الأليم، أصيب فاروق بمرض الضغط المرتفع وضعف القلب، ونصحه الأطباء بإنقاص وزنه بعد أن وصل وزنه فى أواخر أيامه إلى ١٦٨ كيلو جراما.

وفى إحدى الليالى.. توجه إلى منزل إحدى صديقاته وتدعى (أنا ماريا جانى)، وهى فتاة فى أوائل العقد الثانى من العمر، تعمل فى أحد صالونات التجميل، واستقل سيارته (الفيات) وتوجها إلى مطعم (ديل دى فرانس) فى روما لتناول طعام العشاء، وامتلأت المائدة بالعديد من أصناف الطعام، فامتدت يد فاروق تلتهم معظم ما أمامه من أصناف، وهى عبارة عن: ١٢ قطعة جمبرى، وقطعتين من اللحم الضأن المشوى مع بطاطس، وشطائر محشوة بالمربى، وزجاجة كوكاكولا، ثم اتكأ فى مقعده الوثير، وأشعل سيجار هافانا، وفجأة احتقن وجهه، وشعر بالاختناق، فارتفعت يداه إلى حلقه، ثم سقط على المائدة، وقد فاضت روحه، فانقلب المطعم رأسا على عقب، واختفت الفتاة التى كانت برفقته بصورة غامضة، وحاول أحد الجرسونات إنقاذه برفع إحدى ساقيه وخفضها عدة مرات دون جدوى، فقد حم القضاء، ووصلت سيارة إسعاف أقلته إلى مستشفى (سان كاميلو) فى محاولة لإنقاذه، وجاء تقرير المستشفى بأنه فارق الحياة فى تمام الساعة الثانية من صباح يوم الاثنين ١٧ مارس ١٩٦٥

وتمت مراسم دفنه فى روما، وأقيمت له جنازة حضرها أبناؤه وشقيقاته.. وبعد جهود بذلها إسماعيل شيرين - زوج شقيقته فوزية - تمت الموافقة على دفنه يوم ٢٧ مارس ١٩٦٥ بمقابر الأسرة الملكية بالإمام الشافعى، تنفيذا لوصيته، فدفن فى قبر جده إبراهيم باشا.. ولكن فى عام ١٩٧٥ طلبت ابنته الأميرة فريال من الرئيس الراحل أنور السادات نقل رفاته إلى مدفن الرفاعى، تنفيذا لوصيته أيضا، بأن يدفن بجوار جده إسماعيل وأبيه فؤاد.. فاستجاب السادات لطلبها.

توفى فاروق وهو فى سن الخامسة والأربعين، وعاد إلى مصر ليدفن فى ثراها بعد ثلاث عشرة سنة قضاها فى المنفى بعيدا عنها، وكان يؤمل أن يعود إليها حيا ويسترد عرشه ليصحح أخطاءه التى ارتكبها فى حق شعبها الطيب. لكن إرادة الله شاءت أن يأتى محمولا على الأعناق، لا ليجلس على العرش، ولكن ليدفن فى القبر.

وهكذا.. بنهاية هذه الحلقة يكون شريط الذكريات قد توقف بعد سرد أحداث ١٥٠ سنة من تاريخ مصر الحديث. ■■